روايات عبير

باتريشيا ولسون

لقاء في الظلام

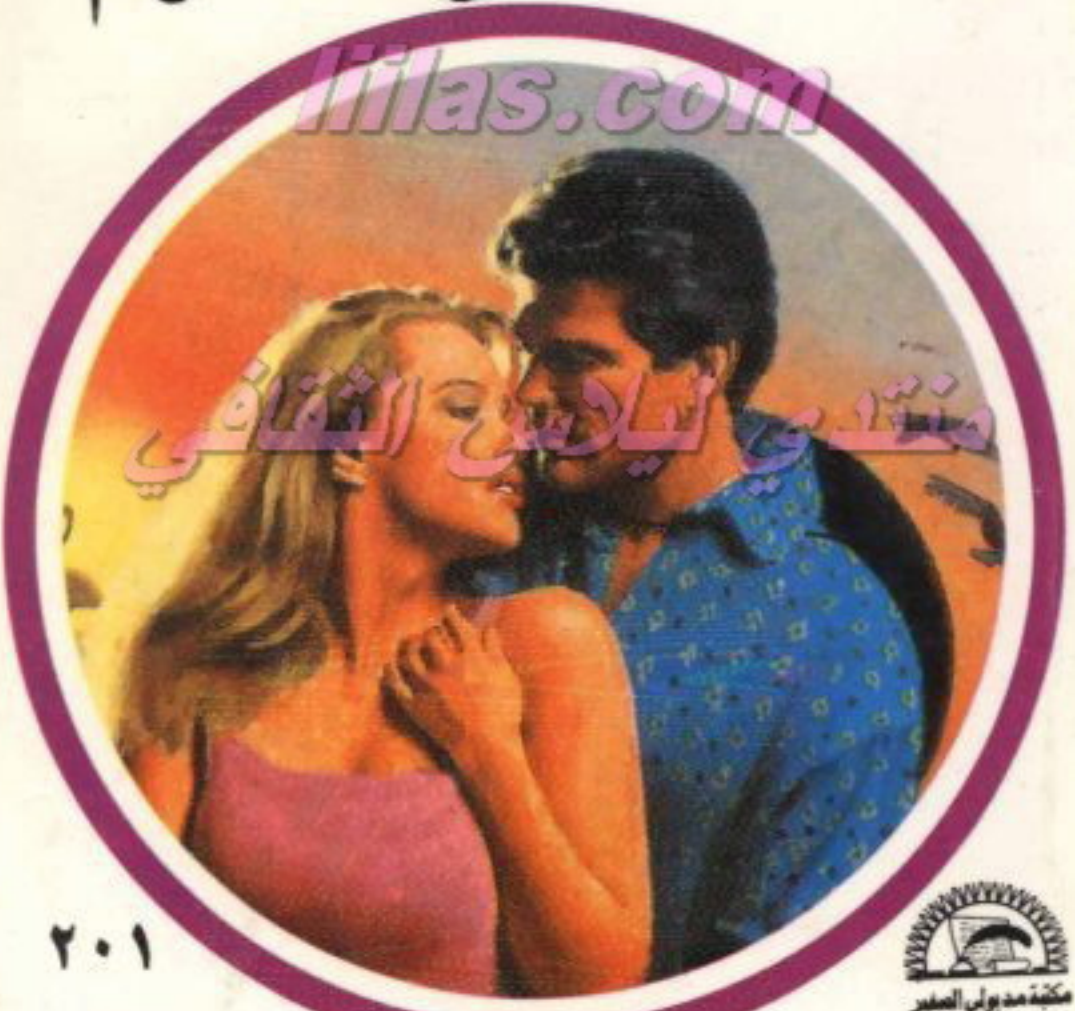

lilas.com
منتدى ليلاس الثقافي

٢٠١

مكتبة مدبولي الصغير

روايات عبير

HARLEQUIN - «ABIR» - No. 201

لقاء في الظلام

قد تكون (جوليا) ممرضة ذات تأهيل رفيع المستوى، ولكن كان لديها سبباً شخصياً وخاصاً لوضع الصغيرة (جوستين) في قلبها. لقد وجدت أن راعي الطفلة (لوك مارشال) المتعجرف مستبداً إلى حد كبير ولكنها كانت قادرة تماماً على التعامل معه بنفس المستوى.

بعد خيانة (جراهام) كان الرجل هو آخر ما يمكن أن تحتاجه في حياتها.

ولكن بدأ الموقف يخرج من بين يديها عندما أخذها (لوك) إلى جمال بلده الخلاب: «كامارجو». وبلا مفر وجدت (جوليا) نفسها تستسلم لسحره ونفوذه.

ولكن هل كان مقدراً له أن يتزوج (روزان)؟

لبنان	٢٢٥٠ ل ل	الكويت	١,٥٠٠ د	اليمن	٦,٤٠ ر
سورية	٤٠ ل س	الامارات	١٩,٢٠ د	تونس	٢,٤٠ د
الأردن	١,٥ ف	البحرين	٢,٤٠ د	ليبيا	١,٦٠ د
العراق	١,٢ ف	قطر	١٩,٢٠ ر	المغرب	٨ د
السعودية	١٠ ريال	عمان	٢,٤٠ ر	مصر	٣٠٠ ق

U.K. 2,40
France F 16
Greece Drs 320
Cyprus P 2,40

الفصـــل الأول

كان أصيلاً خلاباً لأحد أيام شهر مايو عندما توقفت (جوليا) عن إزالة الأعشاب الضارة من أرض حديقتهم وجلست على عقبيها برهه تستمتع بمشاهدة ما أنجزته من عمل. كانت تشعر بأنهم سعداء الحظ لإمتلاكهم مثل هذه الحديقة الكبيرة بالقرب من المدينة ولإمتلاكهم مثل هذا المنزل الكبير الذى صار أرحب مما يحتاجون إليه.

بدت عيناها حزينتان شاردتان وهى حالة كانت تظن أن بإمكانها الخروج منها ولكنها لم تجد لنفسها مهرباً أطلاقاً.

«آه... (لوسى)».

قد يسرى عنها أن تهمس بالأسم بصوت مسموع طالما أن أباها لا يسمعها. لكن هذه المره.. أغرورقت عيناها بالدموع وغص حلقها بالأسى وشحبت ألوان الحديقة فأصبحت مجرد ظلال شبحية باهته.

مرت ثلاث أعوام ولا يزال وجه (لوسى) الضحوك يترافص أمام عينيها. كان ينبغى أن تكون أختها الحبيبة فى الحادية عشرة من عمرها الآن. لقد وُلدت بعد (جوليا) بوقت طويل. ومنذ ولادتها كانت شعاعاً من ضياء الشمس ينير حياتهم. وأزدادت مكانتها لديهم بعد رحيل أمهم إذا قامت (جوليا) نفسها بدور الأم. فمنذ أن كانت فى الرابعة عشره

تولت تربية (لوسى) بالمشاركة مع والدها والسيدة (دوبسون) التى عملت مديرة لمنزلهم مدة طويلة.

ولن يعود أى منهم كما كانوا من قبل. لقد صار أبوها رجلاً آخر. حتى السيدة (دوبسون) لم تعد تملأ البيت غناء بصوتها الحاد النشاز. لقد ذهب ضياء الشمس مع (لوسى). وقد يكون هذا هو سبب استسلام (جوليا) بسهولة لسحر وسيطرة (جراهام) وعندما صدقت حديثه عن الزواج تدفق حبها له إذ أحست أنه إنسان طموح متعقل ومثابر.

أحست (جوليا) بوالدها آتيا تجاهها وقد أمسك بمقص يستخدمه لتشذيب الشجيرات كانت تعرف أنه سيجلس بالقرب منها على أريكة الحديقة أمام المنضدة البيضاء. جفلت عينيها خلسة وأستعدت لترسم على شفتيها ابتسامة مشرقة عندما يصلها.

وأبتدرها قائلا: «ياله من يوم رائع فى هذا الوقت من العام» وبدأ يهذب فقاز العمل بالحديقة عن يديه. كانت عيناها تتابعان حركته وترقب يديه تبرغان من القفاز: ذات أصابع رشيقة جميلة.. فهى أيدى طبيب جراح. وأعتورها الشعور الخانق مرة أخرى. كان عليها أن تذهب لتخلع قفازها أوتنفض الغبار عن سروالها الجينز أو لتتصنع أداء أى عمل يعطيها وقتاً لتستعيد رباطة جأشها.

وقالت بصوت مضطرب: «إن كل شىء يبدو رائعاً». ثم أردفت «أرانا سنحصل على وفرة من زهور السوسن هذا العام. فأشجاره كثيرة البراعم.

ووافقها والدها بينما كانت عيناه تطوفان بأرجاء الحديقة وتحدقان فى تلك الشجيرات الأنجليزية القديمة التى غرساها سوياً كعلاج برد قلبيهما من آلامهما. وهو ما تفعله أحياناً ولكن ليس دائماً.

وغلفها الصمت والسكون حتى أنها سمعا رنين جرس الباب الأمامى بينما هما فى الحديقة. ورمقها والدها (بول ردفورد) بنظرة سريعة.

وسألها بهدوء: «هل تتوقعين حضور أحد يا عزيزتى؟» لم يحدث على

الأطلاق أن ذكرا (جراهام) وهجرانه لها بقسوة ليرتبط بوريثة إحدى الثروات الضخمة ذات المكانة المرموقة والتى من المؤكد أن بإمكانها مساعدته فى مستقبله العملى. وهى تعرف أن والدها يتجاهله عندما يلتقيا فى المستشفى. وتعرف أيضا أنها ـ وحسن الطالع ـ كانا يعملان فى قسمين مختلفين وفى مجالات مختلفة كثيراً. كان الطبيب. (جراهام ادامز) شخصاً هاماً بالنسبة لنفسه فقط. أما بالنسبة لعالم البروفيسور (بول ردفورد) فقد كان حقاً مجرد نقطة فى بحر.

ظهرت السدة (دوبسون) عند الباب الفاصل مابين المنزل والحديقة وهى تقول: «هناك رجل يرغب فى رؤيتك ياسيدى البروفيسور» ثم خطت تجاههم وقالت بصوت خفيض: «لقد سألته عما يريد وذكرته بأن اليوم هو الأحد لكنه أصر على مقابلتك» ثم همست: «أعتقد أنه أجنبى» وكأنها تجد فى ذلك تفسراً لسلوكه.

أنصهر البروفسور قائلاً: «اللعنه. إننى أتمنى ألا يفعلوا ذلك. لماذا لا تتعامل المستشفى مع مثل هذه الأمور فى وقت العمل؟ إننى أتوقع أن يكون واحداً من هؤلاء الطلبه الجدد يحمل مشكله تافهه تماماً. أحضريه إلى هنا ياسيده (دوبسون)».

كانت (جوليا) تعرف أن والدها لايحب أن يقلق أحد راحته. وفى العادة يأخذ هذا الأمر أسبوعين أو ثلاثه حتى تنضح لأى طلبه جدد.

تأهبت لتتركه قائله: «هل لى أن أذهب و..».

رد والدها بلهجه آمره: (جوليا).. فلتبق هنا» ثم تابع «إننا نبدو مسترخين لدرجة توضح تماماً أننا فى أجازة» ثم أضاف بصوت ضاحك: «على أية حال قد يمكنك أجابه كل أسئله وعندئذ يمكننى أن اعود إلى الورود».

أبتسمت (جوليا) وجلسا سوياً. كان والدها طويل القامة ممتاز المظهر ذو شعر أبيض كثيف وقد علاه بعض الغبار أثناء عمله فى الحديقه. أما (جوليا) فقد كانت جميلة الوجه ممشوقة القوام ذات شعر ذهبى كثيف

hilas.com
منتدى ليلاس الإلكتروني

جعته على هيئة ذيل حصان وقد بدت عيناها الزرقاوتان العميقتان الواسعتان تظللها مسحة من حزن دفين.

كانت (جوليا) في الرابعة والعشرين من عمرها ولكن كل ملامحها كانت تكذب عمرها: قامتها الهيفاء وعيناها الواسعتان العميقتان ببريقها الحزين وقدها المتناسق الجميل. فكأنها لم تتعد السادسة عشرة. هكذا يرى (بول ردفورد) جبلته البائسة (جوليا) بعقلها الذكي وقلبها الذي عانى صدمتين اليمين.

لم يكن القادم أحد الطلبة الجدد. لقد أحسا بذلك بمجرد أن شاهداه بالباب المؤدي للحديقة. بهتا ببطء بينما توقف هو للحظة ينظر إليهما. لم يكن هذا بالرجل الذي يأتي لمشكلة غير ذات أهمية.

كان طويلاً ذا مظهر رياضي. وشرة داكنة. شعره أسود كثيف. كان وجهه الوسيم يكسبه مظهر صارم. مظهر رجل لا يبتسم إلا نادراً. كان بشع هيبة وبريقاً أخاذاً رغم المسافة التي تفصله عنها. مسحت عيناه الغامضتين المكان بخفة ولم يكن هناك مبرراً لصرامة وجهه. أحست (جوليا) أن أياً منهم ليس بإمكانه المبادرة بشيء ما. لقد بدا رجلاً أعتاد أن يطاع ولم يبد أي أستعداد لتغيير موقفه من أجلهم.

كان نحيلاً رشيقاً ونسيم حركته عن ثقة نفسه وقد أحاطه الجمال والبهاء وهو يخطو تجاههم عبر المرج الأخضر. سرت رجفة رهبة في أوصال (جوليا). كانت هيئته تدعو للقلق وأزداد يقينها من ذلك عندما رمقها بنظرة خاطفة.

بعد هذه النظرة الغامضة تجاهل (جوليا) وأتجه لوالدها متسائلاً: «البروفيسور ردفورد» وركز نظرات عينيه على وجه والدها الرقيق وعينيه الزرقاوتين اللامعتين ثم قال: «أنا (لوك مارشال)».

ثم صمت ولم يحاول مد يده للسلام. كان حضوره طاغياً كما لو أن وجوده أمر واجب التنفيذ.

وفجأة بدا والدها مرهقاً وكأنه أكبر من سنه أشار بتثاقل إلى مقعد في

مواجهة (جوليا) وهو يقول: «تفضل بالجلوس يا مستر (مارشال)». جلست (جوليا) أيضاً ببطء وترقب. نادراً ما رأت والدها محيطاً بهذه الصورة ولم يحدث مثل ذلك منذ ثلاث سنوات. وتزايدت الرهبة بداخلها فأخذت تحدق في ذلك الفرنسي.

شملها ذلك الفرنسي بنظرة فاحصة باردة من عينيه الداكنتين وكأنه يسألها عما تفعل في هذا المكان. قالت عيناه ذلك بدون أي كلمات. ومن خلال رهبتها حاولت النهوض لتطيع أمراً صامتاً.

قال والدها: «(جوليا).. أرجو أن تبقى». كان والدها قد أستلك زمام نفسه وأستعاد نفوذه القديم. وأيا كان سبب ما حدث فقد هدأ الروع. وجلست (جوليا) مستأنسة بمبادرة والدها وسندها الحنك لتجدتها عندما عادت تنظر إلى العينين السوداوين اللتين أمرتاها بالمغادرة.

قال والدها بلهجة جافة لم تألفها: «هذه ابنتي (جوليا) يا مسيو (مارشال)». ورغم أن (مارشال) نهض من فوره وأنحنى تجاهها إلا أنه لم يزد على أن قال بالفرنسية: «تشرفنا آنسي». كانت عيناه متجهه كلية لوالدها. وحيث أنها لم تطع أمره الصامت بالمغادره فها هو الآن يلفظها بأعتبارها غير ذات أهمية. إنه يبدو كما لو كانت الكياسة خلقاً ثانوياً بالنسبة له. وها هو يظهرها في أضيق الحدود. فا دفعه للحضور بشغل تفكيره وعقله قلبه لدرجة أنه لم يكن ليعطي أكثر الأشياء بهجة غير مجرد التفاته طفيفه.

قال (مارشال) بعده: «إنك تعرف لماذا أنا هنا يا سيدي البروفيسور (ردفورد)». ثم أردف: «إننا لن نضيع الوقت في المقدمات».

نظر إليه والدها بصرامة وقال: «إنني أعرف لماذا أنت هنا يا مسيو (مارشال)». ثم أضاف قائلاً: «لقد أجبت كل خطاباتك بصفة شخصية لأنني متعاطف معك إلى أقصى حد لكن الأجابة كانت وستظل: لا».

قال (مارشال): «إن الطفلة ستموت يا سيدي البروفيسور ولا أستطيع

أن أفهم كيف بتعك قلبك الكبير من أجراء الجراحه ها» ؟

كانت هناك قوة رنانه فى صوت الفرنسى أبقت (جوليا) مبهوره رغم ان كل دوافعها تحثها للثورة على الطريقة التى يخاطب بها والدها. كانت السخرية تملأ الوجه السحيل البروزى الملون ببيا كانت عيناه تبرقان باللوم الصريح.

ولدهشتها رأت وجه والدها يتلون بحمرة واضحة. لقد كان غاضباً كما لم تره على مدى حياتها.

وخاطبه والدها بشدة: «يامسيو (مارشال) لقد جئت إلى هنا بلا دعوة لتزعجنى وتزعج ابنتى» ثم أضاف: «لقد أعطيتك ردى وهو نهائى. إننى لن أقبل الطفلة كمريضة».

قال الفرنسى: «ألاترانسية ياسيدى البروفيسور (ردفورد)؟ أهذا هو السبب الذى يجعلك أنت ــ أعظم جراح أعصاب فى البلدين ــ ترفض أنقاذ حياة طفلة فى الثامنة من عمرها»؟

صرخت (جوليا): «آه.. كلا». التفتت إليها العينان السوداوتان وقد ملأتهما الدهشة. وعندئذ هبت (جوليا) واقفه وجسدها برتعد بأكمله.

أعترضها والدها عندما استدارت لتغادرهم وأحكم ذراعيه حولها وهو يقول: «(جوليا) إبنتى العزيزة» كانت (جوليا) على وشك البكاء ولكنها رفضت ترك العنان لمشاعرها أمام ذلك الفرنسى الغريب.. وحاول والدها أن يهدأ من روعها وهو يقول: «عزيزتى.. لاتنزعجى».

كان والدها شديد الغضب على الرغم من شحوب وجهه هو الآخر كما أنتصب (لوك مارشال) أيضاً وقد امتلأ وجهه بالذعر والذهول التام لهذا الموقف.

قال (مارشال) برفة: «ياآنسة... إذا كانت كلماتى قد أحدثت لك ضيقاً...» وقاطعه والدها بشدة: «لقد أحدثت ياسيو (مارشال). أجلسها والدها قبع بجوارها واضعاً يدها فى يده بينما اشحب وجه (جوليا). توجه والدها (لمارشال) قائلاً: «حيث أنك لم تقبل رفضى أجراء العملية الجراحية وحيث أنك أقتحمت منزلى طالباً تفسيراً لقولى بأننى لم أعد أجرى أى عمليات جراحية وإنما أعمل بالتدريس فقط.. فإننى سأقدم لك التفسير الذى طلبته».

وأستمر مخاطباً (مارشال): إننى لم أجر أى عمليات جراحية على مدى ثلاثة أعوام. لقد توقيت آخر مريضة بين يدىّ. كانت طفلة أيضاً. طفلة صغيرة فى الثامنة من عمرها. ولم أجر أى عملية جراحية من ذلك الوقت».

قال (لوك مارشال) بهدوء: إنك لست الجراح الوحيد الذى يفقد مريضاً ياسيدى البروفيسور». ثم أضاف: «لقد حدث ذلك مع آخرين قبل وبعد محدوده لك ولكنهم لا يزالون يستخدمون مهاراتهم لإنقاذ آخرين».

وأنتفضه والدها قائلاً: «لكننى لن أفعل». وتسارعت أنفاسه وأمتلأت عيناه بألم يخلطه غضب شديد وهو يقول: «الطفلة ياسيدى كانت ابنتى... (لوسى).. شقيقة (جوليا)».

أستدار والدها واتطلق للمنزل بخطوات ثقيلة دون أن ينظر خلفه. وحملقت (جوليا) فى (لوك مارشال) بنظرات اعتام.

وهمس (مارشال): آنستى... كيف يمكننى أن أصف لك مدى أسفى لذلك؟ فى واقع تجربتى الخاصة فإننى لا أتمنى أن أسبب آلاماً لآخرين». ثم هز كتفيه مستهجناً وقال: «كيف يمكننى أن أعرف. إنه لم يقدم أى تفسير فى خطاباته. لقد رفض ببساطة». ثم أردف: «من المفترض أن يقدم الناس إيضاحات لما يفعلون».

أخذت (جوليا) نفساً عميقاً هادئاً وهى تقول: «هذا... هذا صحيح» ثم رفعت عينيها الزرقاوتين العميقتين إلى عينيه. كانت عيناها سرقان بدموع تحاول مقاومتها وقالت: «من غير المحتمل أن يمكنك معرفة ذلك. فهو لا يتحدث عن هذا الأمر مطلقاً».

وسألته (جوليا) بنهيب: «هل... هل الطفلة قريبتك».

رد بصوت خفيض: «نعم» ورنت عيناه بنظرة حزينة للأفق البعيد. ثم أضاف قائلاً: «إنها أبنة أخي (جوليس).. لقد توفي وهي كل ما تبقى منه».

سألته جوليا برقة: «ما أسمها»؟

وأجابها بصوت يكابد الألم: «جوستين» وأردف قائلاً: «هي في الثامنة من عمرها... سمراء... تمتلئ حيوية ونشاط.. تميل للعب والأنطلاق».

وهمست (جوليا) وكأنها تحادث نفسها: «إنك تصف أختي.. فهكذا كانت (لوسي) تماماً: ثم أستدارت فجأة وقالت: «يجب أن أودعك يا مسيو (مارشال) لأذهب لوالدي».

وتبعها (مارشال) في صمت حتى وقفا عند الباب الخارجي المفتوح.

وقال بهدوء: «لقد كنت متيقناً من حصولي على مساعدة والدك لأجراء تلك الجراحة الهامة غير أن كل ما نجحت فيه هو أنني جلبت التعاسة لأناس آخرين».

وقالت (جوليا): «مسيو (مارشال)... قد يستطيع بعض الجراحين الفرنسيين إنقاذها عندما تعود لفرنسا».

نظر لها وقال بهدوء: «لا أعتقد أن هناك وقتاً يا آنستي. إن جوستين لم تعد في فرنسا. لقد أحضرها إلى أنجلترا هذا الصباح. إنها الآن بحجرة خاصة بمستشفى والدك. لقد قامرت بكل شيء في سبيل الحصول على مساعدته».

ردت (جوليا) بأسى: «أوه.. إنني آسفه جداً».

لوى (مارشال) شفتيه مبتسماً بسخرية وقال لها: «إنك إنسانه عطوفه.. ولكن الشفقه لن تنقذ (جوستين). إنها تحتاج لمهارة والدك». ثم أضاف يردد: «آنستي.. أرجو أن تسامحيني لما جلبته لكم من التعاسة.. إلى اللقاء».

تابعت (جوليا) خطواته وهو يبتعد عبر الممر ثم أغلقت الباب بإحكام.

لقد فشلت في إخفاء تعاطفها ولكن هذا الرجل بدا صارماً صعب فهمه. وسرت قشعريرة في جسدها رغماً عنها. لقد بدا كأنه يحمل أسراراً... أسراراً عميقه... وهو يلقي في النفس أحساساً قابضاً يبعث على الخوف.

وأسرعت (جوليا) إلى والدها وهي تعلم أن ما حدث قد أحيا الجرح القديم.

كانت عودتهم للمستشفى في اليوم التالي منفساً خفف عنهم ما يكابدون. لقد شعرت بالقلق تجاه والدها ولكنه لم يسمح لها بأن تقول شيئاً. فمنذ أن تركهم في الحديقة أحتجز نفسه في غرفته وكان يرد بأقتضاب عندما تذهب إليه. كان يعيش في الماضي مرة أخرى مثقلاً بالذنب والأسى. لقد أهتز كثيراً بسبب أنفعاله أمام ذلك الفرنسي حتى أنه لم يعد يجد وقتاً (لجوليا) ذاتها. فلابد إذن أن يسكن كل شيء مرة أخرى.

تسللت (جوليا) عملها من محرضة الفترة الليلية كالمعتاد وتوقفت لتتبادل معها ذلك الحديث القصير الضروري. سألتها (جوليا): «هل هناك جديد»؟

أجابتها ممرضة الفترة الليلية: «بعد جولة الطبيب (ايلتون) فقد تقرر خروج السيدة (براون) اليوم. وسمح للصغيره (سنيا) بساعتين ولكن بدون سير على قدميها. السيدة (واتكين) تثير المتاعب كالعادة» وأبتسمت الممرضة (تود) أبتسامة عريضه وأجابتها (جوليا) بأبتسامة مماثلة وهي تقول: «سيكون هذا المكان هادئاً جداً عندما تعود لمنزلها». ثم أخذت (جوليا) تُحكم وضع غطاء رأسها وتثبت ساعتها جيداً. كانت ترتدي زي العمل الأزرق اللون وفوقه معطفاً أبيض. إنها تبدو اليوم شخصاً مختلفاً تماماً. فقد لملمت أطراف شعرها الذهبي الطويل الكثيف وربطته من الخلف بعيداً عن وجهها. وكانت تغطي رأسها بغطاء أبيض أنيق وقد بدت أكثر رشاقة في زي العمل الأزرق اللون. ورغم ذلك فقد كانت الممرضة (ردفورد) جادة تماماً في تسلم عملها في رعاية مريضات جناح الجراحة النسائية بالمستشفى.

قالت (جوليا) لزميلتها برقة: من الأفضل أن تذهبي لفراشك يا (جين) فإنك تبدين متعبة.

نهضت (جين تود) قائلة: «نعم» ثم عضت على شفتها السفلى برفق وهي تقول: «كانت ليلة هادئة ولكنني أخشى أن أكون قد أخرت أمواً الأنباء للنيابة يا (جوليا). فهناك مريضة في حجرة خاصة. إنها طفلة فرنسية صغيرة مصابة بجراح في رأسها. وهي في حالة غيبوبة تفيق منها على نحو متقطع. سيقوم الطبيب (ايلتون) غداً بإجراء الجراحة لها حيث أن والدك.. حيث أن البروفيسور (ردفورد)...».

ولاذت (جين) بصمت حزين فرنت (جوليا) على ذراعها وهي تقول: «حسناً يا (جين) إنني أعلم بوجود هذه الطفلة الصغيرة وسأذهب لرؤيتها بمجرد أنتهائي من جولاتي في هذا الجناح.

قالت (جين): لقد كان والد الطفلة شديد الغضب ولم يلجأ للطبيب (ايلتون) ولم يستطيع الأتفاق معه وكاد أن يرفض بقائها بالمستشفى ولكنه في آخر الأمر أبقاها سعياً وراء أمل أخير».

قالت (جوليا) بهدوء: «مسيو (مارشال) هو عمها. لقد زارنا بالأمس».

قالت (جين): «قلبي معك يا (جوليا)... يكفيك ما مر بك من التجارب القاسية... ماذا عن... أوه... يا أمي... سأذهب الآن فكل ما أقوله يزيد الأمور سوءاً. يبدو أنني لا أستطيع التحكم في لساني. يجب أن يقتصر كلامي على تلك الليلة البغيضة التي مرت بي».

قالت (جوليا): «لا عليك يا جين» ثم نهأت للأنصراف. فهي تدرك ما كانت (جين) على وشك النطق به. كل من بالمستشفى يعرف أن خطبتها (لجراهام) قد باءت بالفشل. حدث ذلك بسرعة درامية. أسترجعت ذلك المشهد السخيف مساء أحد الأيام منذ شهر مضى:

وفي ذلك المساء أستقبلت (جوليا) قائلة: «جراهام» لقد رأيتك عصر اليوم مع فتاة جميلة... من هي؟ لم يكن الفضول من عادة (جوليا) ولا كانت الغيرة من طبيعتها. توقعت (جوليا) أجابة ضاحكة ولم تتوقع

إجابة خطيرة وصارمة كتلك التي نطق بها. لقد كانت هذه هي الفتاة التي سيتزوجها. إبنة أحد الأثرياء الذي يمكنه بسهولة أقامة مشروع خاص (لجراهام) يراول فيه مهنته لحسابه إذا أرادت (جوليا) ذلك. وهو ما فعلته.

أقامت (جوليا) من خواطرها إثر لمسة رقيقة من يد (جين) وهي تقول: «هل أنت بخير»؟

ردت (جوليا): «بالطبع... لقد كنت أفكر في عملي اليوم.. يبدو أنه سيكون يوماً مليئاً بالعمل».

قالت (جين): فعلاً... من الأفضل أن أدعك تبدأين.. أرجو ألا أكون قد صايقتك يا (جوليا)».

ردت (جوليا) بثبات: «لا... لم يحدث» ثم مدت يدها تتحسس غطاء رأسها.

هيي... كانت (جوليا) تشعر في بعض الأحيان وكأنها تغالب أنهياراً عقلياً وتكبته إلى أجل مؤخر. ولذا فقد قررت تقديم أستقالتها. وكانت تعد الأيام.

بمجرد أن خطت (جوليا) من الباب الدوار بجناح عنبر الجراحة النسائية دوى صوت السيدة (واتكينز) الحاد الواهن وهي تقول: «الممرضة (ردفورد)... الحمد لله أنك قد عدت للعمل مرة أخرى» وأرتسمت أبتسامة ساخرة على وجه الممرضة المساعدة. ثم أكتسى وجهها بجدية لاتخلو من السخرية وهي تقول (لجوليا): «هل لنا أن نذهب هنا أولاً لنتخلص أنفسنا من ذلك النقاب».

ردت (جوليا): «لن نفعل ذلك.. يمكنها أن تنتظر دورها». أخذت جوليا تتنقل من مكان لآخر بالترتيب: عادت المرضى وتفحص تقارير علاجهم. وأخيراً توقفت أمام فراش السيدة (واتكينز) العنبر مرتب كالعادة.

وأبتدرتها السيدة (واتكينز) قائلة: ممرضة (ردفورد)... أريدك أن

fitlas.com
منتدى الياس الثقافي

نستشيرى الطبيب اليوم لأننى أنوى العودة للمنزل فى الغد على أقصى تقدير».

وردت (جوليا) بهدوء: «إن ساقك لم تلتئم بعد يا سيدة (واتكينز)». ثم أومأت للممرضة المساعدة التى سارت إلى الجانب المقابل من الفراش ثم أخذا يرتبانه سوياً.

وانطلق الصوت الحاد للسيدة (واتكينز) قائلاً: حقا شاهدتها غريبكما... فهتمان بالفراش أكثر من المريض. فما أهمية الفراش المرتب؟

أجابت (جوليا) بلهجة حادة: لا شىء خطير... غير أنه هام وطيب لعنوباتك ولعنوباتنا فلو ظهرنا جميعاً بمظهر نظيف وجميل فإن اليوم سيأخذ مظهراً مغايراً. وفى حالتك أيضاً فإنه يمكننى بلمحة سريعة إدراك ما إذا كنت تسللين من فراشك أم لا. إن ساقك لن تبرأ إلا إذا تحنبت تحريكها. ولا يوجد لدينا العدد الكافى من العاملين لمراقبتك طول الوقت. وكما تعرفين فيجب عليك أن تتحملى بعضاً من المسئولية بخصوص صحتك.

تمتمت السيدة (واتكينز) قائلة: «حسناً.. إننى لا آبه بك غير أننى لا أفعل شيئاً لساقى على الأطلاق». ثم حلقت فى الممرضة المساعدة وهى تقول: «إنها إنسانة قطة».

قالت (جوليا) بحدة: «بمجرد خروجنا من هنا فسأوجه لها تأنيب رسمى» وغمزت بعينها للممرضة المساعدة بينما كانا تستديران مبتعدتين.

وقالت السيدة (واتكينز) بصوت ساخر منبطح: «حسناً. وعندئذ فسألتزم الهدوء».

إبتسمت الممرضة المساعدة وهى تهمس: «أريد أن أخرج للممر وأصرخ بأعلى صوتى».

وتمتمت (جوليا): «أفعلى أى شىء يبقيها فى فراشها. فهذا المعدل ستبقى هنا للأبد».

وعادت جوليا لغرفة مكتبها بعد أن كتبت قائمة بعلاجات الصباح

وناولتها للممرضة المساعدة.

لقد أصبحت بمفردها الآن وهى تدرك كم حاولت التأجيل.. ولكن لابد من مواجهة الموقف... وبدون أن يصدر أى صوت من خطواتها سارت بهدوء عبر الممر إلى تلك الغرفة التى تضم مريضتهم الخاصة ذات الشعر الداكن واللانهاية أعوام التى كانت ذات يوم لاتكف عن اللهو والأنطلاق.

كانت أحدى الممرضات تقف خارج الغرفة وقد أرتسم على وجهها القلق الواضح والتشتت مابين الأوامر المتضاربة.

توقفت (جوليا) بجوارها وسألتها وقد برقت عيناها الزرقاوتان العميقتان: «مالمشكلة يا ممرضة (جيمس)؟»

أجابت الممرضة بأضطراب: «من المفروض أن أبقى مع الطفلة الفرنسية وأبلغ أى تغيير يطرأ على حالتها غير أن ذاك الرجل قد دخل الغرفة وطلب منى الأنتظار بالخارج. ولست أدرى ماذا أفعل».

كانت الممرضه صغيره السن وقد بدا أضطرابها جلياً فأشارت لها (جوليا) قائلة: «إذهبى إلى غرفة مكتبى وضعى إبريق الشاى على الموقد. وسوف أستدعاك بعد قليل». كانت (جوليا) تعرف من الموجود بالحجرة وهى تعلم أنه ليس بالأمر الهين بالنسبة للممرضة (جيمس) كما أنه ليس بالأمر الهين لها هى أيضاً. وعلى أية حال فعليها أن تتحمل المسئولية الآن. نفضت (جوليا) قامتها ودخلت الغرفة.

كان (لوك مارشال) جالساً بجوار الفراش بهيئته ولونه البرونزى وقد أمسكت يداه برفق بيد الطفلة الراقدة بلا حراك. وعندما سمع صوت الباب أستدار سريعاً بوجه غاضب متوقعاً أن يرى تلك الممرضة الصغيرة التى أرسلها خارج الغرفة. ولكنه بهض ببطء عندما رأى (جوليا) بينما رأت على وجهه تعبيراً ساحراً لم تره فى حياتها.

همس (مارشال): «أسنة (ردفورد)» وأخذ يتفحصها بدءاً من شعرها الصفف بعناية كبيرة وغطاء رأسها الجميل وزيها الأزرق الداكن الذى

lilas.com
منتدى ليلاس الثقافى

ترتديه تحت البالطو الأبيض.

تساءل (مارشال) متهرماً: «المرضة (ردفورد)... إنك تبدين صغيرة.. ربما اصغر من طفلة».

ردت (جوليا) بحدة: «أربعة وعشرون عاماً يامسيو (مارشال)» كانت جوليا تتحدث وهي غير مستعده لتلك الموجه من الوخزات المفاجئة التي تنتابها عندما تلاقي عيونهم.

وقالت (جوليا): «يجب أن تعلم بأن هذه الغرفة تقع في نطاق مسئوليتي اليوم وليس لك الحق في أقصاء المرضة خارجها».

ورد بصوت مطمئن: «لم يكن لها حاجة في ذلك الوقت».

كانت (جوليا) متأكدة أن هناك مايشغل فكره عن استجواب الموقف وإلا لما سمح لها بالحديث بهذا الأسلوب.

وعندئذ أضاف (مارشال) بحدة: «على أي حال فهذه حجرة خاصة» وبدا كأنه يستعيد طبيعته بسرعة.

ردت (جوليا) بنفس الحدة وهي تخطو نحو الفراش ناظرة للطفلة: «ولكنها لاتزال تحت رعايتي ياسيدي».

وأستجمعت (جوليا) كل شجاعتها وأخذت نفساً عميقاً قبل أن تجبر على تركيز عينيها على الوجه الصغير. لم يكن به أثر للحياة. أحاط اللون الأزرق بالعينين المغلقتين. أرتسم شبح الموت على الوجنتين الشاحبتين. ويحركه آلية مدت يدها لتختبر نبض الطفلة. كان واهياً لايكاد يُلحظ».

وسألت بحده: «كم مضى عليها من الوقت وهي بهذه الحالة؟» وأتجهت (جوليا) إلى جهاز موضوع على منضدة جانبيه وبدأت تعاين قراءة ضغط دم الطفلة بينما رد (مارشال) بأقتضاب: «بهذه الحالة الراهنة؟ منذ الصباح» ثم أضاف: «إنها لاتزال في غيبوبه تفيق منها ثم تعود إليها بدون أن تتعرف علي. لقد بدت بعد الحادث وكأنها على مايرام بينما أودت حادثة التصادم بحياة والدتها ولم يبد عليها سوى الأصابة ببعض الخدوش. ومؤخراً بدأت تتصرف بطريقة غريبة ثم بدأت تشكو من

عدم قدرتها على تحريك ذراعها. ولم تظهر الأشعة الصينية أي شيء... وأخيراً وجدنا السبب...».

اكملت (جوليا) بهدوء بينما كانت تقرأ ضغط دم الطفلة: «ضغط على المخ».

وأجابها: «نعم» وقد أستحال صوته خشناً أجشاً ولكنها تجاهلته تماماً ومدت يدها تتناول تقرير العلاج المثبت بجانب فراش الطفلة وأخذت تقرأه. أتضح لها أن حاله الطفلة قد تدهورت بسرعة خلال الفترة الوجيزة التي قضتها بالمستشفى. وقبل أن تجرى العملية التي تقرر لها الغد فإن الطفلة ستلقى حتفها. وعلاوة على ذلك فإن الطبيب (ديريك إيلتون) لاتتوافر له مهارات والدها المتميزة.

أتجهت (جوليا) إلى باب الغرفة فوجدت المرضة (جيس) قد عادت تحوم بقلق أمام الغرفة.

قالت لها (جوليا) بلهجة آمرة: «ممرضة (جيس)... أذهبي للجناح وأبقي هناك. ولترسلي المرضة المساعدة إلى هنا وأخبريها أن تنتظرني داخل الغرفة». وضغطت جوليا على كلمة «داخل» لتؤكدها.

قالت المرضة الصغيرة وهي تكاد تعدو: «أمرك.. ممرضة (ردفورد)».

أستدارت (جوليا) وسارت عبر الممر. ينبغي أن يكون والدها في المستشفى الآن. فلديه محاضرة في التاسعة ويجب أن ينتهي منها الآن.

عادت (جوليا) بعد خمس عشرة دقيقة ومعها أحد الممرضين يسحب وراءه منضدة متحركة من ذلك النوع الذي يستخدم لنقل المرضى في المستشفيات. فتح باب الغرفة على مصراعيه وكان هناك (مارشال) بعينيه القاتمتين.

أنسحت حدقتاه. وهو يصيح بحرارة: «آنسة» وطبعت نظرته الخاطفة أحساساً رهيباً على وجه المرضة المساعدة التي تسمرت في مكانها بجوار الفراش. إن (جوليا) تعرف هذا الأحساس جيداً.

lilas.com

صححت (جوليا) كلمته بحدة: «ممرضة من فضلك». فإذا لم يكن هناك بد من المصاعب فيجب أن تتصرف بما يحفظ هيبتها. قالت (جوليا): «هل لك أن تنتظر خارج الغرفة يا مسيو (مارشال)» ثم أستدارت مهملة إياه وهي تقول «يمكنك أستخدام غرفة المكتب الموجودة بنهاية الممر».

ثم خاطبت الممرضة المساعدة: «حسناً. دعينا نجهز المريضة لأجراء الجراحة».

وتمتم (مارشال): «آنسة... ممرضة (ردفورد).. من المفروض أن تجرى الجراحة في الغد.. قد يمكنني أقناع والدك خلال هذه الفتـ . فليس لدى ثقة كبيرة في هذا السيد (ايلتون)».

وردت (جوليا) بلهجة عملية جادة: إن السيد (ايلتون) جراح بارع وعلى كل حال فهو لن يقوم بإجراء الجراحة.»

وصاح (مارشال) غير مصدقه: «والدك؟» وبرقت عيناه بالأمل.

قالت (جوليا) نبات: مسيو (مارشال) سوف يبدأ البروفيسور (ردفورد) أجراء الجراحة بمجرد أدخالنا أبنة أخيك إلى حجره العمليات. ولذلك فكلما أسرعت بتنفيذ التعليمات وغادرت المكان.. كلما كان ذلك أفضل.»

أرتسمت على شفتيه أبتسامة رضا أضاءت صفحة وجهه الصارم وهو يده ممسكاً بيد (جوليا). وهمس بهدوء كاد يبلغ حد الأنكسار: «شكراً لك ممرضة ردفورد... لقد تمكنت من أقناعه... إنني لن أكف عن الأمتنان لك».

قالت (جوليا) بهدوء: «إنه ليس الها ياسيدي». وأستشعرت وخزاً يسري بيدها من أثر ملامستها لتلك الأصابع القوية الدافئة. وأضافت: «إن الطفلة مريضة جداً جداً.»

أجابها وقد ثبتت عيناه على وجهها: «أنا أعي ذلك تماماً وكانت عيناه الغامضتان تتركزان على وجهها وهو يقول: «ورغم ذلك فإن والدك

في هذه اللحظة أقرب ما يكون إلى الأله الذي يجب أن أشكره.... وأما أنت... فلاك جميل... صارم وجاد أرسل لمساعدة (جوسلين) وأيا كان ما تقولينه لي فسأتقبله».

أجابت (جوليا) بصراحة: «ليس مطلوباً منك يا مسيو (مارشال) سوى الجلوس في غرفة مكتبك ودعنا نمارس عملنا».

قال (مارشال) بهدوء: «لك الطاعة يا ممرضة (ردفورد)» ولثم يدها ثم غادر المكان.

تلاقت عينا (جوليا) مع عيني الممرضه المساعده اللتين ملأهما الذهول أيضاً. غير أنه لم يكن هناك وقت لألتقاط الأنفاس حيث أنصب كل أهتمامها على الوجه الصغير الشاحب الذي يرقد على الوساده البيضاء.

بدأت (جوليا) العمل في توافق تام وألفة كاملة مع الممرضة المساعدة مع أحترام كل منها لقدرات الأخرى.

أخيراً وصلت منضده العمليات لنهاية الممر. كانت الممرضة المساعده تمشي بجوارها بينما أستدارت (جوليا) على عقبيها وأتجهت لغرفة مكتبها. توقفت (جوليا) عند باب مفتوح وخاطبت أحدى الممرضات «عليك برفع أغطية الفراش في الحجرة الخاصة.» ثم أستكملت سيرها لتواجه ذلك الفرنسي.

قال (مارشال): «لقد رأيتهم يأخذونها.. ألن تذهبي معهم؟»

وردت (جوليا) بصوت مرهق: «إنني لست ممرضة عمليات يا سيدي» ثم أضافت: «فلتتفضل بالجلوس حيث يمكنك أن تتناول معي قدحاً من الشاي».

بقي (مارشال) واقفاً وقال بصوت أجش: «إنني أريد.... إنني أفضل لو أنك كنت معها» أستلقت (جوليا) على مقعدها ثم أخذت تنظر بجهد جهيد لقامته المديرة وعينيه الزرقاء الغامضة وقد أمتلئت ثقة وهدوء. قالت (جوليا): إنني لم أتلق تدريبا بخصوص العمليات الجراحية».

lilas.com
منتدى ليلاس الثقافي

ثم أضافت: سأنتظر خروجها من غرفة العمليات وعندئذ يمكنني مساعدتها».

قال (مارشال) ببرود: كيف يمكنك ذلك؟». إنها ستكون واحدة من كتيرين. فلديك العديد من المرضى. ولن تحظى (جوستين) من اهتمامك بأكثر من قسطها المفروض. فكيف يمكنك أن تجمعي بين وجودك في هذا المكان ووجودك في غرفتها في نفس الوقت».

أخذت (جوليا) نفساً عميقاً ثم نهضت أزاحت أحدى الستائر المقابلة لمكتبها فظهرت أمامهم غرفة صغيرة يتوسطها فراش بها تنتشر الأجهزة الطبية في أرجائها.

قالت (جوليا) «أسوضع ابنة أخيك في غرفة العناية المركزة يامسيو (مارشال) وسأضع عيني عليها معظم الوقت حيث سأقوم بتمريضها خلال الأيام القادمة وهو أفضل ما يمكنني عمله. والآن فلنتفضل بالجلوس».

وناولته قدح الشاي فأخذه منها وقد بدت في عينيه نظرة قلقة. ألتقت عيناه الزرقاء الغامضة لا بعينيها ولاحظ نظراتها المتفرسة.

سألها بأقتضاب: «ما هي فرص نجاح الجراحة في رأيك»؟

وردت بهدوء: «يمكنني فقط أن أخبرك بأن والدي هو الأفضل» وحولت نظرها إلى جناح مريضات الجراحة النسائية.

قالت (جوليا) بتردد: «إذا... إذا ماتت... فأعتقد أن ذلك سيقتل والدي... أنا لا أتصور أن بإمكانه مواجهة هذا الموقف مرتين... وهي تشبه... تشبه (لوسي) إلى حد كبير».

قال (مارشال) برقة: «وقد كنت أنت التي أقنعته».

غرست (جوليا) أسنانها البيضاء في شفتها السفلى وهي تقول: «كان ذلك لسببين» وشردت بعينيها بعيداً. وقالت بصوت عميق كأنه يأتي من الماضي السحيق: «إن ابنة أخيك في حاجة إليه كما أنه هو الآخر بحاجة إليها. ولا يمكن لأي إنسان آخر أن يقوم مقامها. إذا كتبت له الحياة فأعتقد أنه سيعود لممارسة ما وطن نفسه عليه وهو أنقاذ حياة

الآخرين. أما إذا ماتت....»

ولم تستطع أن تكمل جملتها بينما نظر إليها (مارشال) بإمعان وقال برقة: إنك تمتلكين الكثير من الشجاعة والشفافة... إن ذلك يتبدى في عينيك وفي فمك.. إنني حتى لم الحظ وجودك بالأمس. أما الآن فهما حدث فأعتقد أنني قد غيرت حيالك».

أحست (جوليا) برعدة باردة يسري أوصالها فأستجمعت كل حنكها العملية لتحفظ بوجهها خالياً من أي تعبير. ولم تكن متأكدة إذا كان قد أدرك هذه الرعد التي أجتاحها أم لا. كانت عيناه الغامضتان تحدقان فيها بلا شفقة فنهضت (جوليا) متجهة إلى جناح مريضات الجراحة النسائية.

قالت (جوليا) بلهجة سريعة: «سوف يأخذ الأمر بعض الوقت يامسيو (مارشال). وأنا مشغولة جداً الآن. وإذا أردت الأتصال بي تليفونيا بعد حوالي ثلاث ساعات فقد يمكنني أن أنقل لك بعض الأخبار».

أومأ (مارشال) موافقاً ولكنه تساءل: «هل يمكنني الأتصال بك شخصياً... ممرضة (ردفورد)».

أجابت (جوليا): «نعم». وأستأذنك الآن في الأنصراف».

قال (مارشال): «سأعود إلى الفندق الذي أقيم به... فلا أريد أن أعطلك عن أداء عملك... وشكراً لمساعدتك وعطفك».

أنحنى أمامها تلك الأنحناءة البسيطة الجافة: «وفجأة بدا إنساناً أجنبياً تماماً. لم تلحظ (جوليا) ذلك من قبل. كان رجلاً غامضاً صامتاً وأحست بأن الخاطر خف به. كان ذلك مجرد أحساس ولكنه كان قوياً غالباً. وهي لا تريده أن يغير حياتها. ولا تريده في حياتها أساساً.

لقد فعلت لأجله الكثير ولكنها كانت ستفعل ذلك لأي إنسان آخر. ورغم ذلك خالجها شعور مخيف بأنه قد أصبح له بعض الوصايه عليها. تبعاً لذلك القول القديم: «إذا أنقذت حياتي فإنك تصبح مسئولاً عنها».

liilas.com
منتدى ليلاس الإلكتروني

كان (مارشال) غاضباً لأن (جوليا) لم تصحب (جوستين) فى حجرة العمليات. وشعر بالغيرة لأن المريضات سيشاركن (جوستين) فى وقت (جوليا). ولكن منظر الحجرة القريبة من غرفة مكتب (جوليا) جعله يلوذ بالصمت.

خرج (مارشال) وتابعته (جوليا) بنظراتها وهو يبتعد: طويلاً قامتاً ومتثلثاً بالرجولة. ولكنها تعرف أن بداخله بعض التحضر الذى يكمن تحت السطح فى انتظار الأنفجار إذا ما فشلت هذه العملية الجراحية.

مررت (جوليا) يدها فوق معطفها الأبيض وهى تسرع إلى جناح مريضات الجراحة النسائية. فالعمل الجاد هو الشىء الوحيد الذى يمكنه أن يصرف تفكيرها بعيداً عن حجرة العمليات حيث ترقد الطفلة الصغيرة بين يدى والدها الماهرة. كما أنه سيشغلها عن تلك الصور المزعجة التى بدأت ترسمها (لوك مارشال).

وأخيراً أقبل والدها وكان بريق عينيه ينبأها بكل ماتريد معرفته. وبمجرد رؤيته صاحت (جوليا) بأنفاس لاهثة: «أبى.... كيف حالها؟» ثم جذبته إلى غرفة المكتب وأغلقت الباب.

أجابها والدها: «هى بخير.... وسيحضرونها لك حالاً.... فقد نجحت الجراحة يا عزيزتى» وطوقها بذراعيه وضمها بشدة وهو يقول بصوت هادىء: «ربما يمكننى الآن أن أحيا مرة أخرى.... لقد كنت لحاجة هذا الأمر لكى يعيدنى مرة أخرى للحياة.... لأبنتى الأخرى... شكراً لك يا (جوليا)... لقد كنت أكثر شجاعة منى».

عندما أتصل بها (لوك مارشال) تليفونياً كانت الدموع لاتزال تملأ عينيها ولكنها كانت دموع السعادة.

وسأل (مارشال) بصوت قلق: «المرضة (ردفورد)؟» عندئذ أستيقظت كل حواسها وصاحت بسعادة بالغة: «إنها موجودة لدى الآن ياسيدى ويمكننى رؤيتها من مكانى هذا ولكنها ستظل تحت تأثير المخدر حتى الغد.

سألها (مارشال) بإلحاح: «هل يمكننى رؤيتها الآن؟... هل ستسمحين لى بذلك؟» عندئذ أنطلقت ضحكتها وتفجرت ينابيع السعادة بداخلها وهى تقول: «يمكنك أن تأتى إلى غرفة مكتبى وتشاهدها من خلال النافذة الزجاجية... يمكنك أن تحطم كل القواعد... وإذا وجه لك أى إنسان سؤالاً فإننى سأفجر نوبة غضبى».

قال (مارشال) ضاحكا: لست أدرى ماذا تعنى «نوبة» هذه غير أننى متأكد أنك مادمت ستفجرينها فإنها ستكون حادة وقوية خاصة لو كنت بمثل حالتك هذا الصباح عندما أرسلتُ المرضه خارج الغرفة» ثم علا صوته وهو يقول بحسم: «سأكون لديك خلال عشرين دقيقة وسيكون سلوكى على أفضل ما يمكن».

وضعت (جوليا) سماعة التليفون.. ولأول مرة منذ مدة طويلة... كانت تبتسم بسعادة.

الفصـــــل الثانى

سرعان ما جاء (لوك مارشال) بعد انتهاء المكالمة ومكث مع (جوليا) فى غرفة مكتبها. وأخذ يحدق فى (جوسين) بوجه مضطرب ونظرات جامدة. لم يكن هناك ما يمكن رؤيته سوى الوجه الصغير الأبيض والرأس المحاط بالضمادات بعناية ورغم ذلك كان بصره لا يكاد ينصرف عنها. لم تلحظ (جوليا) أى أثر لتلك الروح المرحة الخالية من الهموم والتى سرت إليها من خلال التليفون. كان صامتاً كئيباً وقد أنصرف وجهه برقب ابنة أخيه فى أستغراق تام.

ونصفحت عيناه وجه (جوليا) وهو يقول: «هل ستولين رعايتها جيداً.. ممرضة (ردفورد)؟»

ردت جوليا ببساطة: «إنها مريضتى يا مسيو مارشال» ولكنه أدخل الروح إلى قلبها وهو يرد بقوة: «يجب أن تكون (جوسين) أكثر من ذلك بالنسبة لك يا آنستى. لقد عانت بما فيه الكفاية ولا يكفى أن تبقى على قيد الحياة. بل يجب أن تكون سعيدة... آمنة بدون أدنى شك».

قالت (جوليا) بصوت جاف: «يمكننى أن أعدك بكل ذلك أثناء وجودها فى رعايتى يا مسيو (مارشال)» ثم أضافت: «إن السعادة لا تُمنح ولكننى سأفعل ما بوسعى».

أستدار (مارشال) بكامله ناظراً إليها وقد أستند بمرفقين على مكتبها واضعاً ساقاً فوق أخرى وقد نجلت أساقته ثم قال لها: «مادامت معك فستكون فى أمان» تعلق بهذه الكلمات بينما كان يرقب وجهها فى تحقر لم أستطرد قائلاً: «كنت أتمنى أن تكونين معها طوال الوقت رغم معرفتى بأن ذلك سيؤثر على عملك».

قالت (جوليا) بنبكم: «مسيو (مارشال)... شكراً لك على حسن ظنك وسلوكك الطيب كل هذا الوقت» وبينما كان يحدق فيها أستطردت (جوليا) قائلة: «إن ممرضة الفترة الليلية ماهرة جداً وسكون الطفلة نائمة أغلب الوقت ثم أتسلم أنا العمل فى الصباح».

وسألها (مارشال): «وماذا عن أجازاتك».

قالت (جوليا) بهدوء: «لدينا نقص فى عدد العاملين» وأستدارت ترنو إلى ذلك الجسد الضئيل المسجى فى الفراش ثم أردفت قائلة: «طالما أبقى بهذه الحالة فيمكننى ترتيب تواجدى هنا يومياً. ولا أعتقد أن هناك من سيعترض على ذلك».

قال (مارشال) بإمتنان: «شكراً لك آنسة.... آ.... ممرضة (ردفورد)» صحح (مارشال) خطأه بواحدة من أبتساماته النادرة وقد بدا رأسه منغمراً بالتفكير العميق وهو يرقب أبنة أخيه.

وأضاف (مارشال): «لم أتوقع أن أصبح مديناً بالشكر إلى هذا الحد لفتاة إنجليزية».

قالت (جوليا) بسخرية بادية: «إنه واجبى يا سيدى»... لقد بدأت تنزعج من نظراته المركزة إذا لم تأخذ حذرها فإن هذا الرجل وتلك الطفلة سيقرون حياتها. لقد أستعرت تحذيراً غريزياً وكان رد فعلها سريعاً وحذراً فهى ليست بحاجه لمزيد من الأحباط فى حياتها.

قال لها (مارشال) بهدوء: «لم يكن واجبك أن تقنعى والدك بالممرضه (ردفورد)».

قالت (جوليا): لم يكن هناك بديل آخر وعلى أية حال فهو سعيد

lilas.com
منتدى ليلاس الثقافى

وأعتقد أن كل ما قد أسعدنه النتيجة يا سيدى. والآن أحدثني مضطره أن أطلب منك المغادره إذا لم يكن فى ذلك ما يضايقك. فيجب أن أستعد لتسلم العمل لممرضة الفترة الليلية».

لم يكن ذلك هو رد فعلها التلقائى المجرد تجاه أى أخلال بهدوء جناح مريضات الجراحة النسائية ونظامه المحكم لكنها أحست وكأنها تغالب قوة ردود أفعالهم بعد أجراء جراحة ناجحة تختلف كثيراً عن رد فعل ذلك القريب المثير. فلم تختف صرامته على الأطلاق إذ بعد ذلك الانهيار الأولى للسعادة عاد إلى وضعه الطبيعى.. إذا كان ذلك هو وضعه الطبيعى. لقد عاد إلى القلق والترقب مما أوجد لديها أحساساً بالحذر كما لو كان عليهم أن يتحدثوا دائماً بأحتراس.

سيغادر (مارشال) المكان مكرهاً رغم أنه لم يكن يريد أن يعرض فرص شفاء أبنة أخية للخطر.

بينما كان يغادر المكان ظهر (جراهام) آتياً لغرفة المكتب. نظر (مارشال) (لجوليا) وأرتفع حاجباه فى دهشة لذلك التعبير المفاجىء الذى طرأ على وجهها حيث بدت عيناها باردة خالية من الشفقة.

وتمتم (مارشال): «طبيب» وذلك عندما رأى المعطف الأبيض والسماعة الطبية فى جيب (جراهام). عندئذ ألتفت (لجوليا) قائلاً: «أرجو ألا يكون وجودى يسبب لك أى متاعب.... ممرضة (ردفورد)».

وأندفعت (جوليا) قائلة فى حدة: «لا تقلق» وقد كادت لا تلحظ (مارشال) فى طيات تيار القسوة الذى أجتاحها عندما رأت (جراهام). وقالت (جوليا): ليس لديه سلطة عمل شىء... كما أن هذا الجناح يخصنى حتى أسلمه للممرضة (نود).

قال (مارشال): «إذن دعينى أقول لك: طاب مساؤك وسوف آتى فى الغد».

عندما وصل (جراهام) لباب الحجرة كان (مارشال) يترك المكان بينما همست (جوليا) بالخروج فلم يكن لديها أدنى أستعداد للقاء مع (جراهام

أدمر) فى حجرة المكتب.

وبينما كان (مارشال) يبتعد عبر الممر المضاء سألت (جوليا) ببرود: «هل تريد شيئاً.. طبيب (جراهام)».

أجابها (جراهام): أوه... بحق الآلهة يا (جوليا)... لا تكونى بهذه الصورة يا عزيزتى» وحاول (جراهام) الأمساك بيدها فتصلبت (جوليا) وأتخذت وضعاً يكاد يكون قتالياً وأرتفعت رأسها فى صرامة منتزعة يدها من بين الأصابع الممتدة.

أرتفعت نبرة صوتها وهى تقول: «إذا كانت هذه زيارة شخصية فأرجوا أن تغادر الجناح».

غمغم (جراهام) وأطلق زفرات غاضبة مدركاً خيبة مسعاه فأستدار بعنف وسار عبر الممر الصغير متجهاً إلى الممر الرئيسى. أستندت (جوليا) إلى الباب وقد تراخى كتفاها المنتصبان وشحب وجهها. لقد كانت على حق عندما لم تدع أحداً غيرها يعرف بهذا الأمر. كانت صفعة قاسية عندما هجرها (جراهام) من أجل المال وتأمين مستقبله. قد يصل للقمة سريعاً فهو يسحق كل من يعترض سبيله.

مدت (جوليا) يدها تمسح دموع القسوة التى ملأت عينيها. وفى هذه اللحظة فقط رأت ذلك الفرنسى يقف على مقربة فى الممر الرئيسى وقد تركزت عيناه العاصفتان عليها وأمتلأ وجهه بالعديد من الأسئلة الصامتة.

تراجع (مارشال) خطوة فى أتجاهها وهو يقول بهدوء: «ممرضة ردفورد؟» لكنها أستدارت سريعاً وأتجهت إلى جناح المرضى. فهى لا تريده أن يذكرها الآن بأن أمورها الشخصية لا يجب أن تكون على حساب مصلحة أبنة أخيه. لم يكن لديه شك فى أنه سيعود ليقول ذلك.

أحست (جوليا) بسعادة عند نهاية اليوم فقد كان يوماً مشحوناً بالعمل مليئاً بالمواقف الصعبة والمنعطفات الخرجة. وقد كانت نهايته مثيرة بوصول (جراهام) وذلك الموقف المستبد لهذا الفرنسى. شعرت برغبة قوية فى العودة لوالدها لتشاركه فرحته بما أنجزه ولترى وجهه وقد أستعاد أشراقه

وسعادته الهادئة التي ألفها طوال حياته. غطت (جوليا) كتفيها بوشاح ذي خطوط حمراء وخرجت من الباب الرئيسي للمستشفى هابطة درجات السلم الواسعة.

كان (جراهام) في انتظارها وأقتحم طريقها قبل أن تستطيع الابتعاد عنه.

قال (جراهام): «(جوليا)..... يجب أن أتحدث إليك وعليّ أن أحصل على فرصة لذلك». وجذب ذراعها ولكنها أسرعتها منه بعيداً وأستدارت إليه وقد ملأها الغيظ والحنق وهي تقول:

«كيف تجرؤ على محادثتي في هذا المكان حيث يمكن لأي أحد أن يرانا؟» ثم أضافت بغضب مكتوم: «كيف تجرؤ على محادثتي أساساً بعد كل ما فعلته؟»

قال (جراهام) بتوسل: «إنني لازلت أحبك يا (جوليا)... هل تعلمين ما يحدث لي كل يوم وأريد أن أضمك بين ذراعي؟ إنني لم يتغير شيء من ناحيتي».

قالت (جوليا) بقسوة وحدة: لكنك تغيرت فعلاً.. وأنت الآن مرتبط بأمرأة أخرى وتستعد لحياة جديدة... وأنت على وشك الزواج».

تمتم (جراهام): «إنك لا تعرفينها يا عزيزتي... إن وجهها يشع بالأحباط. ولم يكن لي رغبة في ذلك ولكنها تمتلك مقدرة فائقة على الأقناع. وكان علي أن أفكر في مستقبلي..... إنني لم أجد جراحاً كبيراً يتولى رعايتي».

قالت (جوليا) بتهكم: «وأين أيضاً لم يجد من يمد له يد العون في بداية طريقه» وأعتلت عيناها بدموع غاضبة خجلى وهي تقول: «لقد عمل من أجل تحقيق النجاح ولكنه لم يبع نفسه له».

وهمس (جراهام) عندما رأى دموعها: «(جوليا)» وأمتدت يده مرة أخرى تلامس ذراعها ولكنه أبتعد فجأة عندما أتاهما صوت رابط الجأش أجفلت له (جوليا) حتى كادت تقفز من مكانها وقد أملأ وجهها

بالأرتباك بينما فارت دموع عينيها.

ظهر (لوك مارشال) من حيث لا يدرون وقال بصوت هادىء: «ها أنت هنا أخيراً. لقد ظننت أنني لن أحدك على الأطلاق... ها هي سيارتي تنتظر قريباً من هنا». لقد بدا وكأنه يحلق فوقهم بقامته الفارعة وقد أدرك الجو المفعم بالألم الذي كان سائداً بينهما.

أمسك (مارشال) بذراع (جوليا) بثبات بعيداً عن (جراهام) متجهاً إلى حيث تقف سيارته. وتساءل مارشال برقة: هل تحضرين سيارتك الخاصة إلى المستشفى... آنستي؟»

ردت (جوليا): «كلا... فالأمر لا يستحق. وفي العادة فإنني أستخدم المواصلات العامة».

أحست (جوليا) أن جسدها يرتعد ولابد أنه شعر بذلك إذا أحكم قبضته حول ذراعها. قالت (جوليا) بصوت صارم: «سوف أستخدم المواصلات العامة إذا لم يكن في ذلك ما يضايقك؟

ورد (مارشال) بهدوء: «سوف آخذك إلى المنزل» ثم فتح لها باب السيارة. كانت (جوليا) مرهقة لدرجة أنها لم تقو على الرفض. ظل (جراهام) واقفاً بمكانه يصوب نظرات البغض والعداوة إلى ذلك الفرنسي دون أن يستطيع الأعتراض.

أبتعد (مارشال) بالسيارة دون أن تبدو منه أدنى التفاته لحماة (جراهام أداس) الممتلىء غضباً. وبعد برهة... أستجمعت (جوليا) قواها لتسأله بتهيب: «إنك.... إنك لم تكن تنتظرني في الحقيقة.. أليس كذلك؟»

أجاب (مارشال) بلهجة تأكيدية: «في الحقيقة... كنت أنتظرك». فإنني لم أستطع تمالك نفسي عندما لاحظت أضطرابك عند لقائك بهذا الطبيب في المستشفى رغم أنني رأيته يطيع أوامرك مثلما يفعل الآخرون. ولقد رأيته ينتظر بالخارج فدار بخلدي أن يكون في أنتظار خروجك».

قالت (جوليا) بجدية: «شكراً لك يا سيدي ولكنني لست بحاجة لحمايتي من العاملين بالمستشفى. كما أنه ليس من عادتي أن أوافق على

lilas.com

ركوب سيارات أقارب مرضاى».

ورد (مارشال) بنفس الجدية: «إن مريضتك هى السبب الوحيد لوجودى هنا... يا آنستى... إننى لا أريد أن أسبب لك أزعاجاً وأتمنى أن تهدئى الآن تماماً. لقد قمت بعمل الأستعلامات عنك وتوصلت إلى أنك ممرضة فريدة الطراز حسب مايقولون فإن هذا هو سبب ترقيتك كبيرة للممرضات رغم حداثة سنك. وقيل لى أيضاً أن خطيبك قد هجرك إلى فتاة أخرى ذات أمكانيات أفضل. وإذا كان قد بدأ يعود إليك فلأنه أدرك أن النقود ليست هى أهم مايبحث عنه الرجل لدى المرأة. وفى هذه الحالة فإنه سيسبب لك أزعاجاً متواصلاً... وأنا لا أنوى الوقوف متفرجاً بينما يحدث لك ذلك».

صاحت (جوليا) بأستنكار: «كيف تجرأت على ذلك؟».

ثم صمتت لمدة ثلاث ثوان كاملة لكى تستوعب حديثه الطويل وتلتقط أنفاسها فى مواجهة هذا التدخل الصريح ثم قالت: «كيف تجرأت على التطفل على حياتى الخاصة والتدخل فى شىء لا يعنيك أنت على الأقل».

وأنطلقت كلماته محتدة: «طالما أن (جوستين) فى رعايتك فليست لك حياة خاصة فيما يرتبط بى ولقد أنقذت أنت حياتها بالفعل».

صاحت (جوليا) بعصبية: «لقد فعل والدى ذلك و...» ولكنه لم يسمح لها بالأستمرار فقاطعها قائلاً:

«لقد كانت على وشك الهلاك. فقد رأيت وجهك عندما رأيتها بحجرها لأول مرة. ولم تحاول الممرضة الأخرى عمل شىء بمجرد أن سلمتها لك. وكانت قانعة بمحاولة إبقاء حالتها على ماهى عليه. فهى لم تر مارأيته أنت. وتصرفت أنت بسرعة وشجاعة ومهارة. لقد أنقذت حياتها وكان والدك مجرد أداه أستخدمتها لمعاونتك.. وطالما الأمر يرتبط بى فإننى أرانى الأفضل و(جوستين) تحتاج الأفضل. ولسوف أحميك من أى مضايقة حتى لو تطلب ذلك أن أتتبعك أو أن آتى بك من أى مكان أو أن

أوصلك للمستشفى أو أن أستخدم القوة لإيقاف ذلك الطبيب عند حده. لن أسمح لأى شىء أو أى إنسان أن يقف حائلاً مابينك وبين (جوستين).

كانت (جوليا) صامته تماماً. فلم يحدث على مدى حياتها أن تصرف أحد تجاهها بمثل هذا الأسلوب ولم يحدث أن رفعها أحد إلى تلك المنزلة السامية بحيث لا يعدو الأخرين إلا أن يكونوا ذوى أعتبارات ثانوية لا أهمية لها. لقد عرفت المشاكل بمجرد أن رأت مسيو (مارشال) ولكن لم يكن لديها تصور واضح لنوعية هذه المشاكل ولم تتصور أن تتخذ هذا الشكل.

خاطبته (جوليا) برفق: «مسيو (مارشال)».

لقد أصبح أسلوبها حذراً فى مواجهة ثقته الواضحة فى قدراته المتميزة. وأستطردت بصوت هادىء:

«ليس لزاماً عليك أن تتخذ هذا الموقف. وأنا أؤكد لك...»

وقاطعها بحدة: لا تخاطبينى كما لو كنت مجنوناً يا آنستى. إن كل عالمى يدور الآن حول طفلة صغيرة. وأنا أعتزم العودة بها إلى فرنسا معافاة صحيحة وسعيدة. وأى إنسان يحول مابينى وبينها سوف أطرحه بعيداً. وأنت ضرورية لوجودها ومسئولة الآن عن بقائها على قيد الحياة. وأنا عاقد العزم على التعامل بلا شفقه مع أى إنسان يضايقك».

قالت (جوليا) بغضب متزايد: «إننى مجرد ممرضة يا سيدى»

وصحح كلماتها بقسوة قائلاً: «أنت ممرضة (جوستين)» وأدار نحوها وجهه الغامض ورفعها بنظرة جعلتها تلوذ بالصمت. ثم قال لها: «إلى أن تشفى (جوستين) فإنك تحت حمايتى.. ممرضة (ردفورد)... سواء رضيت أم أبيت.. أننى أنوى مراقبتك ومراقبة كل من يجرؤ على التدخل».

لم تكن هناك فائده فأذعنت فى ذهول. قد يمكنها أن توجه صفعة قوية ولكنه بدا قادراً على ضربها فوق ركبتيه وضربها على مؤخرتها ثم يطلب منها الذهاب لفراشها حتى تستيقظ بكامل نشاطها فى الصباح وتستطيع العناية (بجوستين). وبسبب أرهاقها الشديد شعرت بأحباط تام

ittlas.com
منتدى ليلاس الثقافى

تجاه هذا الموقف الذى لا يصدق. لقد أبتعد (جراهام) كثيراً عن بؤرة تفكيرها. وأحست (جوليا) بحيرة وتردد مابين الأنفجار فى الغضب أو الانفجار فى الضحك.

وقالت (جوليا) بهدوء: «ربما لم يتضح لك الأمر يا مسيو (مارشال) فقد أزعجتنى أنت نفسك. وعلى كل فما يعنينى الآن هوالعودة للمنزل لأتناول طعام العشاء مع والدى وأتحدث عن (جوستين) ومشاكلها الطبية.»

وصاح فى لهجة رجاء: ممتاز.... إنك ممرضة رائعة... لقد كانت معجزة أن تعز (جوستين) عليك. وعلى أية حال لا داعى للقلق فسوف نصل للمنزل مبكراً عن ميعاد وصولك بأستخدام المواصلات العامة.»

وردت (جوليا) بعصبية: «غير أن سائقى المواصلات العامة لا يتدخلون فى حياتى محاولين التحكم فيها» أحست أن الأمور قد بلغت حداً يجب الوقوف عنده فما أن رأت منزلهم يلوح على مقربة حتى قالت: «ها نحن قد وصلنا. لست بحاجة لأن تأخذنى للعمل فى الغد يا سيدى. فأنا أذهب مع والدى دائماً. وأما فى المساء فسأعود للمنزل بنفسى وسأتعامل مع مشاكلى الخاصة وأصد أى طفيلى يحاول أقتحام طريقى. طاب مساؤك يا سيدى».

تجاهل (مارشال) غضبها تماماً وقال بإلحاح: «كنت أتمنى لو أنك ووالدك تناولتما طعام العشاء معى الليلة»

وأنفجرت قائلة: «أؤكد لك يا سيدى أننا لا نود ذلك على الأطلاق. ويمكننى الرد نيابة عن والدى أيضاً. لقد كان يومنا مشحوناً بالعمل. كما أن رحلة عودتى للمنزل كانت مليئة بالأثارة والقلق. ومرة أخرى: طاب مساؤك يا سيدى».

وأحس (مارشال) أن كل ماحدث يدعو للضحك بينما لم تجده (جوليا) كذلك. ولم تجد داعياً لأن تقص ماحدث على والدها فوقفت قليلاً تلتقط أنفاسها ثم دخلت المنزل. وبادلت والدها الأبتسام فى

سعادة. كانت أمسية سعيدة رغم أن طيف مسيو (مارشال) كان يتراءى أمام عينيها كلما تذكرت موقفه الخير. وبفضل عبرها أستطاعت تجاوز ذلك.

بد (لوك مارشال) وكأنه يتواجد فى المستشفى بأستمرار لمتابعة تقدم حالة أبنة أخية وللتأكيد من التزام (جوليا) تماماً بالقواعد. ولم يكن شيئاً مريعاً على الأطلاق. وكانت حالة (جوستين) عادية بالمقارنة بمثيلاتها. كانت لاتكاد تتحرك فلم تستعد بعد وعيها تماماً. ورغم انها استطاعت التعرف على عمها بوضوح فلم تبذل أى جهد للحديث معه.

فى معظم الأيام كان (لوك مارشال) يغادر المستشفى مقطب الجبين ولا تنفرج أساريره إلا عندما يأتى أحياناً على نحو مفاجىء فيجد (جوليا) بجوار فراش الطفلة الصغيرة تهمس تحاول محادثتها بصوت هامس وقد أمسكت بأصابعها الصغيرة الواهنة. ولم تكن (جوستين) تحاول الأجابة.

وأخيراً أستعادت (جوستين) وعيها وكانت السعادة تترقرق فى عينيها عندما تقص (جوليا) عليها بعضاً من القصص الممتعة التى كانت تقصها على (لوسى) ولكن لم تضحك (جوستين) بصوت مسموع على الأطلاق.

ومن الناحية الطبية فقد كانت حالة الطفلة تتحسن على نحو ممتاز وكان (بول ردفورد) يراها أكثر من مرة فى اليوم الواحد. لقد عاد إلى حياة العمل وبدا كل المستشفى مبتهجاً بذلك. كان يرى فى (جوستين) حالته الخاصة وتعويذته السحرية.

أحست (جوليا) ببعض الحيرة فقد أصبح بإمكان (جوستين) أن تجلس وتتناول طعامها كما تم تخفيض العلاج أقل ما يمكن ورغم ذلك لم يصدر عنها أى صوت سواء كان ضحكاً أو بكاء أو حتى كلمة واحدة.

فى عصر أحد الأيام جاء (بول ردفورد) لرؤيتها فسألته (جوليا) عن سر حالتها هذه ولكنه أنصرف إلى غرفة المكتب بادى القلق وبدون أن يجيب. خلفت به جوليا متسائلة: «ماذا حدث؟»

قال (ردفورد) فى صوت متحير: «لا شىء على الأطلاق يا عزيزتى.

فقد قمنا بعمل الفحوصات والأشعة السينية على عمودها الفقري ولكن لم نجد ما يفسر هذه الحالة. فلا يوجد أي أثر للإصابة من حادث السيارة».

ثم أضاف فجأة: «إنني لا أفترض وجود خطأ ما قبل هذه الحادثة. فنحن إذن لا نتعامل مع طفلة بكماء أليس كذلك؟ كما أنني لست متأكداً إذا ما كان (مارشال) سيخبرنا بشيء كهذا. فهو رجل غريب على أية حال».

قالت (جوليا) بصوت عميق: «نعم هو رجل غريب فعلاً». وفي الواقع كانت أهميته قد بدأت تتزايد في عقلها. أهمية غامضة ولا تبدو لديها المقدرة على دفعها. لقد خففت عنها بعض من تعاستها بسبب (جراهام) مما جعلها لا تتردد في أستهجان محاولاته المترددة للاقتراب منها عندما كانت بالمستشفى. وتكاد (جوليا) الآن تقضي كل دقيقة من وقت فراغها تفكر في الطفلة أو في عمها.

قالت (جوليا): «أعتقد أنه قد يقول لي شيئاً فهو يراني ممرضة ذات قدرات خاصة ولا أعتقد أنه سيحجب عني معلومات هامة».

قال والدها: «كلا» ثم أطلق ضحكة مفاجئة وهو يقول: «لقد حدثني عنك ولكنه لم يكن واضحاً تماماً وقد كونت عنه أنطباعاً وفضلت الأسترشاد برأيك خلال فترة وجود (جوستين)».

قالت (جوليا) بإنفعال: «معك حق فهو أقرب ما يكون إلى الرجل المستحيل. وعلى أية حال فسوف أتحدث معه بخصوص (جوستين) عندما يحضر عما قليل».

قال والدها: «إذن فلتخبريني الليلة يا عزيزتي» ثم ألقى نظرة سريعة على الطفلة الصغيرة من خلال النافذة وأبتسم لها ملوحاً بيده. وخفق قلب (جوليا) وتسارعت ضرباته عندما رأت الطفلة تبتسم ببطء ثم تلوح بيدها..

همس (ردفورد): «حسناً» ثم تبادل مع أبنته نظرة تم عن فهم مشترك.

قال والدها بهدوء: «(جوليا)... عليك بمعرفة شيء من ذلك الفرنسي القريب... لا تدعيه يماطل في ذلك فهناك شيء بادي الخطأ في هذا الأمر ومن الأفضل أن نعرفه بأسرع ما يمكن».

وبمجرد وصول (لوك مارشال) أفادته (جوليا) إلى غرفة المكتب وسألته بأهتمام: «أنا لا أعتقد أن (جوستين) تتحدث الأنجليزية يا سيدي».

فأجابها وقد تركزت عليها عيناه: «هي تتحدثها في واقع الأمر».

قالت جوليا بعناية: «إذن فهي تتحدث بالفعل» وتجهم وجهها وهي ترى حاجبين يرتفعان وقد كسى الترقب وجهه.

سأل (مارشال) بحدة: «ماذا تريدين قوله بالضبط؟» وكأنه قد قرر أقتحام الأمر مباشرة.

ردت (جوليا): أريد أن أسألك إذا ما كان هناك شيء بخصوص (جوستين) لم تخبرنا به... فهل هي طبيعية تماماً يا مسيو (مارشال)؟

أجابها ببرود: «نعم كانت طبيعية تماماً» وضاقت عيناه بترقب وهو يتساءل: «إذا كانت غير طبيعية الآن فإن البروفيسور (ردفورد) لا يكون جراحاً عظيماً كما تقول سمعته. فماذا حدث لها بالضبط؟» وأنتفض مارشال واقفاً بقامته المربعة وقد أمتلأ وجهه بالتهديد ولكنه لم يكن من السهل تخويف (جوليا) على الرغم من أن قلبها دق دقة مفاجئة مثيرة.

قالت (جوليا): هي تخضع الآن لأجراء الفحوص وعمل الأشعة السينية. ومن الوجهة الطبية فإن حالتها ممتازة. ورغم ذلك فأنا أعتقد... فنحن نعتقد إما انها لا تستطيع الكلام وإما أنها لا تريده».

ثبتت نظراته عليها في أنزعاج ثم أستدار إلى النافذة الزجاجية وأزاح الستار جانباً وجمدت نظرته المرتعشة تحملق في الطفلة الصغيرة الراقدة في سكون.

قال (مارشال) في ذعر: لقد كنت أعرف ذلك ولم أصدقه وكنت أنتظر أن تخبرونني به. من الواضح أنك تتخيلين أنها لم تكن طبيعية قبل

Mias.com
منتدى إياس الثقافي

الحادثة وأنني قد كتمت عنكم بعض الأمور. لكنني لم أفعل. كانت كما أخبرتك منذ البداية ممتلئة بالحيوية والأنطلاق زلقة اللسان.» «وأستدار (لجوليا) بعينيه الجامدتين وهو يقول: إنني لا ألومك بل أكرر أنك كنت في غاية اليقظة. إذا كانت (جوستين) قد فقدت القدرة على النطق فإن ذلك يرجع خطأ ما أثناء الجراحة. فأين أجد البروفيسور (ردفورد)؟ لابد من مقابلته فوراً.»

قالت (جوليا) بحده: «لن يمكنك عمل شيء» وأنتفضت بغضب في مواجهته وهي تقول: «هل من فائدة يا مسيو (مارشال) أن تلقي اللوم على الآخرين؟. لقد أعطت الأختبارات نتائج واضحة وبكل المقاييس فقد تم شفاء (جوستين) ولا يوجد أثر لحادثة السيارة.»

قال (مارشال) بأهتياج: «هناك شيء مفقود. إنه خطأ وقع بسبب عدم قيام والدك بأجراء عمليات جراحية لبعض الوقت».

صاحت جوليا بغضب: «إن والدي لا يخطيء». ونسيت (جوليا) كل قواعد وأنضباط العمل بالمستشفى لدى سماعها هذا الهجوم على والدها. ولكن لم يظهر (مارشال) أي بادرة للتراجع.

فقال بصوت مستفز: «لقد أرتكب خطأ مأساوياً ذات مرة. وكل منكما يدفع ثمن منذ ذلك الوقت».

لو أن (مارشال) صفعها بقوة فلم تكن لتشعر كل ذلك الألم الرهيب الذي أحسته لدى سماعها كلماته هذه. شحب لون وجهها تماماً حتى صار في بياض الطباشير وحدقت فيه عيناها الزرقاء العميقة في أستنكار مذهول وهمست.

«كانت (لوسي) مصابة بورم في المخ غير قابل للشفاء. وكان والدي يعلم بذلك فكان اليأس فقط هو الذي دفعه لأجراء الجراحة. لقد وضع كل اللوم على عاتقه لا لسبب سوى أننا كنا عبئاً».

وأنسكبت دموعها تغطي وجهها ولم تبذل أي محاولة لإيقافها وفي هذه الموجه من التعاسة نسيت المستشفى واجبابها وذلك الرجل الجاف.

تقدم (مارشال) نحوها هامساً: «سامحيني يا عزيزتي... إنني إنسان هجمي» وجذبها بين ذراعيه ووضع يده خلف رأسها يدفعه إلى صدره وقال: «لقد ناضلت من أجل حياة أثيرة لدى ولم أقدم بالمقابل سوى الآلام.... أرجوك يا (جوليا) سامحيني».

قالت (جوليا) بصوت مهتز: «أسمي... ممرضة (ردفورد)» ونصبت قامتها مبتعدة عن ذلك الأحساس الرهيب بالراحة الذي سرى بداخلها سريعاً.

قال (مارشال) بهدوء: «لم يكن أسمك كذلك للحظة قصيرة» ومد يده بضبط وضع غطاء رأسها الأبيض المزركش وقد أنسدلت عيناه من فجيعه.

قال لها: الآن وقد أستعدت حالتك العادية فدعيني اسألك سؤالاً: ماذا ستفعل بخصوص (جوستين)... ممرضة (ردفورد)؟

قالت (جوليا) بلهجة حادة وهي تكفكف دموعها: سوف تجري لها فحص شامل. بطريقة منهجية تحليلية وهي لا تزال على فراشها. ولن نصب غضبنا على أحد حتى يأتي ذلك الوقت».

ووافقها قائلاً: «وأنا أيضاً سأحاول ألا أفعل ذلك». ولأول مرة رأت (جوليا) في عينيه إبتسامة خفقت حزنها الفاجيء ولكن لم تخدعها ولو للحظة واحدة. فأمامها رجل جاف هجي يبدو واضحاً أنه أعتاد أصدار الأوامر وتعود أن تطاع أوامره. هو يستلزم الكثير من التعامل الحذر ولكنها ليست متأكدة من قدرتها على ذلك. وسيتضح ذلك بمرور الوقت.

أخبرته (جوليا) أن عليه الذهاب لمشاهدة (جوستين) التي كانت قد بدأت تتقلب في فراشها.

ورافقها (جوليا) من خلال النافذة الزجاجية. بمجرد دخوله أمتدت إليه يد الطفلة وأرتسمت إبتسامة على شفتيها بينما رفعت وجهها لتقبله. لقد كانا غريبين مليئين بالأسرار والغموض.

أزاحت (جوليا) الستارة لتغطي النافذة ثم غادرت غرفة مكتبها

liilas.com

متجهة إلى البهجة المشرقة فى جناح مريضات الجراحة. لقد بدا لها أن وجود كل من (مارشال) و (جوستين) غير متوافقاً مع ما يحيط بهم. فهما أجنبيان ويعيشان فى عالم صعب الأختراق. وعلى أى حال فيجب أن تجد مدخلاً لهذا العالم وإلا فقد لا تستطيع (جوستين) الكلام مرة أخرى. أحست (جوليا) عندئذ بأنهام داخلى عميق يدعم أحاسيسها.

كان (جراهام) موجوداً فى جناح مريضات الجراحة وقد مرت به ولم تكد تلحظ وجوده. كان رجلاً آخر يشغل تفكيرها. رجل غامض صعب المراس ذا مشكلة بالغة الصعوبة. ولم يكن لديها أدنى شك فى أن (لوك مارشال) يتوقع منها أن تحلها له.

مرة أخرى كان (مارشال) ينتظرها عند مغادرتها المستشفى ولكنها كانت تتوقع ذلك هذه المرة. وبدون أى تردد ركبت سيارته وهى تدرك تماماً أنها إذا كانت ستقترب من (جوستين) بحيث يمكنها مساعدتها فيجب أن تقترب أولاً من عمها.

وبينما أخذوا طريقهم للمنزل قال لها (مارشال): «يجب أن يتضح لك أننا لابد أن نتحدث حديثاً خاصاً. فأنت تكونين مشغولة جداً فى المستشفى... وأنا أطلب منك مرة أخرى أن نتناول العشاء معاً».

ردت (جوليا) بهدوء وأتزان: «حسناً» وكتمت ضحكتها عندما غمت دهشته. لقد كان نصراً صغيراً لا يستحق أن يفاجىء مسيو (مارشال).

وسألها باهتمام: «الليلة؟»

أجابت (جوليا): «نعم ياسيدى فسأكون مستعدة فى السابعة والنصف.. إذا أمكنك المرور على».

وسأل (مارشال) بشغف: «والبروفيسور؟» ثم أضاف: «يمكننا أن نتناول حديثاً مشتركاً».

ردت (جوليا) بجدية: «كلا... فوالدى كان لديه الكثير من العمل فى نهاية اليوم وسيكون متعباً جداً».

وسألها بلطف: «وأنت الأخرى كان لديك الكثير من العمل طوال

اليوم.. ألا تشعرين بالأرهاق؟.. إن ما نقصديه... ممرضة (ردفورد).... هو أنك لن تسمحى لى بالأقتراب من والدك بدرجة كافية لمساعدته. وأنا أتفق معك. فأنت حارسة (جوستين). ولا أتوقع ألا تكونين كذلك مع الآخرين وخاصة والدك. فهذه هى أخلاقك... وسيكون لى الشرف أن أتناول العشاء معك».

قالت (جوليا) بجدية: «أمن أجل الحديث عن (جوستين) فقط ياسيدى. سيكون ذلك مضيعة للوقت إذا لم نصل إلى شىء مفيد».

قال (مارشال) بنبكم. «لن أعتبره وقتاً ضائعاً بالتأكيد... لقد قلت أنه سيكون شرف لى وأنا أعنى ذلك».

لم تكن واثقة من التصرف الأمثل فى هذا الموقف لكنها كانت ترى أن أفضل أسلوب لمعاملته فى أى حال هو الأسلوب الجاد. عندما وصلا للمنزل غادرت السيارة بعد أن أومأت له مبتسمة. وبمجرد دخولها المنزل أحست بسعادة وهى توصد خلفها لتفصله عن حياتها للحظة.

روت لوالدها بأختصار ما حدث أثناء مقابلتها لذلك الفرنسى فى المستشفى ثم أخبرته بميعاد خروجهم لتناول العشاء.

سألها والدها بهدوء وهو يرقب وجهها: «أتراك تسيرين لنهاية المطاف كالعادة ياعزيزتى؟» كانت تعرف ما يقصده. فهى داغاً تستغرق فى عملها إلى أقصى الحدود. لقد كان ذلك الألتزام التام تجاه الحياة هو الذى أوصلها لما حدث مع (جراهام). لقد عانت معاناة مريرة وكان والدها يعرف ذلك.

قال والدها برقة: «ليس عليك سوى الحذر من مغالطة نفسك».

ردت (جوليا): إن هذا الفرنسى هو شيطان وسيم. وهو أقوى رجل رأيته».

ثم أردفت بصوت خابت: «إنه مجنون يا أبى».

ضحك والدها قائلاً: «إذن فهذا شىء طيب ثم أستطرد قائلاً: «تحدثى إليه بهدوء وأهتمام».

لقد حاولت (جوليا) ذلك بالفعل. وهى تكاد تقترب منه أكثر عندما تثير غضبه رغم أحساسها بأنها لم ترى سوى النذر اليسير من هذا الغضب... وبالتأكيد فهناك الكثير يجرح فى الأعماق.

الفصـــــل الثالث

liilas.com
منتدي ليلاس الثقافي

لم تكن بحاجة إلى أقتراح مكان لتناول العشاء فقد أخذها من ملقاه نفسه إلى أفضل مكان. كانت تشعر بالسعادة لوجود الكثيرين ممن يعرفونها ويعرفون (جراهام). كان عزاءً بسيطاً أن يروها مع رجل وسيم جداً ومسيفولون أنها لاتنشبث بحب ضائع.

كان (لوك مارشال) يعطى أنطباعاً بالحماية القوية وبدا وكأنه على أستعداد لأن يهدم المكان على من فيه إذا حدث وجرحت (جوليا) نفسها عن طريق الخطأ. كانت (جوليا) تعرف أنه إنما يحرس حارسة (جومستين) ولكنها أدركت أن الناس سيكونون أستنتاجاتهم الخاصة.

كانت سعيدة لأنها أحسنت أختيار ملابسها. فلقد فشل خطوبتها (لجراهام) وهى تكاد تنسى نفسها تماماً. لم تكن ترتدى سوى الجينز فى المنزل ثم زى العمل فى المستشفى. لقد نسيت إلى حد كبير الأستمتاع بأنوثتها.

إنها تمتلك الكثير من الملابس. وقد أرتدت الليلة فستاناً حريرياً أصفر شاحب زين نصفه الأسفل برسومات لأوراق الشجر. كان حزام خصرها متماشياً تماماً مع تلك الأوراق الريشية الشكل. وتركت شعرها مسترسلاً على سجيته يلمع فى الأضواء بلونه الذهبى. كانت عينا (لوك مارشال) تتفحصان جسدها بإعجاب لم تتوقعه.

قال (مارشال) مبتسماً: «يسعدني أن أكون بصحبتك يا آنسي» وشكت أن تكون بسمته سخرية مجردة. لكن نبرته جعلت وجنتيها تتوردان خجلاً غمرها السعادة عندما وجدته خلفها يسحب مقعدها برفق ويساعدها على الجلوس. لقد تركزت عليها الكثير من العيون ولكنها بالتأكيد لم تكن تريد أن تجعل من نفسها مشهداً لافتاً للنظر.

جلس (مارشال) في مواجهتها وجاءهما النادل في الحال. كان (لوك مارشال) رجلاً فريداً وكانت هي تسترق النظر إليه من بين أهدابها الثقيلة. بدا عليها الارتباك بسبب الأسلوب الذي بدأ يعبر به عن أعجابه بها. بدا هادئاً غير متوتر وكأنها التقيا في لقاء معتاد وليس لقاء للحديث عن أبنة أخيه وتحسن حالتها.

كان وسيماً جداً. وكان يرتدي بدلة رمادية داكنة وقميصاً أبيض بدا ساحراً إزاء وجهه الداكن، وأنسدل على صدره رباط عنقه الذي عقد بعناية. كادت صرامته وحدته تلاشيان. وبدا أقل تحفظاً بعيد عن المستشفى ومشاكله.

صرفت بصرها بعيداً قبل أن يلحظ تفرسها فيه وعندما رفعت عينيها كانت أنفاسها تضطرب في فزع.

في الناحية الأخرى من القاعة كان يجلس (جراهام) و(جلوريا) ووالدها ووالدتها يتناولون عشاءهم وقد تركزت عيونهم عليها وعلى ذلك الفرنسي الوسيم.

وهمس (مارشال): «أوه... لقد وقع بصرك عليه... أنا آسف لذلك يا آنستي. لم تكن لدي أي فكرة أنه سيكون هنا الليلة. وإذا شئت فيمكننا أن نلغي ما طلبناه للعشاء ونغادر المكان فهناك أماكن أخرى يمكننا أن نتناول فيها عشاءنا».

قالت (جوليا): «كلا فلا أهمية لذلك على الأطلاق» ونبهت إلى حدتها واضطرابها فابتسمت (لمارشال) وهي تقول: «لا يوجد أي داعي لأن....».

وقاطعها قائلاً: «لا أريد أن أسبب لك حرجاً. فقد كنت مخطوبة له وهو الآن على وشك الزواج من هذه الفتاة».

وأظلمت عيناها غضباً وهي تقول بحنق: «أعلم أنك كنت تستقصي أخباري يا سيدي كما قلت لي من قبل» ثم أضافت بصوت هادئ: «إنني أفترض أن ذلك كان لتحدد مدى ملاءمتي لرعاية أبنة أخيك».

قال (مارشال) وهو ينظر إليها محذراً: «أنت مضطربة ولذلك فسأغفر لك هذا التعليق» ثم تابع قائلاً: «لابد أنك تعلمي أن هناك أحاديثاً تدور في المستشفى وقد عرفت أنك إنسانة محبوبة جداً على عكس الطبيب (أدامز). ويبدو أن عودة والدك لأجراء العمليات الجراحية قد رفعت من معنويات الجميع. إنني أفاجأ دائماً بأن الناس يتخيلون أن الآخرين مصابون بالصمم. إنني لم أستقص أنباءك يا آنستي. كل ما فعلته أنني أنصت لأحاديث الناس».

كانت (جوليا) متنبهة تماماً للنظرات المحيطة بها. وقالت بصوت محبط: «لقد فوجئت بأنك تستمع للقيل والقال يا مسيو (مارشال)».

قال (مارشال) بهدوء: «إنني مهتم بك يا آنسة. وبمجرد ذكر أسمك فإنني أنصب أذناي إرهافاً للسمع». وعندئذ أمتدت يداه برفق تحيطان بيديها فوق المائدة ثم أطبق عليها بشدة عندما حاولت سحبها وقال: «دعيها... فلنتقدم لهم شيئاً تدور حوله أفكارهم».

وعندما رفعت إليه عينيها كان يبتسم ساحراً. وعلى الرغم من كل شيء أحست وكأنها تضحك. منذ دخول (لوك مارشال) و (جوستين) حياتها وجدت أن تفكيرها في (جراهام) وغدره قد تراجع إلى خلفيات عقلها. كانت تعلم أنه إنسان تافه تماماً. وقد كانت عاطفتها هي السبب الوحيد الذي جعلها تفكر فيه. لقد أسدت (جلوريا) لها معروفاً بالفعل. وأحست بقلبها يرتفع كأن به مساً من السحر.

كان شيئاً سهلاً بدرجة مذهلة أن تركز تفكيرها على (لوك) وتهمل الآخرين. إنه رجل قوي يمكن الأعتماد عليه. أبقى (مارشال) يديه

القوس فوق يدها حتى أتصرف عنها الآخرون فسحب يديه وغمغم قائلاً: «فتاة بارعة». وأنسمت عيناه لقدرتها على أخراج نفسها من حالة الغضب والحرج ثم قال: «لنتكلم عن (جوستين)... فماذا تعرفين عنها؟»

ردت (جوليا) بسخرية: «لا شيء تقريباً» ثم تابعت وهي تنظر إلى وجهه النحيل: «إنني لا أنصت للقيل والقال».

صاح (مارشال) مستحسناً ملاحظتها: «أحسنت... يا آنسة» ثنى شفتيه مبتسماً ثم أضاف: «إذن فها أنت مرة أخرى لا تبدين أهتماماً بي بينما أؤكد أنا أهتمامي بك».

ورأت (جوليا) أنه لا يمكن أن يكون سوى رجلاً فرنسياً بنظرات عينيه وشفتيه الرشيقتين ولون بشرته الخفيف ونقته بنفسه... كل ذلك ينبيء عن تميزه. لا يزال هناك شيئاً آخراً أكثر غموضاً ولكنها لا تستطيع أن تضع يدها عليه.

وأستمر (مارشال) قائلاً: «قد نبدو لإنسان مثلك عائلة غريبة. فهناك (لوسيل) زوجة أبي وأختي غير الشقيقة (مارسي) وأخيها (فيليب)» وصمت برهة قبل أن يكمل: كان هناك أيضاً أخي (جوليس) وزوجته (دايردري) وهما والد (جوستين) وقد توفيا في حادثة السيارة التي حدثتك عنها».

وقطب جبينه للحظة فحبست أنفاسها. كان فعلاً رجلاً صعب المراس وقد بدأ مظهره الصارم الذي ميزه منذ البداية يعود إليه مرة أخرى.

وتابع (مارشال) قائلاً: «إنها أسرة غريبة متنوعة العناصر. كان من الصعب دائماً (لجوستين) أن تعيش وتكبر وتتسع مداركها. ومنذ ولادتها كان الجميع يدللونها ما عدا والدتها فقد كانت سليطة اللسان. ومنذ الحادثة أحاطت الكآبة بالطفلة. فقد كانت (لوسيل) رقيقة لدرجة لم تمكنها من إخفاء مشاعرها رغم أنها حاولت ذلك».

وقاطعته (جوليا): «هل لا حظتم أي صعوبة في مقدرتها على الكلام بعد الحادثة عندما فقدتم أبها بخير؟» لقد أضطرت إلى مقاطعته بعد أن

خالجها أحساس بأنه قد نسي الدافع لهذا اللقاء. بدا عقله غارقاً في الماضي بينما كان ينظر لها بعينين لا ترى شيئاً. من الأفضل لها أن تبقيه في الحاضر فهي لا تجيد التدخل في شئونه الخاصة بأي حال. كانت متأكدة أن ذلك سيكون مؤلماً.

رد (مارشال): «كلا... لقد كانت لطيفة جداً.. وبالذات معي... ولم ألفاجأ بذلك فأنا أشبه (جوليس) إلى حد كبير فكأنها كانت تجد في تذكار دائم لوالدها. كانت تتحدث بطريقة جيدة وطبيعية. ولكننا أفتقدنا ثرثرتها وهذا شيء طبيعي بالنسبة لطفلة فقدت والدتها.. ألا ترين ذلك؟»

وفجأة بدا كأنه ينظر للماضي وأخذ يتنهد بعمق ثم ضحك فجأة وقال برقة: «كان لدى قليل من الوقت لحماية (جوستين) من أسوأ أنواع الكآبة التي يسببها الكبار». ثم ضاقت عينيه وهو يقول: «قد لا يكون لديك شك في أن سبب الكآبة هو أنني كبير هذه العائلة».

وأحمر وجهها خجلاً ثم بدت عليها الجدية وهي تقول: «لم أفكر بشيء كهذا».

قال (مارشال) بلهجة حادة: «ربما يكون من رأيك أن (جوستين) لن تتحدث مرة أخرى. فهل تنصحين بعرضها على أخصائيين آخرين لأجراء المزيد من الفحوص؟»

قالت (جوليا) بحماس: «كلا... دعنا ننتظر بعض الوقت. أنا أريد أن أحاول أولاً.» كانت تعرف أنه لا يتفق أطلاقاً مع قواعد العمل أن تقول ذلك. وأضافت بسرعة وهي تلمح عينيه تتركزان على وجهها المتورد خجلاً: «على أية حال هي لا تزال مريضة بدرجة لا تسمح بنقلها».

لم تكن تحب نظرته المتأملة على الأطلاق فحاولت تغيير مجرى الحديث قائلة: «أين تعيش بالضبط يا سيدي؟» لم تكن ترغب في المعرفة بقدر ما كانت ترغب في صرفه بهذا السؤال عن إنعام النظر في وجهها. عند ذكر بلده بدا عليه التفكير العميق وركز عليها كل أنتباهه فملأها قلقاً. ثم

lilas.com
منتديات ليلاس الإلكترونية

قال بهدوء وفخر:

« إننا يا آنسة من (كامارجو) » .

صاحت (جوليا) : أوه ... إنها بجنوب فرنسا . أليس كذلك ؟ »

أجاب (مارشال) وهو يوجه لها نظرات مثيرة نابضة بالحياة : « نعم ... إنها مكان غريب منعزل . بلاد تتكون من السماء والبحر . وأهلها ليسوا كباقي البشر ولا يحبون أن يكونوا مثلهم » .

قالت (جوليا) ساخرة : « أنا أصدق ذلك تماماً يا مسيو (مارشال) .

وضحك فجأة فأضاء وجهه مرح حقيقي حوله إلى شخص آخر . شخص جذاب بدرجة خطيرة . وسألها :

لماذا لا تنادينني (لوك) ؟ فنحن نتناول عشاءنا معاً خارج البيت كما أنه إسمي على أية حال » .

ردت (جوليا) : « لم يطلب مني أن أدعوك بإسمك الأول ... وأنا لا أحب أن أتصرف بوقاحة ؟ »

وضحك برقة قائلاً : « وقاحة ؟ » ثم أضاف : « أنا أعتقد يا آنسة أنك قد لي بمخاوفك الأنثوية الرقيقة وبإنفجارات غضبك المتحفظة . إنني لم أعرف على الأطلاق من ذلك الذي أواجهه » .

أندفعت (جوليا) قائلة بقوة : « لم تكن لدي أي شكوك بهذا الصدد يا سيدي » .

قال برقة : « إنني أحذرك » .

ردت (جوليا) : هكذا أنت ... أجنبي غريب تماماً » وأحست بسعادة لمجيء النادل في هذه اللحظة .

قال (مارشال) مؤكداً بصوت رقيق : « هذا لأنك لا تعرفيني . وسيتغير كل ذلك » ثم خدم كلامه قائلاً ببرود : « دعينا نتناول الطعام . فمن الأفضل أن يكون الحديث في الأمور الهامة بعد تناول الطعام » .

جاش بداخلها أحساس بالخديعة والوقوع في الشرك ولم تعرف سبباً لذلك . فهي لم تقابل رجلاً كهذا من قبل . ومثلما تفعل الحيوانات ...

أستشعرت (جوليا) رائحة الخطر ولكن لم تعرف من أي إتجاه يجيء : لها (لوك مارشال) فقد أنهمك في طعامه وتجاهلها .

أستأذنت لإصلاح زينتها . وبينما كانت عائدتها كان (جراهام) يروح ويجيء أمام البار ثم خف مسرعاً وأعترض طريق عودتها لمائدتها وقال لها بغضب ساخر : « أرى أنك تجيدين السعي لمصلحتك هل يعرف أنه الأختيار الثاني ؟ »

ردت (جوليا) بنفس السخرية : « وهل تعرف (جلوريا) ؟ »

قال متوتراً : « هي لا تبدي الكثير من الأهتمام مادامت قد نالت ما تريد » .

رفت عينا (جوليا) الزرقاوين وهي تقول : وكذلك أنت مادامت هناك ثروة .

همس قائلاً : أنت أمرأة عاهرة » .

ردت (جوليا) : الآن فقط ..؟ .. من فضلك فهناك من ينتظرني الآن » .

قال (جراهام) مهتاجاً : « إنني أرى ذلك إنه يتقلب في نعيم الثراء ولكنه صلب كالمسمار » .

قالت (جوليا) : « أوه هل لك خبر خاص بتبعني ؟ » ثم أضافت بصوت عذب : « بالأسف ... إنني لم أكن أعرف بذلك عندما كنا مخطوبين ... لك أن تتخيل ما كان سيحدث لو عرفت ذلك ؟

رد (جراهام) بصوت كئيب وقد تركزت عيناه على وجهها الجميل : « في واقع الأمر فإن والد (جلوريا) يعرفه . السيد (مارشال) يربي الثيران والخيول . ووالد (جلوريا) يعرفه لأنه يربي الخيول أيضاً إن (مارشال) له نفوذ كبير في فرنسا » .

القت (جوليا) نظرة سريعة على (لوك) وهي تقول : « إنني أتخيل أن له نفوذاً في أي مكان » أحست أن هناك جواً خطيراً من القلق يحيط بالوجه الوسيم فسرت رعدة في جسدها .

liilas.com
منتدى ليلاس الثقافي

قال (جراهام) في صوت لطيف: «إنه سيذهب» ومد يده إلى ذراعها وبدأت أصابعه تلاطف أصابعها كما فعلا كثيراً من قبل. أحست بالغضب الشديد يغمرها ولكنه كان مصحوباً بإحساس داهل بالسعادة لا تعرف مصدره. فلم يبد عليها أي انفعال كأن من يلمسها هو أحد القرباء. لقد شهدت حياتها منعطفاً جديداً في اتجاه آخر. ولم يحرك أحاسيسها أي شيء مما فعله (جراهام).

قال (جراهام) منفعلاً: «إنني لازلت أريدك يا (جوليا) وعندما ينتهي كل هذا الأمر فسوف نعود كما كنا».

قالت (جوليا) وهي تبتسم بسخرية: «لن يكون ذلك بيدي (جلوريا) تراقبنا بشدة مثلما تفعل الآن. إذا لم تبعد يدك فإن (لوك) سيأتي إلى هنا. وكما قلت أنت فهو رجل صلب».

سحب (جراهام) يده سريعاً وعادت (جوليا) إلى مائدتها. ونظرت مبتسمة (لوك) الذي نهض يساعدها على الجلوس.

قال (لوك) بصوت أجش وقد امتلأ وجهه غضباً: «إنه لن يدعك وشأنك على الأطلاق» ثم أضاف وهو يحملق فيها: «إنه يتمنى امرأتين» وتورد وجهها خجلاً عندما أسترسل يقول: «لقد جرى وراء المال ولكنه لا يستطيع التخلي عن جمالك. ولسوف أتحدث إليه فلا أريد أن يحدث لك أي ضيق».

كانت عيناه تمتلئان بالانفعال والغضب الشديد. حدقت فيه (جوليا) للحظة بإرتباك تام ثم سألته في هدوء: «هل كنا أن نذهب الآن يا مسيو (مارشال)؟»

وأثاره سؤالها الرقيق في الوقت الذي كان يتوقع فيه الأزعاج فصاح قائلاً: «أوه.. ها أنت تعاملينني على أنني إنسان معتوه.. من الواضح أنني قد سببت لك ضيقاً».

قالت (جوليا) بدون أن تنظر إليه: «يمكنك أن تقول ذلك» وانتفضت حفيفة يدها وبهتت واقفة وهي تقول: «سوف أساعد

(جوستين) ولكنني لن أتلقى أوامر بخصوص ذلك. إن الحماية التي هددت بفرضها على سوف تحدث أضراراً شديدة مالم تتحكم في نزعة السيطرة هذه. دعني أذكر بأني لا أعرفك... وبالتحديد لا أرغب في معرفتك وكل مايهمني هو سعادة (جوستين)».

أرتعشت شفتاه ثم ارتسمت عليها ابتسامة أضاءت وجهه القاسي وهو يقول:

«إن مكانتك محفوظة يا آنسة بدون الحاجة إلى إتفاقات مشكوك فيها. فنحن بحاجة إليك وسوف أحاول كبح جماح رغبتي في حكم العالم. سوف نفعل ماتشاءين وأي مقترحات أخرى سوف أطيعها بسرور».

قالت بلهجة قاطعة: «دع (جوستين) إلى فترة قصيرة فإذا لم يمكنني عمل شيء ما فإن والدي سوف يجد لها أخصائياً يعالج مثل هذه الأمور عند مغادرتها للمستشفى».

أنحنى (مارشال) قائلاً: سمعاً وطاعة» ثم أضاف: «دعينا ننصرف يا آنسة وأنت تمتلكين اليد العليا».

وعلى الأقل كان هناك شخصين على مائدة (جراهام) بالغي الأهتمام بهذه المحادثة الغريبة. وتمنت (جوليا) ألا يعرفا بأن هذا كان لقاء عمل أنتهى بكلمات حادة.

أنسحبت أبتسامة (لوك) بينما كان ينظر لها وكأنه يقرأ مايدور بخلدها ومد يده إلى يدها وأمسكها بقوة وحرارة وهو يقول: «دعينا ننصرف كما ينبغي فليست لديهم أدنى فكرة عن المكان الذي ستذهب إليه في هذا الوقت المبكر من الظهيرة. إذا لم يمكنني الحديث بقوة إلى طبيبك هذا فدعينا نغادرهم بما يشبه حركة مسرحية».

نظرت (جوليا) له بتهكم وزمت شفتيها ثم قالت ساخرة: هل يعني مصطلح «إنصراف الديكتاتور» شيئاً بالنسبة لك».

أجابها مبتسماً: «ليس إلى حد كبير. لكني أستطيع فهم المعنى العام. وستتعودين عليه بمرور الوقت وبعد فترة لن نتقاتل».

lilas.com
منتدى ليلاس الثقافي

سألت (جوليا) باستخفاف: «أوه... هل تنوى الأستسلام؟»

أجابها مؤكداً: «لا يا آنسة... إنني أتوقع ذلك منك».

أحست (جوليا) بشعور غريب بالسعادة. لقد مضى وقت طويل بدون أن تعيش هذا الأحساس. فعلى نحو مفاجيء سار كل شيء إلى الأفضل. لقد عاد والدها يفعل ما ولد لأجله وأستعاد ثقته بنفسه. لم يكن هناك أمل فى شفاء (لوسى) وكان يعرف ذلك فى قرارة نفسه. وقد أستمر الحزن منذ ذلك الوقت. أما الآن ومع تحسن حالة (جوستين) بإستمرار يومياً فها هو يبدو على وفاق مع الحياة بأجمعها مرة أخرى. وهلأن سعادته المنزل. وأحست (جوليا) بالدفء يملأ بيتهم رغم أنهم يقضون يومهم فى العمل الجاد منذ الصباح حتى المساء».

لم يكن هناك سوى مشكلة (جوستين) ورفضها الكلام. كانت الطفلة الصغيرة على وشك مغادرة حجرتها الخاصة. وكانت تأتى بهجة وسعادة فى وجود (جوليا) ولكن لم يصدر منها أى كلمة حتى صوت.

كاد تحسن حالتها يكون هو الموضوع الوحيد للحديث فى المنزل ولكنهم لم يتوصلوا إلى أتفاق. كاف ولم يكن هناك وقت كان للبقاء مع (جوستين). كانت (جوليا) على وشك ترك المستشفى ويكاد ذلك يتزامن مع مغادرة (جوستين) أيضاً. لم يبد على (لوله مارشال) إدراك أن (جوستين) على وشك مغادرة المستشفى. كان يقوم بزيارات ضرورية لفرنسا ولكنه لم يكن يغيب لفترات طويلة ثم يعاود الظهور مستفسراً عن بعض النقاط من (جوليا) وكاد يتولع منها القدرة على إطاف كل شيء من أجله.

كانت (جوليا) تدرك أنها تغوص بعمق فى حياتهم. وتعرف أن أرتباطها بالطفلة وأرتباط الطفلة بها ليس شيئاً محبذاً. لكنها كانت تدرك أيضاً أو وراء هاتين العينين الراقدتين الغامضتين فإن (جوستين) تفكر بصفاء ذهن ولكنها تصر على الصمت. كان شيئاً محبطاً بكل ما فى الكلمة من معنى.

حاولت (جوليا) ووالدها إعادة حقل معرفتهم باللغة الفرنسية حتى

يتحدث أمام (جوستين) وسمها بلغتها الأصيلة لكنها ظلت ملتزمة الصمت رغم يسمها عندما كانا يقعان فى خطأ لغوى. كان الوقت يمر سريعاً. وعما قريب ستكون (جوستين) فى فرنسا حيث يتحمل مسئوليتها شخص ما غيرهم. أحست (جوليا) أنها ستفتقدها وبأنها قد خالفت أول قاعدة من قواعد التمريض وأرتبطت عاطفياً بأحد المرضى. ولكن ذلك حدث وهى لا تكاد تلحظه.

لم تعد تطيق صبراً على البقاء بعيداً عن عملها. وفى المساء كان عقلها يمتلىء بالأفكار عن الطفلة وعمها. لقد أستطاعت (جوستين) بهدوء أن تجد لنفسها مكاناً فى قلب (جوليا). مكاناً كان خالياً على مدى ثلاثة أعوام. وأصبحت (جوليا) تخشى اليوم الذى تقبل فيه أستقالتها ولا تستطيع أن ترى الطفلة مرة أخرى.

دخلت (جوليا) إلى غرفة (جوستين) ورأتها جالسة على فراشها وقد بدأ شعرها ينمو بعض الشيء فصاحت جوليا: «ها أنت... يا ذات الشعر المجعد» وأرتسمت أبتسامة على وجهها رغم حزنها البادى فى ذلك اليوم. لم تنتبه (جوليا) لوجود (لوله مارشال) وإلا لكانت أخرب زيارتها. ولكنها لامت نفسها على ذلك التفكير الغبى وزمت شفتيها بغوة بينما أرتسمت علامات الكآبة والحزن على وجه (جوستين).

وسألها (لوله مارشال) بصوت ضاحك وهو ينقل بصره مابينها وبين إبنة أخيه: هل أنت غاضبة من ممرضة (رداقورد)؟ أنا لا أدرى كيف أوتكبنا ذنباً بينما نحن نجلس هنا فى هدوء تام».

أبتسمت (جوليا) (لجوستين) أبتسامة مطمئنة وهى تقول: «أنا لست غاضبة» وسارت برشاقة إلى الفراش وتناولت التحاوير المشعة بمؤخرته وقد تورد وجهها خجلاً. كانت عيون (جوستين) الحادة الغامضة تغوص بداخلها. وكانت (جوليا) فى ذلك اليوم تشعر بالأحباط التام.

قالت (جوليا) (لجوستين): إنك غيبتين تصفيف شعرك بطريقة الشعر المجعد. أليس كذلك؟ ثم أضافت بإبتسامة عريضة: «أنت نرفضين بكل

بساطة أن تتحدثي... كنت أتخيل أنك ستحدثني لي بعد مرور كل هذا الوقت». كان تأثير إبتسامتها المحيطة شديداً. وركزت (جوستين) نظراتها عليها ثم أخذت تنقل بصرها ما بينها وبين (لوك). وللحظة قصيرة أحست (جوليا) أن الرعب يتجسد أمام ناظريها. فكيف يمكن أن يحدث هذا؟ وترقبت (جوستين) عمها الذي أقترب منها فأحاطته بذراعيها وضمت عن أنفاسها بكل وسيلة ماعدا الكلام.

أتجهت عيون (جوليا) إلى وجه (لوك) الذي نظر إليها بحدة وهو يقول: «أنت مخطئة تماماً». وأنقذتها الممرضة المساعدة من تكلف أي رد عندما أندفعت إلى الحجرة على غير المعتاد وهي تقول: «لقد عرفنا لتونا من مستحل محلك. فمن نظنين... أوه... آسفة» وتوقفت الممرضة في أرتباك عندما رأت وجه (جوليا) وقبل التعبير الصارم المفاجيء على وجه الرجل الفرنسي فأستدارت سريعاً وهي تقول: «سأخبرك فيما بعد».

سبق السيف العذل وأنتهى الأمر. فطبت (جوستين) جبينها عندما سمعت هذه الكلمات بينما بدا على (لوك) الغضب الشديد.

وأنطلقت (جوليا) لحجرة المكتب ولكنه تبعها بعد قليل.

قال لوك (مارشال) بصوت هادىء عميق وكأنه يوجه أتهاماً: «أنت سترحلين.. ممرضة (ردفورد). أنت تنطلين عن (جوستين)».

ردت (جوليا): «لقد قدمت أستقالتي قبل أن أرى أبنة أخيك بوقت طويل» وأحست (جوليا) بالضيق لأنه يحاول أشعارها بالذنب بينما لم ترتكب مايدعو لذلك. وتابعت تقول: «أنا لا أتخلى عن أحد. وعلى أية حال فإن (جوستين) سترحل قريباً وهي على وشك المغادرة».

تجاهل (لوك مارشال) تعليقها وقال بحسم: «أخبريني عن المستشفى التي ستذهبين إليها وسأنقلها لتكون معك».

لم تكن فكرة فرض نفسه بهذا الأصرار تروقها على الأطلاق. وجلست (جوليا) وهي تقول:

«على المدى القريب فلن أتقدم للعمل بأي مستشفى فلدي الكثير من

الأشياء التي تحتاج لإعادة ترتيبها» ودار بخلدها أن حياتها ذاتها تأتي في مقدمة هذه الأشياء.

أمسك (لوك) بيدها وهو يقول بغوة: «إذن قومي بتمريض (جوستين) لحسابي فسأدخلها بيت تمريض خاص وتكونين أنت معها. فأنا لم أبعدها بعد عن البروفيسور (ردفورد) ولكنني بالتأكيد لن أبعدها عنك».

نظرت إليه (جوليا) بحدية وقد بدا عليها الخوف الآن من خطة العلاج التي تناولتها بالحديث مع والدها.

قالت (جوليا) بهدوء: «يمكنني أن أساعدها.. لقد تحدثت بشأنها مع والدي. وإذا كنت تشدد على بقائها بالقرب منا فإنني أقترح أن تأتي (جوستين) لتقيم معنا فترة من الوقت بعد مغادرتها المستشفى. سيكون بإمكاني أن أعطيها كل أهتمامي. وإذا لم يأتي بنتيجة فعلى الأقل لم يحدث ضرراً».

بدا (لوك) مذهولاً. ظل ينظر إليها بضع دقائق حتى أحست وكأنها أقترحت شيئاً غير مناسب على الأطلاق.

سألها وقد سدد لها نظرة قوية: هل ستفعلين ذلك من أجل (جوستين)؟ هل ستأخذينها إلى منزلك الخاص؟

وفجأة وجدت نفسها تبتسم وهي تجيب: «بكل سرور.. وقد تندم على ذلك يوماً عندما يمر الوقت وترفضي أن تدعها ترحل».

أنفرجت شفتاه بواحدة من أبتساماته القليلة وهو يقول: «أوه.. كلا.. على العكس تماماً. فأنا و(جوستين) متمسكين بك إلى أبعد الحدود ولكنك لن تطيقي الأستمرار معنا».

أندفعت (جوليا) تقول في قلق غير متوقع: «أتمنى أن تدرك بأن ذلك سيكون لوقت قصير فقط. فبرغم كل شيء هناك مستقبلي العملي ولابد عاجلاً أم آجلاً أن أعود للعمل بإحدى المستشفيات».

لاح بعينيه أهمال عميق وهو يقول: «نعم. إنني أفهم. فذلك من

أجل (جوستين) فقط. وعندما تصبح (جوستين) أقوى مما هي عليه الآن ـ وحتى لو لم نستطع الكلام ـ فسوف نودعكم مقدمين آيات شكرنا. ولكن خلال هذه الفترة قد يمكنك الأتيان بمعجزة. وكل ثقة في قدرتك على ذلك».

لم يُجد ذلك في تهدئة شكوك (جوليا) المفاجئة. فماذا يتوقع منها بالضبط؟ ما هو المزيد الذي يمكن توقعه؟ لقد أُجزمت إلى تيار حياته. والآن ـ وعلى نحو مفاجيء ـ يزداد ذلك بسبب تعاطفها مع طفلة صغيرة لم تكن تعني لها شيئاً على الأطلاق وبسبب عدم قدرتها على الأنسحاب من مشكلة الا بعد أن تتم حلها. وهناك غير ذلك الكثير ولكنها تخشاه. فهي لا تريد المزيد من التدخلات.

وفي تلك الليلة سُر والدها كثيراً بأمر هذا الحديث مع (لوك) وقال في سعادة: «سوف نرى ما يمكننا عمله هنا. ستكونين أنت معها طول اليوم. وسأعاونك قدر ما يتيسر لي. وعلى الأقل فسوف تحسن لغتنا الفرنسية».

أخذت (جوليا) تنظر إليها وقد أحست ببعض القلق تجاه قرارهم. وسألته بهدوء:

«هل نحن نفكر بحكمة يا أبي؟ هل ندع ذلك الأمر يتفاقم لأسباب شخصية؟»

ورد بصوت خافت: «من الممكن» ووضع يديه على كتفيها ونظر إلى وجهها الذي بدا عليه القلق وقال: «أنا أعرف أننا بدأنا نبراً مما أصابنا. فما الضرر لو ساعدنا (جوستين) أيضاً».

وانهدت (جوليا) وهي تقول: «أعتقد أنك على حق. أنت أكثر حكمة مني بمراحل كبيرة».

وضحك والدها وهو يقول: «هذا ليس رأي (لوك مارشال) فهو يراك كائناً فريد الطراز».

أسندارت (جوليا) وهي تقول بغيظ: «بل أنه هو الإنسان الغريب

فعلاً» فالآنسة تعلم كم حاولت أن تبلغ بحياتها تلك المعايير التي وضعها لها (لوك مارشال).

قال والدها بلهجة هادئة مرتابة: «أعتقد أنها ستكون لفته طيبة أن تدعوه للأقامة معنا أثناء وجود في أجلترا. فلا يتفق أن تقيم (جوستين) معنا ويقيم عمها في فندق بينما نحن نمتلك كل هذا البيت».

أسندارت له (جوليا) في فزع شديد وهي تقول: «كلا كلا كلا. فلا يمكنني مواجهة (لوك مارشال) بصفة مستمرة يوماً. إن جرعة صغيرة في وقت ما تبدو أكثر من المحتمل».

وسألها والدها بهدوء: «(جوليا) ... هل تخشين الأرتباط مرة أخرى؟ إنك حينه جداً ورقيقة جداً فلا تدعي هذا الكلب الحقير (أدامز) يفسد حياتك للأبد».

قد يكون (جراهام) كلباً حقيراً فعلاً ولكن (لوك مارشال) يستحوذ على تفكيرها بصفة مستمرة وبدرجة مزعجة.

قالت (جوليا) بحدة وقد تورّدت وجنتاها خجلاً: ليس هناك مجالاً للأرتباط معه. إنه يشبه ماكينة ذات نزعة للسيطرة على كل البشرية. وكل ما يشغل تفكيره هو (جوستين) وما يفترض أنني أمتلكه من مهارات لا نظير لها. إن إنسان نادر ويصعب التعامل معه».

قال والدها ضاحكاً: «إذن فهي شدة نزعته التي تحول بينكما. قد يمكنك مساعدته على التحسن بأن تحدثيه عن ذلك».

قالت (جوليا) بتبرم: «لقد فعلت. لقد قلت له ذلك على مدى أيام كثيرة ولكن لا يبدو أنه فهم ذلك. كما أن (جوستين) كانت ستتحسن بصورة أفضل لو بقي هو في فرنسا بصفة مستمرة».

قال (بول ردفورد) بهدوء: «أنا لا أعتقد ذلك يا عزيزتي. فالطفلة تحبه بشدة».

ilias.com
منتدى ليلاس الثقافي

وغمغمت (جوليا) وكأنها تحدث نفسها: «أنا أعرف ذلك» ثم تابعت: «ولكن أليس غريباً أن يبدو عليها القلق في كل مرة يختفيان فيها؟ وهي تحتاج إلى سماعه يتحدث لفترة قصيرة قبل أن يختفي قلقها. أنا لا أدري ما الذي تخشاه؟

الفصـــــل الرابع

liilas.com
منتدي ليلاس الثقافي

كان متبقياً شهر واحد على الموعد الذي حدده (لوك) لعودة جوستين إلى (كامارجو). وبالنسبة (جوليا) ووالدها كانا شهراً من السعادة التامة التي يشتهيها الأحباء. لقد دخلت الطفلة الصغيرة حياتهم بسهولة فالتأمت الفجوة الغائرة التي كانت تفصلهم عن السعادة. وذلك على الرغم من أنها لم تنفوه بكلمة واحدة. وقد أصابهم اليأس وأقروا جميعاً بعجزهم بما فيهم (جوليا). وأصبح لزاماً أن تعرض (جوستين) على أحد الأخصائيين في هذا المجال. ولكن (جوليا) كانت لا تزال مقتنعة بأن السبب لا يكمن بعيداً عن السطح.

لقد حاولت عمل كل شيء. أصبحت لغتها الفرنسية الآن جيدة حيث رأت أن من الأفضل لطفلة صغيرة في مثل هذا السن أن تلاطفها بلغتها الأصلية. وحتى السيدة (دوبسون) حاولت استخدام بعض الكلمات ولكن لم تكن هناك فائدة. وحيث أن (جوليا) لم تعد مرتبطة بالعمل في المستشفى فقد عادت هوايتها القديمة «رسم اللوحات». وانتشرت ألوانها في كل مكان. وأفتنت (جوستين) بالطيور والأزهار التي كانت تنبثق من لمسات فرشاتها. كانت الطفلة تبدو أحياناً في غاية الأثارة وتشير بيديها ولكنها لم تكن تنطق بحرف.

بينما كان (لوك) في زيارتهم في إحدى المرات قال (جوستين): «لقد حسنت (جوليا) من لغتها الفرنسية كثيراً يا حلوتي. إنها تعمل على نحو جيد وأعتقد أنه سيكون أفضل لو أنك قدمت لها يد العون».

ولم يجد ذلك شيئاً ولكن (جوستين) أنطلقت إلى حجرة أخرى ثم عادت ببعض اللوحات. وأحست (جوليا) بالحرج. غير أن والدها أنعم عليهم متباهياً بعمل (جوليا) ثم ذهب إلى حجرته للحظات وعاد بحمل المزيد من لوحاتها التي أعتاد أن يصنع لها أطارات يضعها فيها. نظر (لوك) إلى اللوحات بتقدير ملحوظ وهو يقول: «إنك موهوبة جداً» وأخذ يتفحص الألوان القوية المتوهجه للطيور والورود ثم قال: «لا أدرى لماذا قررت أن تكوني ممرضة بدلاً من السير في هذا الطريق؟»

وجهت (جوليا) نظرة غاضبة لوالدها وهي تقول: «إنني لست بارعة بالدرجة التي تمكنني من إعالة نفسي كفنانة ولكنني أفعل ذلك الآن طلباً للراحة والأسترخاء».

لم تكن تريد أن تتجه إليها عاتبتين العينين الغامضتين. إن (لوك مارشال) رجل محير وفي أغلب زياراته (لجوستين) كان يمضي وقتاً كبيراً مركزاً نظراته التي لا يسبر غورها على وجه (جوليا).

كانت (جوليا) تتمنى أن تحبها لا أن تجذبها إليها. فهو يجعلها تشعر في داخلها بالأثارة لدرجة غريبة وخطيرة. وهي لم تتعود على أحاسيس من هذا النوع ولم ترحب بها.

صار (لوك) يقضي أوقاتاً أطول في فرنسا بعد أن أطمئنه على أستقرار حالة (جوستين) وكانت (جوليا) تتوتر بشدة عندما يحادثهم تليفونيا. وفي زيارته التالية كان محيطه جو مختلف. وكم كانت صدمة مروعة (لجوليا) أن تواجه حقيقة أنتهاء هذا الأمر. فقد جاء لوك في نهاية أحد الأسابيع وأعلن أن الأسبوع التالي سيكون هو آخر أيام (جوستين) في أنجلترا.

قال (لجوستين) وهو يحتويها بين ذراعيه: «لقد وجدت لنفسك عائلة أخرى يا حلوتي. وهي أضافة وليست لتحل محل عائلتك الأصلية. في

الأسبوع القادم ستعودين لبلدك وتودعين صديقتك (جوليا)».

لاحظت عيناه ذاك الحزن المفاجيء الذي غطى وجه (جوليا). ولكن لم يكن أي منهم يتنبأ برد الفعل الذي بدأته (جوستين) تجاه هذا الخبر. لقد تصلبت في ذهول ونظرت إلى (لوك) ثم إلى (جوليا) وقبل أن يستطيع أي منهم تهدئتها أو حتى مجرد التحرك كانت قد أنفلتت من بين ذراعي (لوك) وأخذت تعدو إلى حيث تجلس (جوليا) وألقت بنفسها عليها ومدت ذراعيها تطوق بها عنق (جوليا) بشدة.

«كلا» نطقتها بالفرنسية بصوت واه متحشرج لفلة أستخدامه مدة طويلة. ثم قالت بكلمات أختلطت فيها الفرنسية والأنجليزية: «كلا... لتأت.. لتأت يا (جوليا)... لتأت معي».

تفجرت فرحة طاغية على وجه (جوليا) وأنهمرت دموع عينيها عندما التقتا مع نظرة (لوك) الذاهلة. وشهق (لوك) قائلاً بالفرنسية: «غير معقول... هذا شيء لا يُصدق».

كانوا جميعاً قد هبوا منتصبين على أطراف أصابعهم وقد أتسعت أبتسامة (بول ردفورد) بينما أمتزج ضحك (جوليا) وبكائها وهي تحتضن الطفلة الباكية التي تشبثت بها ورفضت أن تدعها. وتسمر (لوك) في مكانه مبهوتاً وبدا غير قادر على الحركة وقد جمدت نظرات عينيه السوداوين على وجه (جوليا) المتألق.

ساد بينهم الأضطراب لفترة ثم أستطاعت (جوليا) بهمسة (جوستين) وأشارت بذهابها للنوم لبعض الوقت. لقد أنهك الجهد والأنفعال الطفلة الصغيرة التي تشبثت برقبة (جوليا) وهي تحملها للفراش بعد أن هدأ بكائها.

وبعد دقائق أخذ (ردفورد) (مارشال) إلى الطابق العلوي وأشار في صمت إلى باب حجرة (جوستين) النصف مفتوح. كانت (جوليا) تجلس على حافة الفراش وقد وضعت يدي الطفلة الصغيرتين في يديها وأستطاعت بالمداعبة الرقيقة الحذرة أن تنتزع بضع كلمات من الشفاة التي

lilas.com

كانت صامته في وقت من الأوقات.

أقبلت (جوليا) إلى حيث يقف والدها و (مارشال) وقالت: «ألقِ عليها نظرة يا أبي... إنها تبدو على مايرام ولكنها كانت صدمة كبيرة لها مثلما كانت لنا. إن عينيها متسمتان قليلاً وأفضل أن تلقي عليها نظرة».

وبينما ذهب والدها إلى (چوستين) أستدارت إلى (لوك) بإبتسامه، بعثة ثم قائلة بتهيب: «أعتقد أننا بحاجة إلى قدح من الشاي يا سيدي. فلنهبط إلى المطبخ».

كانت السيدة (دوبسون) قد أنصرفت، فذهبت (جوليا) إلى المطبخ لإعداد الشاي. كانت يداها لا تزالا تهتزان. لم تنتبه إلى أن (لوك) كان يقف قريباً منها حتى فوجئت به يديرها على عقبيها لتواجهه وقد بدا نافد الصبر.

قال بصوت مهتز: (جوليا) كان لا يزال ساكتاً بينما ترسل عيناه نظرات متفحصه إلى عينيها. وكرر أسمها بنفس النغمة: «(جوليا)». وفجأة جذبها إلى صدره وأحكم ذراعيه حولها ودس وجهه في شعرها وتوسل في صوت أجش: لتأت يا (جوليا)... لتأت». رفع رأسه إلى عينيها الذاهلة وهو يقول: «لتأت معنا إلى فرنسا» ثم أضاف بالفرنسية في صوت يائس مثلما فعلت (چوستين) تماماً: «لتأت معي». وفي هذه اللحظة أحست (جوليا) أنها لابد ستذهب. كان الباب إلى قلب هذا الرجل الغريب المتحفظ مفتوحاً على مصراعيه وهي ترغب في الدخول كما لم ترغب في أي شيء على مدى حياتها.

وحتى عندما أستقلت الطائرة إلى فرنسا في الأسبوع التالي كانت تتساءل عما إذا قد فعلت الأجراء الصحيح. لم يكن هناك شك في سعادة (چوستين). وبعد أستعادة الطفلة لقدرتها على النطق في هذا الموقف الدرامي فقد وافق (ردفورد) على أن إبعادها عن (جوليا) في هذا الوقت ليس من الحكمة في شيء. كما أتفق مع (لوك) أيضاً في أن هذا هو الوقت الذي يجب أن تعود فيه (چوستين) إلى أهلها. ورغم أن

(ردفورد) لم ينوه بذلك إلا إنه أعتبر أنه من الأفضل وجود (جوليا) معها عندما تواجه مرة أخرى نفس المكان الذي يعتقدان أنه أحدث لها الصدمة.

وتحت أصرار (لوك) جمعت الوانها المائية ووضعتها في حقيبة سفرها. فقد قال لها أن هناك القليل مما يمكن عمله لقضاء الوقت وذلك بالنسبة لإنسان مثلها عاشت أغلب حياتها في المدينة أو بالقرب منها. وعندما تكون (چوستين) مع معلمتها الخاصة فيمكن (لجوليا) عمل تسجيل كامل لإقامتها في (كامارج). وقد راقت الفكرة (لجوليا) وأسعدها أن تأخذ ألوانها معها. وأحست أنها ستكون ملجأ لها معظم الوقت حيث أنها ستدخل مجتمعاً أجنبياً تماماً. وفجأة أحست أن هدوء جناح الجراحة النسائي قد أصبح بعيداً جداً.

لم تسأل على الأطلاق عن بيت (لوك) أو عن (كامارج) نفسها وكانت تلتزم الصمت عند وصولهم.

ورغم أن المسافة التي قطعوها بالسيارة من (مرسيليا) لم تكن طويلة إلا أن الأنتقال إلى عالم آخر أدخل عليها بعض الرهبة.

قال هنا (لوك) أنها بلاد تتكون من البحر والسماء.. بلاد مختلفة.. وقد بدت كذلك. كانت محاطة من الجنوب بفرعي نهر (الرابن)، وهي عبارة عن سهل فسيح أحاطت به المياه الرقراقة فبدت كأنها أرض تحيطها عقائد الدر والجوهر. كانت هناك مساحة شاسعة غير مأهولة تهبط إليها الطيور المهاجرة. أمتدت حقول الأرز ومسطحات الملح اللامعة بالأضافة لمساحات شاسعة من الأرض الخضراء التي يغطيها العشب حيث توجد مزارع تربية الثيران الضارية في (كامارج). كان هذا هو المكان الذي قدر (للوك) أن يعيش فيه.

وبينما كان (لوك) يمر بالسيارة قريباً من مستنقعات (دي فاكيريه) حلقت (جوليا) في ذهول في الأسراب اللانهائية لطائر البشروس طويل العنق والرجلين التي كانت تعلو فوق المياه وقد أكسبت السماء بجمالها

الأحاذ لوناً ورديا بيما كانت تغدو بعداً عن غذاءها.

قال (لوك) بإبتسامة هادئة وهو ينظر لوجهها المنير: «هل تشعرين بالسعادة الآن لأنك أحضرت ألوانك المائية؟»

وهمست وهي تتابع أسراب الطيور: «نعم... ليتني فقط كنت أمتلك المهارة الكافية».

قال مؤكداً: «أعتقد أنها لديك... وأنا أرى أن الفرصة قد واتتك».

قالت (جوليا): «لاتنسى أنني هنا لمساعدة (جوستين)» ثم أشاحت ببصرها بعيداً عندما وجدت عينيه مثبتتان على وجهها.

ورد (لوك) وهو يراقبها: «ليس كل الوقت. فأعتقد أنك لن تجدي صعوبة كبيرة مع (جوستين). وأعتقد أنه لايوجد من يشكل صعوبة بالنسبة لك».

وعقبت بنظرة قصيرة ثم جلست في صمت. ليس لديها أي فكرة عن المظهر الذي تبدو به الآن. كانت ترتدي فستاناً من الكتانة الأزرق بلون عينيها وقد لملمت شعرها خلف رأسها ولكن خصلاته الذهبية كانت تتسابق لتلف حول وجهها الرقيق. إنها تكاد أن تكون طفلة مثل (جوستين) لولا تمام أسنداره بهديها النضرين ورشاقة ساقيها الجميلتين.

كانت عينا (لوك) تطوفان بجسدها في تمهل وعندها فقط أدركت أنها أيضاً كانت تنظر إليه بلا تحفظ فترى ذلك الوجه الوسيم الداكن النحيل والشعر الأسود الكثيف الذي تداعبه رياح (كامارجو). وتلاقت نظراتهما وطالت ولكن لم تكن هناك أي أبتسامة في نظرته وإنما تردد مترقب متساءل جعلها تطلق زفيراً طويلاً مرتعشاً. كان يحدث بينهما شيء ولكنها لم تدرك ماهيته. وتنبهت فجأة فصرفت بصرها وقد أشتد توردد وجنتيها.

وعقبها (جوستين) بنظرة حائرة ثم قالت بصوت واثق: «إن عمي (لوك) لايرى صعوبة في التعامل مع أي شخص إنه رجل مهم. فهو ماركيز ذي سانت ميتشاد. وهو مهم جداً».

قال لوك بحدة: «من فضلك يا (جوستين).. الزمي الهدوء» ولوى

شفتيه مبتسماً عندما بدت على وجهها أمارات الخجل.

قالت (جوستين) وقد عبس وجهها: «لماذا لايجب أن تعرف (جوليا) ياعمي. فكل الناس تعرف ذلك و(جوليا) صديقتنا. أليس كذلك؟» ثم ألتزمت الصمت وتراجعت في مقعد السيارة الخلفي وأغلقت عينيها كأنها توصد الباب في وجه كل شيء.

أحست (جوليا) أنهم تراجعوا للوراء في هذه اللحظة. فقد صمتت كل الثرثرة التي تزايدت على مدى الأسبوع المنصرم. وأدركت أنها يجب أن تكون حذرة ومتيقظة. فقد تأثرت (جوستين) بشدة من تأنيب (لوك). وهي لاتريد أن تبدأ من الصفر مع طفلة صامته.

قالت (جوليا) بسرعة: «إنه فعلاً أمر غير مهم يا (جوستين)» ووجهت إلى (لوك) نظرة تأنيب وهي تقول: «أنا في الواقع لايهمني من يكون عمك (لوك). أنا لايهمني إلا أنت».

قالت (جوستين) في أبتهاج: «هذا رائع» ووثبت تحيط عنق (جوليا) بذراعيها ثم قالت: «والآن فلن أشترك معكم في الحديث حتى يتوقف عمي (لوك) عن معارضتي».

وأبتسمت (جوليا) عندما وجدت (لوك) يقول بنظرة ساخره مضطربة: «لقد توقفت. وأسف لأي مضايقة ياحلوتي».

أندفعت (جوستين) تكاد تختفي بين ذراعيها وهي تقول: «الآن عدنا جميعاً اصدقاء» ثم تابعت: «إن لدي رغبة جارفة في رؤية جدتي (لوسيل) فهل سنذهب الآن؟»

رد (مارشال): «بالطبع» وأبتعد بالسيارة عن المياه بينما جلست (جوليا) صامته.

أحست أن (جوستين) كانت تأخذ طريقها لتكون مشكلة مزمنة. لقد تحدثت مرة أخرى ولكنهم لم يعرفوا سر صمتها. ربما كان ذلك يرجع إلى الحادثة وفقدان والديها. إنها لم تذكرهما على الأطلاق. كانت رغبتها في رؤية جدتها (لوسيل) هي الشيء الوحيد الذي ذكرته بخصوص منزلهم.

كان الأمر محيراً. ولكن كانت حيرتها أكبر عندما أكتشفت لقب (لوك) وما سرى بينها من أحاسيس عندما تلاقت عيونهم.

فى (كامارجو) بدا وكأنه قناعاً يسقط من على وجهه فكان مختلفاً إلى حد ما. وأحست (جوليا) بالقلق وهى تحدق فى الطريق الممتد.. وقالت لنفسها أنها تصنع معروفاً ولا شىء فى ذلك ويمكنها أن تعود لوطنها عندما ترغب. إذن لماذا تشك فى هذا عندما تختلس النظر إلى تلك الأيدى الداكنة القابضة على عجلة القيادة.

لقد أطلق عليها «صديقة جوستين» فمن يمكن أن يكون صديقها فى هذه البلاد الجديدة الغريبة. مع كل ميل يقطعونه كان (لوك) يتغير وهى تومن أنها الآن فى بلده وبين أهله.

أخذت نفساً عميقاً وشدت ظهرها. كانت صامتة هادئة. ووجدت عينى (لوك) الداكنتين ترمقانها بنظرات خاطفة.

وقال (لوك) بلهجة جافة: «هل قررت إرجاء رحيلك بعض الشىء يا (جوليا)؟» ثم تابع: «أعرف أنك تمتلكين الشجاعة يا عزيزتى ونكتك لن تحتاجين إليها فى مواجهة. فنحن سوياً فى هذا الأمر من أجل (جوستين) وعليك بتذكر ذلك عندما تحديتنى أجنبياً غريباً».

كانت «سانت دى مينشاد» مفاجأة (لجوليا). فلم تكن تتوقع شيئاً بعينه. ربما بعض المزارع على نمط الغرب الأمريكى. لكن هذه كانت مختلفة تماماً. وكان الليل يقبل سريعاً يلف كل شىء بالظلام الحالك.

مروا من خلال بوابة بيضاء عالية إلى طريق خاص يؤدى للمنزل. أحست (جوليا) بالقلق يتزايد داخل (جوستين) رغم أنها لم تنطق بأى كلمة. وفى هذه اللوحة الطبيعية الغامضة الهادئة أخذت (جوستين) تبدو غير عادية مثلما هو الحال بالنسبة (للوك). كانت تبدو أجنبية غريبة غامضة. وأحست (جوليا) أنها يجب أن تشحذ قوها ولا تستسلم لهذا التفكير.

وعلى جانبى الطريق كانت أشجار السرخس تحيلة الأغصان تلقى بظلالها على الأرض وكانت السيارة تندفع من الشمس إلى الظل فى كل قدم من الرحلة. وراء الأشجار كانت هناك مساحات شاسعة من الأرض حيث أقيمت مراعى الثيران السوداء الضارية. أخبرها (جوستين) أن لديه أكثر من مائتى ثور فى مزارعه. ولكنها لم تتمكن من رؤيتهم فى ذلك الوقت رغم أنها كانت تتجول ببصرها فى وجل بحثاً عنهم.

بين الأشجار كان هناك قطيعاً من الخيول البيضاء ترعى الكلأ. كانت تبدو فى الظلام كأنها أشباح وقد رفعت رؤوسها فى ضيق عند مرور السيارة.

قالت (جوليا) فى صوت مرتعد: «إنهم يبدون هائجين».

قال (مارشال) بصوت ساخر: «إنهم هكذا فى الغالب. لابد أنك قد سمعت عن خيول (كامارجو) البيضاء. فقد تعود قليل منهم على المزارع بشرط أن يكونوا مطلقى السراح. أما أغلبهم فيتجولون بحريتهم فى المستنقعات المشبة. ومن وقت لآخر فإن الرعاة يقودون هذه القطعان برماحهم إلى المزرعة».

وسألت (جوليا) فى صوت خفيض: «رعاة؟» وتعجب من غبائها الذى تخيل أنها قادمة إلى بقعة عادية من فرنسا. لقد كان هذا المكان يبدو قاره مختلفة تماماً.

ورد مارشال بسخرية: «رعاة بقر... يا آنسة. أنا أتخيل أنك ستجدينهم فى غاية الرومانسية لأننى أعتقد أن رومانسيتهم ترقد وراء هذا المظهر الخارجى... إنك لا تبدين هادئة دائماً».

وسرت (جوليا) رجفة مفاجئة وهى تقول لنفسها: إن ذلك حقيقى فعلاً. لقد كانت الصعوبة تتزايد بإطراد فى أن تجلس هادئة وتواجه (لوك مارشال). فلم يكن وجودها الآن سوياً هو ذلك اللقاء المرتب سلفا كما كان يحدث فى المستشفى أو فى بيتها. وحتى تلك الحالات كان الأمر صعباً إلى حد كبير. أما هذا المكان فهو مقاطعته الخاصة. وهى تشعر أنه

فيها أشبه ما يكون بالملك.

وفجأة أفرقت السيارة عن الطريق الضيق لتسير بمحاذاة سياج أبيض يحيط بمراعى لا نهائية. كانت امتدادات الأشجار والأرض الخضراء تشكل لوحة من الجمال المنسق. كانت الحدائق تتوهج بأزهار الصيف والأشجار والآجام الزاهية الألوان. كان هناك بريق حمام سباحة بجوار المنزل. أما المنزل نفسه فقد كان ضخماً أبيض اللون مبنياً على الطراز البروفانسى وينحدر سطحه نحو الجانبين. وقد بدا جذاباً مريحاً.

قال (لوك) بصوت رقيق: «لقد وصلنا... مرحباً بك فى منزلى يا (جوليا). من الآن فصاعداً ستكونين ضيفتى مثلما كانت (جوستين) ضيفتك. ولن ندع شيئاً يكافىء عطفك وعنايتك إلا وفعلناه».

قالت (جوليا) بقلق: «أنا لا أريد مكافأة يا سيدى». وأستدار لها بابتسامة ساخرة باهتة ثم قال مصححاً بقوة: «لوك»... أرجو لا تنادينى بكلمة «سيد». وأما بخصوص مكافأتك فلست مضطراً لقراءة ما بداخل عقلك لكى أعرف أننا لا نزال فى بداية رحلة شفاء (جوستين). لقد تصرفت منذ البداية بدافع من فطرتك وشفقتك المجرده ولكنك ستتجاوزين ذلك بمراحل وأنا متأكد من ذلك. وعندئذ سيكون ما أديتى به من العرفان لا يقدر بثمن. لقد قلت لك أننى أمضى أغلب وقتى منهمكاً فى عملى وأنا أريد أن تكون (جوستين) فى رعايتك وسأجير الأسرة بأنك ستتولين الأشراف الكامل عليها. فلدى ثقة عمياء فيك».

قالت (جوليا) بإرتباك: «لكننى أجنبية... زائرة... وهم سوف...»

وقاطعها قائلاً بحدة: «دعيهم لى. إن (جوستين) لا تزال معرضة للخطر. وكما تعرفين، فيمكن أن تعود للصمت مرة أخرى. إنها بحاجة لك. ولن أسمح لأحد بالتدخل».

لقد عاد إلى هذا الأسلوب. أحست (جوليا) أنها هى نفسها معرضة للخطر. فجره خطوة واحدة خطأ كفيلة بتحطيم كل شىء. خالجها ذلك الأحساس القلق وكأنها تتوقع هبوب عاصفة.

لم يكن هناك ما يقال أكثر من ذلك. وبينما نزلا من السيارة بقيت (جوستين) بداخلها وبدا عليها نفوراً واضحاً من النزول على الرغم من رغبتها فى رؤية جدها (لوسيل). وفى آخر الأمر أضطر (لوك) لحملها بأمساكاً بإحدى يديه بينما مدت يدها الأخرى وأمسكت بيد (جوليا) كما لو كانت ذاهبة لمواجهة محنة كبرى.

نظرت (جوليا) للمنزل فى الغسق المعتم. ووصلت لأسماعها بعض الأصوات الغريبة. أصوات الموسيقى الليلية «لكاماراجو». لم يكن هناك سبيل للتراجع على الأقل الآن. كان هذا ما أحسنه من وجه لوك المستديره فخراً. ولكنها أحست ذلك بدرجة أقوى من خلال اليد الصغيرة التى كانت تشد على يدها. وأيا كان الأمر فهى فى أرض (لوك)... فى (هاناد دى مينشاد) وطن (لوك مارشال) ماركيز دى سانت مينشاد. لقد وافقت على المجىء إلى هذا المكان بدافع من حيا الجارف (لجوستين). لقد غير (لوك) حياتهم جميعاً إلى الأفضل ويجب أن تسعد بذلك. فلماذا إذن كانت تشعر كأنها أسيرة؟ إنه سؤال لم تهتم بالأجابة عليه. وأحست كأنها فى أجازة لا شىء غير ذلك.

بعد فترة أفرقت (جوليا) حقائبها وبدلت ملابسها أستعداداً لتناول العشاء فى تلك الحجرة المرتفعة المتسعة المجاورة لغرفة (جوستين). وفى تلك الأثناء سألت نفسها عن السبب الذى يدعوها لهذا القلق. إنهم جميعاً يحبون الطفلة. وأحست (جوليا) بأنها كانت على خطأ تماماً. فلا شىء هنا يدعو (جوستين) للصمت.

عاد تفكيرها إلى لحظة وصولهم. وتذكرت كيف كانت (جوستين) تتطلع للتراجع. كان (لوك) (جوستين) كأنها شخصين غريبين. وأحست بهما شيئاً مثيراً. كانا يختلفان عن أى وقت مضى. وعند دخولهم المنزل كان سلوك (جوستين) غريباً بعض الشىء. أستدارت نحو (جوليا) وتركت يد (لوك). وبدون تردد حانت (جوليا). كانت (جوليا) نفسها خفيفة ولكن الطفلة كانت لا تزال خفيفة الوزن بسبب المحنة التى مرت بها.

ومرة أخرى أمتلأت (جوليا) بالرغبة فى حمايتها.

كان المنزل جميلاً دافئاً ومنظماً. وبالتأكيد لا يوجد هنا ما يخيف الطفلة. تلاقت نظرات (جوليا) و (لوك) عندما حدق بحيرة فى (جوستين) ثم فى (جوليا). كان على وشك الكلام ولكنه توقف عندما دخلت سيدة مسرعة إلى الحجرة وصاحت: «جوستين.. صغيرتى.. ها قد عدت إلى بيتك أخيراً». وفتحت ذراعيها إلى أقصى ما تستطيع وخفضت (جوليا) ذراعيها حول (جوستين) التى انزلقت إلى الأرض وألقت ترتمى بين ذراعى هذه السيدة وهى تقول: «جدتى (لوسيل).. لقد كنت أتوق إلى رؤيتك. لقد أفتقدتك كثيراً». وطوقتها الذراعين الدافئتين بقوة. وكانت عينيها الداكنتين اللتين التقتا مع عينى (جوليا) تشعان بالدفء أيضاً. كانت فى حوالى الخمسين من عمرها ولكنها لا تشبه (لوك) فى أى شىء. فليس ها ذلك المظهر المتعجرف ولا الوجه الصارم. وبينما كان (لوك) ذا بشرة بنيه ذهبية فقد كانت زوجة أبيه داكنة البشرة. كان بها شىء غير عادى يتحدى الوصف. إنه ذلك الوميض الحاد فى عينيها الداكنتين. كان صفه مميزة فى وجهها البنى الداكن بلون البندق.

قالت الجدة بصوت رقيق بينما كانت تمرر يدها على شعر (جوستين) الخفيف القصير: أنت الممرضة (رذفورد)... لقد جدتنا (لوك) عن شقيقتك الكبيرة تجاه (جوستين) وعن مهارة والدتك العظيمة».

نظرت (جوستين) لجدتها وهى تقول: «إن البروفيسور هو الأفضل فى العالم. وهو يعيش فى بيت كبير. إنه رجل مهم جداً. وهو أيضاً صديقى. وكم كان يقذف بى فى الهواء ثم يستقبلنى بكلتا يديه. ويوماً ما سوف أعود إلى أنجلترا مع (جوليا) لأعيش معهم».

قالت الجدة برقة «حق... صغيرتى... من ذاك الذى يكون أهم منك؟ إذا رحلت هنا فسوف نذيل مثل العشب فى المستنقعات. فأنت ضيوفة أثيره لدينا».

وجاءهم صوتاً من ناحية الباب يصيح: «أوه.. أيتها الوغدة... ها أنت بالمنزل» وصرخت جوستين هرباً وأنطلقت لتقذف بنفسها فى أحضان جديدة لشاب فى عمر (جوليا) وهتفت: «(فيليب)». كان يقف بحركة شبه مسرحية لدى الباب وتلقفها بين ذراعيها ورفعها فى الهواء ثم أحكم ذراعيه حولها. وأستدار إلى (جوليا) محياً وهو يقول بإعجاب صريح: «أوه... لقد أحضرتم لنا أميره أنجليزية». ثم تابع وهو ينظر إلى (جوستين). «لقد سمعتكم تتباهون بأمرها. وعلى كل فأنا سعيد بعودتك لتحدثنى المزيد من الهوهواه يا عزيزتى. لقد كان الهدوء يخيم على المكان فى غيابك».

قالت (جوستين) بهدوء وقد طوقت عنقه بذراعيها: «إننى لم أكن أتحدث فى منزل (جوليا) ولكننى أضطررت للتحدث فى نهاية الأمر لأنها كانت ستتركنا نرحل بدون أن تأتى معنا فكان لابد من التحدث عندئذ».

قال (فيليب): «ربما تكون هذه الأميرة الأنجليزية قد أفسدت بالتدليل». كانت عيناه تمسحان جسد (جوليا) فى أعجاب.

قال (لوك) بصوت حاد: «إن الأميرة الأنجليزية ممرضة ملتزمة جداً بأحد مستشفيات أنجلترا» ثم أخذ بذراع (جوليا) وهو يقول بصوت جاف: «سوف أقدمك كما ينبغى بعد أن مرت مفاجأة اللقاء الأول».. زوجتى أبى (لوسيل)... أخى غير الشقيق (فيليب)». وأشار لكل منهما على التوالى وكان سلوكه بارداً إلى حد ما وقد شدد قبضته حول ذراع (جوليا) بدون داع.

قال (لوك): «لقد أبدت الممرضة (رذفورد) أستعدادها بمنتهى النبل لترك عملها مؤقتاً والمجىء إلى هنا لمساعدة (جوستين). وسوف تناوبنا (جوليا). وستكون لها يد مطلقة فيما يختص (بجوستين). وستكون مسئولة أمامى أنا فقط».

وعلق (فيليب) ساخراً: «وأنت ــ كما نعلم ــ لست مسئولاً أمام

أحد» وارتسمت على وجهه ابتسامة ماكرة عندما وجه لى (لوك) نظراته الحادة ورد بسرعة مازحاً: «أنا أفعل أحياناً ولكن للدعابة فقط» قال (فيليب): «لقد رأيت ما حدث لأولئك الذين حاولوا رفع سيوفهم فى وجهك.. أيها الأخ الكبير».

قال (لوك) ساخراً: «إذا لم تتوقف عن المزاح فسوف تجد نفسك حيث تعلم». وأما الآن فأرشد (جوليا) لحجرتها. سوف أقدم لكم امتياز حل حقائبهم. ثم قال فجأة بصوت حاد: «أين (ماريس)؟»

قالت (لوسيل) بسرعة: «أنها ستتأخر هذا المساء ولكنها ستأتى قبل موعد العشاء». وأحست (جوليا) براحة غريبة عندما امتدت يد (لوك) إلى كتف زوجة أبيه وتبادلا نظرة متفاهمة. إذن فليس كل شىء يتم عن طريق الحرب فى هذا المنزل. كان واضحاً أن (لوك) قد أساء تفهم أخيه من (چجليا). كانت تأمل ألا يشعر بأن (فيليب) سيكون عقبة فى طريقها. وسوف يتطاير الشرر إذا أصر (لوك) على هذا الموقف الصلب.

عندما أنزل (فيليب) (جوستين) إلى الأرض قال لها (لوك): «تعالى حلوتى... أستخدمى قدميك هاتين فى السير إلى غرفتك. إنك إذا تركت (جوليا) تدير بصرها فى أرجاء المنزل فسوف أن هذه الجدران عارية تماماً وتحتاج للوحة أو اثنتين. ومن يدرى فقد نرسم لوحة لك أنت».

امتلأ وجه (فيليب) بالشغف وهو يسأل فى إعجاب: «أنت فنانة أيضاً يا (جوليا)؟»

ردت (جوستين) بفخر: «فنانة رائعة».

قال (لوك) بصوت جاف: «وذات شأن عظيم» وأستدار نحو الباب كأنه يحث (جوليا) و(جوستين) على الخروج.

أرشدها إلى الحجرة التى خصصت لها ثم تركها عائداً لهم. وأحست ببعض الضيق فلم يكن لديها شك فى أنه قد عاد ليحدد لهم مكانها هنا بالضبط. ولكنها لم تشعر أن مهمتها ستكون صعبة فى وسط هذا الحب

الذى يحيط (بجوستين). ولكن كيف تبدو ماريس؟ لم يكن فيليب يشبه والدته سوى فى لون البشرة إلى حد ما. كان أقرب فى مظهره إلى (لوك) ولكنه كان أكثر رقة ووسامة. فهل كانت ماريس مثل ذلك؟ وهل ستجد صعوبة فى التعامل معها؟ كانت تتوق لاكتشاف كل هذه الأمور وإن أحست ببعض الخجل لذلك.

لقد تجلى أمامها الآن أم صمت (جوستين) كان نوعاً من الصدمة حلت بها من جراء تعرضها للحادثة. وقد حال مرضها دون ظهور هذا الأمر قبل إجراء الجراحة.

أنهت (جوليا) أرتداء ملابسها. إنها تريد أن تبدو اللية بصورة طيبة لتعطى انطباعاً طيباً وخاصة أنها لم تمكث هنا طويلاً. فبمجرد أن تشعر بالاطمئنان تجاه (جوستين) ويصبح ذلك واضحاً أمام (لوك) فسوافق على عودتها لوطنها.

كان ترتدى سروالاً حريرياً ضيقاً وقميصاً فضفاضاً أرجوانى اللون ذا أكمام منسعة. وقد أعطى تباينا أخاذا مع شعرها الذهبى الكثيف الذى أسدلته مسترسلاً خلف أذنيها اللتين تدلى منها قراطاً فضياً يلمع فى الأضواء. وأحاطت معصمها بسوار فضى بينما وضعت قدميها الصغيرتين الجميلتين فى صندل فضى اللون ذا كعب مرتفع. بدت (جوليا) كأنها إحدى بنات الشرق بمظهرها الفريد. كانت ثيابها شديدة الأناقة. وأسعدها ذلك كثيراً.

عند سماعها طرقاً على باب حجرتها تخيلت أنها (جوستين) فردت بإنشاح: «أدخلى يا (جوستين)» ولكنه كان (لوك) وقد تألق جسده الطويل فى حلة داكنة بينما كان قميصه ذا اللون الأزرق الثلجى يبرق فى تباين مع بشرته الذهبية اللون.

قال (لوك) ببطء وهو يتأمل جاهاً الأخاذ: «لقد تناولت (جوستين) عشاءها فى الفراش فقد كانت متعبة جداً وربما تستسلم للنوم الآن».

قالت (جوليا): «أوه... إننى ذاهبة لها».

Imas.com
منتدى ليلاس الثقافى

وأتجهت نحو الباب لكنه أوقفها بهزة من رأسه قائلاً: «ليس الآن بعيد حيث يمكنك تحمل مسؤوليتك تجاه (جوستين). أما الليلة وبلا تكلفة فلتكوني ضيفتي».

توقفت (جوليا) في وسط الحجرة وقد أحست بتذر الخطر بينما تولد داخلها إدراك مفرط لجسدها وإدراك خجول لجسده. وببساطة راح يتفحص جسدها وكأنها أصبحت عادة أكتسبها منذ أن رآها لأول مرة ثم ثبتت عيناه على وجهها وهو يقول بهدوء: «أنت تعتقدين أنه أنا. أليس كذلك؟»

كان يقصد سبب متكلة (جوستين). وللحظة لم تفهم ما يقصده ثم تورد وجنتاها خجلاً وأطرقت ببصرها إلى الأرض وهي تقول: «لا... ليس الآن. أعترف بأنني ظننت ذلك ممكناً في البداية. إن (جوستين) تحبك ولكنها توجه لك نظرات غريبة في بعض الأحيان».

قال (لوك): «إنني أتفق معك تماماً».

ثم خطا إلى داخل الحجرة ببطء مائكاً على منضدة الزينة وقد وضع يديه في جيبيه وثنى إحدى قدميه في رشاقة قال: «إنها كذلك منذ الحادثة. وقد يكون ذلك لشدة شبهي (بجوليس) كما ذكرت لك من قبل. وعلى أية حال... فماذا يدور بعقلك الآن بعد أن تخلصت عن هذه الفكرة؟»

قالت (جوليا) بصوت قوي: «من المحتمل أن تكون صدمة مؤجلة».

ولم تشرح جوليا هذه الخاطرة ولا لوجوده في غرفتها فتابعت قائلة: «سوف ننتظر أسبوعاً فإذا أستمر حالتها معتمة سأعود إلى بلدي».

قال (لوك) بهدوء: «هذه فكرة لم أضعها في أعتباري بعد. وقد تكتشفين أننا نحتاج إليك لمدة أطول من أسبوع».

قالت (جوليا) بأقصى ما أستطاعت من قوة: «إن (جوستين) تعني أن لي عملاً يجب أن أعود إليه».

قال (لوك) بصوت رقيق: «هي تعني ذلك. ولكن هل تطيق فراقك؟»

أحست (جوليا) بأنها قد وقعت في شرك. كانت كل حواسها تدعوها الآن لبت في هذا الأمر فوراً.

قالت (جوليا) بحدة: «عاجلاً أو آجلاً فلابد أن أرحل. لقد قدمت كل ما في وسعي» ولكن من الواضح أن ذلك سينتهي حتماً. فلسوف تستقر (جوستين) هنا وأصبح أقل أهمية لها. وسيحدث ذلك سريعاً. فالكثير من صغار المرضى يتعلقون بممرضيهم وحتى الكبار فإنهم يفعلون ذلك. وعندما يستقرون في منازلهم فإنهم قد لا يتذكرون أسماءهم» ثم أضافت بحزم: «وهذا ما يجب أن يكون».

قال لوك بصوت مرتعش: «ولكن (جوستين) ليست كأي مثلة عادية. فلم تكن (دايردرى) أما حقيقية لها مطلقاً. فهي لم تكن تريد الأنجاب. ولم تعرف (جوستين) حنان الأم على الأطلاق. وعندما كان (جوليس) حياً لم يكن هناك أهمية لذلك فقد كان يعطيها كل الحب الذي تتمناه. أما الآن فقد أتضحت لها الأمور على نحو مؤلم بينما لا تزال تتذكر ماضيها».

قالت (جوليا) وقد غامت عيناها بالدموع: «يالها من بائسة» ثم نظرت له في صمت.

قال (لوك) بصوت رقيق: إن الأطفال يحبون أن يكون كل شيء بمتناول أيديهم. إن لها أقارب يحبونها ولكن هذا ليس كافياً. أنها تحبني ولكن هذا أيضاً لا يكفي. عندما وصلنا للمنزل لم أستطع عمل شيء عندما وجدتها تتركني وتذهب إليك. لقد تحيرت أنت أمام هذا التصرف وكذلك أنا. ولكنني وصلت لحل هذا اللغز. لقد قررت (جوستين) أنها بحاجة إلى أم. وأعتقد أنها قد أختارتك أنت».

بحظت عينا (جوليا) وهي تحملق فيه قائلة: «هذا مستحيل. غالبا لتأكيد أن أقامتي هنا مؤقتة. أنت تعلم هذا ولو كان لدى أدنى شك في ذلك لما أتيت معكم. إذا كان هذا هو شعورها فمن الأفضل أن تنفصل عني تماماً» ثم أضافت «هذه بالطبع هي وجهة نظرك إنت فقط».

قال (لوك) مؤكداً: «لقد كانت مجرد وجهة نظر لدى لفترة من الوقت».

وعندئذ أدركت المصيدة التي أوقعت نفسها فيها. وتذكرت قوله: «لتأت إلى فرنسا يا (جوليا) .... لتأت معي». ترى ماذا كان يتوقع منها أن تفعله الآن بالضبط؟ أتراه أتى بها بحيلة بارعة إلى (كامارجو). وعلى أية حال فلقد تصرفت حتى الآن على نحو طيب في مواجهة هذا الرجل الغامض الغريب.

وقبل أن تنطق (جوليا) بأي كلمة أسمع (لوك) قائلاً: «إنني لا أتوجد هنا بأستمرار يا (جوليا). فلدى الكثير من الأعمال في أماكن أخرى من فرنسا. ونحن نقيم هنا لأننا فقط من أهل «كامارجو» ونعشق جمالها البري». إن ثروتنا تتمثل في الفنادق وكروم العنب وأشياء أخرى كثيرة وبعد السفر شيئاً ضرورياً بالنسبة لي ولهذا فنحن بحاجة إليك... أنا و(جوستين)».

سألت (جوليا) بحدة: على أي أساس بالضبط يا سيدي؟» وبدأت عيناها تستليء بالتحقر القديم.

قال (لوك) بإبتسامة ساخرة: «كصديقه بالتأكيد. فماذا يمكنك أن تكوني غير ذلك؟».

قالت (جوليا): «لا يمكنني أن أكون أما أحتياطية لسبب واحد. فأنا مغرمة جداً (بجوستين) ولكن لي وطني وحياتي الخاصة. وكما قلت من قبل فسنعطي هذا الأمر أسبوعاً».

قال (لوك) في صوت غاضب: «سوف نرى ذلك. وإلى أن يأتي ذلك الوقت فلا تسطي حماقتك وشقتك بلا قيود أيتها الأميرة الأنجليزية. فسرعان ما قد تجدينني أنقيله بطمع. وأنا متأكد أن (فيليب) سيفعله من أول لحظة. وقد رأيت كيف كان ينظر لك الليلة. فركزي جهدك على (جوستين) ودعي الآخرين لشأنهم».

قالت (جوليا) في صوت جاد: «سوف أتذكر ذلك يا سيدي» وعاد

أسلوبها إلى ما كانت عليه أبان عملها بالمستشفى.

وصحح (لوك) كلمتها قائلاً برقة: «(لوك)» وأتسعت أبتسامته لتظهرها المرتبك ثم قال: «هيا دعيني أرافقك إلى العشاء».

سارت (جوليا) ببطء وقد داخلها القلق إذ ستضطر للمرور بالقرب من جسده القوي المتليء بالرجولة. وفجأة أرتفعت يداه وأحاطت بوجهها ثم أمالة عباء الضوء قائلاً بصوت هادىء مثيراً: إنك باهرة الجمال بدرجة مذهلة. ولست أدري هل تدركين ذلك أم لا. ومن نواح شتى فأنت ذاتك مجرد طفلة لكنني أعرف أن (جوستين) ستكون في مأمن معك. هيا جيلني لنواجه الأمور سوياً».

أخذ ذراعها برفق وخرجا من الغرفه لكن المشاعر التي بدأت تتزاحم بداخلها بمجرد أن لمسها بيده كانت ملتهبة ومرعبة. لقد كان قوة غامضة أعادت تشكيل حياتها. وفجأة ـ مثلما يفعل الأطفال ـ أحست أنها تتوق لرؤية والدها. فهي لم تعرف ماذا يقصد (لوك) بكلماته هذه؟ ومن ناحيتها لم تجد ما يمكنها عمله. ولكنها أحست بأن عليها أن تعود لبلدها بأسرع ما يمكن. لقد كان مجيئها إلى هنا فكرة سخيفه جداً.

lilas.com
منتدى ليلاس الثقافي

الفصـــــل الخامـــس

عندما هبطا إلى الطابق الأرضى كانت هناك (ماريس) أخت (لوك) غير الشقيقة. كانت قريبة الشبه من (فيليب) وفا عينا أمها الذكيتين الغريبتين.

كانت سمراء ذات شعر أسود طويل يصل إلى خصرها. وعيطها جمال متعال شابته نظرة عدائية نافرة. وبدا ذلك تعبيراً راسخاً بداخلها، وقد حيت (لوك) بنظرة واسعة جمعت مابين القلق والتحدى.

سألها (لوك) بهدوء: «هل يعمل البنك حتى وقت متأخر هذه الأيام ؟» كانت هناك بعضاً من الشدة الكامنة وراء السؤال اهادىء.

ودت (چوليا) لو أنتبهت لأحد أركان الحجرة ولكن يد (لوك) كانت تقبض على يدها بشدة.

قالت (ماريس): «إننى فى الثامنة عشر ويمكننى أن أفعل ما أريد» وأدارت رأسها لأعلى تواجه نظرته الحدقة وقد أمتلأ وجهها بغضب خجول كطفل ضبط أثناء قيامه بعمل عابث.

قال (لوك) بلهجة غاضبة: «أنت محظوظة. فأنا فى السادسة والثلاثين ولا أستطيع أن أفعل ما أريد. فأنا أفعل ما هو متوقع منى. وستفعلين أنت نفس الشىء لتقللى من القلق الذى تسببه لوالدتك».

قالت (لوسيل) بسرعة وقد أضطرب وجهها: «أنت على حق يا (لوك)». وقبل أن يرد (لوك) أندفعت (ماريس) قائلة فى غضب: «ليس هناك من تأمرك عاجب أن تفعله يا (لوك). فأنت السيد المطلق اليد هنا ولا تعرف ما تفعله». ومضت عبها بخفه فى أتجاه (چوليا) معطية إيماءً طفيفاً بالشك.. وأنفجر (لوك) مزمجراً وقد أظلم الغضب وجهه:

«إن العجرفة لا تجدى نفعاً معى... وإذا كنت تقتصدين إهانة ضيفتى فسيكون عليك أن تتناولى طعامك فى غرفتك طول مده أقامها. فأنا لن أدع شيئاً يضايق الآنسة (ردفورد) مهما كانت الظروف. وعليك الآن بالأعتذار لها عن تلك النظره المختلسة التى ضمت الكثير من السم».

قالت (ماريس): «أنا آسفة يا (لوك)» وتهاوى رأسها الداكه تحت وطأة هذا الهجوم الضارى. بينما تجمدت (چوليا) فى أرتباك تام.

وأضافت (ماريس): «أنا آسفة يا آنسة (ردفورد). إننى أعلم فعلاً سبب مجيئك إلى هنا ونحن جميعاً ندين لك بالأمتنان».

قال (لوك) بصوت أجش: «هذا يكفى» كان وجهه لا يزال يموج بالغضب وهو يضيف قائلاً: «فى الغد سوف أذهب لمقابلة ذلك الرجل فى البنك. فأنت لا تزالين فتاة غره ولا ينبغى تعرضيك للمخاطر».

قالت (ماريس) فى أنكسار تام: «أوه... أرجوك يا (لوك)» لكنه لوح بيده منهياً الحديث وهو يقول: «هذا يكفى. فهذه وجهة (چوليا) الأولى معنا: فلتتصرف كعائلة فهذا ما تعودته وما نتوقعه».

قالت (فيليب) فى جرأه واضحه: «وهى أميرة أنجليزية ذات أهمية كبيرة» ولكن عينا (لوك) برقتا فى حزم توقفان هذا المزاح.

كان (لوك) لا يزال قابضاً على يد (چوليا). وقادها إلى الحجرة المجاورة لتناول العشاء. كانت (چوليا) تحس بما تشعر به (ماريس) من الضيق والأحباط نتيجة تحطم محاولتها المتحدية بهذه القسوة. لم يبد على (لوك) أن وجود شىء غريب فى تلك الليلة يشكل له أمراً هاماً. فقد

أنزل القصاص سريعاً وبلا رحمة. لقد كان هو السيد ومن الواضح أنهم جميعاً يعرفون ذلك. لم تستطع (جوليا) أن تتخيل طريقه تصرفه في الظروف العادية. فسؤاله الحاد عن (ماريس) عندما لاحظ غيابها ثم غضبه الآن يبين أنه مسئول مسئولية كاملة عن كل فرد هنا. وهذا يوضح أمام ناظريها ما يتوقعه منها.

أثناء تناول الطعام هدأت أعصابهم جميعاً بما فيهم (لوك). ورغم أن (ماريس) كانت صامته معظم الوقت ـ فيما عدا بضع كلمات وجهتها (لفيليب) ـ فإنها كانت تختلس النظر إلى (جوليا) من حين لآخر ثم ارتسمت على أبتسامة مترددة قابلتها (جوليا) بإبتسامة قلبية خالصة.

وبدأت (لوسيل) تسأل (جوليا) عن عملها وعن والدها والعملية الجراحية التي أجريت (لجوستين). أحست (جوليا) بسعادة لأنها أستطاعت تغيير مجرى الحديث وإزالة التوتر الذي أصابهم. كانوا جميعاً مهتمين بحديثها خاصة (ماريس).

وعندما أنتقلوا إلى حجرة الصالون قالت (ماريس) (لجوليا): «إن لدي رغبة كبيرة في أن أصبح ممرضة».

قال (فيليب) ضاحكاً: «عظيم ثم بعد ذلك ستريدين أن تصبحي أخصائية في جراحة المخ».

وجهت له (ماريس) صفعة مازحة فحنى (فيليب) رأسه مسرعاً لينفادها.

وخاطب (لوك) (ماريس) برقة قائلاً: إن (جوليا) في الرابعة والعشرين من عمرها وهي ممرضة فعلاً». وفرحت (جوليا) برقة نظراته وبهجته الذي كاد يبلغ حد التدليل بعد الكلمات الحادة التي وجهها للفتاة منذ قليل. ثم أسترسل (لوك) قائلاً: «هل تعلمين ما يتطلبه ذلك من العمل الشاق؟ إنك أشبه ما تكون بالفراشة يا صغيرتي. وأعتقد أن فكرة أن تشقي طريقك من البداية كممرضة ستكون شيئاً عسيراً بالنسبة لك. فلدى (جوليا) الكثير من المهارات».

أرتبكت (جوليا) هذا المديح المفرط. فهي لا تريد أن تكون محط أنظار مثل هذه الكثرة من العيون المعجبة.

قالت (جوليا) بعض الأرتباك: «يجب أن يكون لديها وفرة من الوقت للتعلم إذا كانت تعني ذلك فعلاً. فقد بدأت أنا من أول الطريق وهكذا يفعل أي فرد».

قال (لوك) بهدوء: «إنها منبهرة بك. وهي لا تعي أنك مجرد حالة أستثنائية ولا يعد شيئاً مسلماً به أن تصل لمستواك».

قالت (جوليا) في غضب: «إنني مجرد ممرضة. ويمكن (لماريس) بسهولة أن تحقق ما تريد. فهناك حاجة دائمة للممرضات. وما دامت لغتها الأنجليزية جيدة فلماذا لا تتدرب في أنجلترا».

قال (لوك): «هل لي أن أسألك عمن ستتولى رعايتها؟» وأغاظها أبتسامته الساخرة وهو ينظر إلى وجه (جوليا) الغاضب المتورد خجلاً.

قالت (جوليا): «بإمكانها أن تعيش معي. وستتزل على الرحب والسعة في منزلنا ويمكنني أن أساعدها في أمتحاناتها».

قال (لوك) بصوت هادىء وقد أمتلأت عيناه بالضحك الساخر: «كم أنت مندفعة... يا ممرضة (ردفورد). إنك لا تعرفين صغيرتنا (ماريس). إنها جمع من المشاكل».

أعترضت (لوسيل) بصوت رقيق وهي تنظر (لماريس): «إنها فتاة بارعة جداً يا (لوك)». كان وجه (ماريس) قد بدأ يكتسي بعلامات التمرد.

ووافقها (لوك) قائلاً في صوت هادىء: «إنها تكاد تبلغ الكمال» ثم وضع ذراعه حول كتفي أخته وتابع قائلاً: «لكنني أحس أحياناً أن هذا يرجع لوجودي بجوارها».

وأشتركت (ماريس) مع الجميع الذين أنطلقت ضحكاتهم مما حير (جوليا). ماذا هنا يمكن أن يدعو طفلة لأن تقرر التزام الصمت. لقد كانوا جميعاً يحيون بعضهم البعض. وفي كل الحالات فلم يكن هناك أدنى

fifas.com
منتدى ليلاس الثقافي

شك فى أن (جوستين) كانت تحظى بحب عظيم. وأحست (چوليا) أنها زائدة إلى حد بعيد عن أحبياحاتهم بل داخلها شك كبير فيما إذا كانوا يحتاجونها أساساً. لقد كان توسل (جوستين) الذى عضده (لوك) هو الشىء الوحيد الذى أتى بها إلى هنا. ولم يكن لديها أدنى شك فى أن سيتضح جلياً خلال الأيام القليلة القادمة أن هذه مجرد أجازة لها.

كان الحديث مع (لوسيل) سهلاً. وبعد أن هدأت ثورة (ماريس) فقد أبدت شغفاً كبيراً بمعرفة الكثير عن أنجلترا والتمريض وكيف كانت (چوليا) تتعامل مع (جوستين). وبينما أخفى (فيليب) فقد أخذ (لوك) لنفسه مقعداً وثيراً فى أحد جوانب الحجرة وأستغرق فى قراءة أحد الكتب.

أسترقت (چوليا) النظر إليه وكانت أهدابه الكثيفة المقوسة تبدو داكنة إزاء عظام وجنتيه البارزتين وبدت يداه طويلة الأصابع بنية اللون قوية. وحتى هذه اللحظة بدا أنيقاً رغم أنه نزع سترته وعلقها على ذراع وعلقها على ذراع المقعد. أتجهت عيناها إلى ذراعين القويتين وسرت رعشة خلال جسدها ولكن بالتأكيد لم تكن رعشة خوف.

وفجأة رفع رأسه وسدد بصره إليها مباشرة مركزاً عليها عيناه. تدفق الدم إلى وجنتيها. ولثوانٍ قصيرة عاد إلى ما كانا عليه فى السيارة عندما كانا يرقبان الطيور الهائمة بينما أنحصر تفكير كل منهما فى الآخر وأخذت عيونها تتأمل وجهها. وأكتست نظرته بالجدية ثم ألقى الكتاب على نحو مفاجىء وبرض ملتقطاً سترته.

قال فى رقة غير متوقعة: «تعالى يا (چوليا). لابد أنك متعبة فقد كان يوماً طويلاً بالنسبة لك كما أن السيدتين يستجوبانك فى حماسة. سوف أسير معك فى الحديقة خمس دقائق ثم أعود بك لحجرتك».

فالت (ماريس) بضحكة مندهشة: هل سترسلها للفراش. منذ ما لا يزيد على نصف ساعة كنت تؤكد على أنها قوية وماهرة والآن تعاملها على أنها طفلة» ثم تابعت «أنا لم أنتهى من حديثى معها. إنه حديث ساحر

جذاب».

قال (لوك) فى لهجة جادة: «سوف تسحرك فى الغد، لاتنسى أنها ضيفتنا ولاتستطيع أن تذهب لفراشها ببساطه وبدون تكلف» ثم أضاف ساخراً: «أنا أعرف مقدرتك على الأستمرار فى الحديث بلا إنقطاع».

وعلت ضحكات الجميع ثم وجدت (چوليا) نفسها تترك الغرفة بصحبة (لوك) سواء أرادت ذلك أم لم ترد.

كان الهواء لا يزال دافئاً بالخارج. بدا نسيم الليل رقيقاً هادئاً. كانت (چوليا) سعيدة بهذا الظلام. إن (لوك ماوشال) رجل محير. وقد بدا قوياً واثقاً من رجولته إلى حد بعيد لدرجة أنها أستنكرت مجيئها إلى هنا تحت رعايته.

وبينما كان يسير بجوارها غمغم قائلاً: «إننى أتوق لمعرفة ماتجديه بى محبباً؟ لقد واجهت الكثير من الأمور بشجاعة نادرة ولكنك حتى الآن لا تستطيعين مواجهتى».

كانت (چوليا) مفتونه به ولكنها لم تشأ أن يبدو منها مايشير إلى ذلك فقالت بصوت هادىء: «إننى أواجهك ياسيدى».

قال مؤكداً بلهجة رقيقة: «ولكن بدون شجاعة» وأمسك بذراعها عندما عثرت قدمها فى الظلام ثم أضاف: «أنت لا زلت تشكين فى أن (جوستين) تخاننى؟»

قالت (چوليا) بصوت واضح النبرات: «كلا. فليس لدى أدنى فكرة عن السبب الذى جعل (جوستين) تقرر التزام الصمت. ولكنى متأكدة إلى حد كبير أنه كان قرار وليس شيئاً غير ذلك».

قال بصوت عميق: «إننى أثق معك». ثم أضاف متسائلاً: «إنك لم تهدى شيئاً بعد يدفعك للأعتقاد بأنها كانت تخشى العودة للمنزل؟»

قالت (چوليا) بسرعة: «إن كل فرد هنا يبدو ساحراً فاتناً وكلهم يحبونها» وأنتست فى رقة عندما أشتدت قبضته على ذراعها لا إرادياً وهو يقول:

«أرجو أن أكون ضمن هذا السحر العام. ومما لا شك فيه أنك بمرور الوقت ستكتشفين ما تخشاه. وإذا ما قررت هي أن تخبر أي فرد فلن يكون غيرك».

تسارعت ضربات قلبها لدى سماعها هذه اللهجة وهاجمها ذلك الأحساس بالوقوع في الشرك فقالت مذكره إياه: «إن الوقت لن يستمر طويلاً. فلدى عملي ومنزلي كما أن والدي يحتاجني أيضاً».

قال بتأنيب ساخر: «ولكننا نحتاجك أيضاً يا (جوليا). وعليك أن تحددي بالضبط من الذي يحتاجك أكثر. هل هذا هو ما يقلقك؟ أحساسك بالتشتت مابين أتجاهين؟ إنك لم تسقطي في مصيدة. خذي قرارك وسوف أعود بك إلى أنجلترا عندئذ ولو في هذه الليلة إذا ما قررت ذلك».

قالت (جوليا) بحدة: «أنت تجعلني أشعر وكأنني طفلة. عندما أقرر وضع حد لذلك فسوف أخبرك» وتركت ضحكته الهادئة أثراً غريباً عليها. لم تكن ضحكة مشجعة ولا قاسية. ولكنها كانت غامضة كما لو كان يعرف أموراً كثيرة تجهلها هي. وعندئذ التمست مهرباً في إدعاءها الأرهاق والتجأت لفراشها.

وخلال الأيام القليلة التالية تأقلمت (جوليا) مع الأسرة. في البداية لم تكن قد أستقرت على ماتجب أن تفعله. وفي أول أسبوعين لم يكن هناك رفيقاً غيرها (لچوستين). فكانا يخرجان بأستمرار للطواف بأرجاء المزارع. وقد سحرت (چوستين) برسومات (جوليا) وكانت تجد بعض الضيق في اصرار (جوليا) على الحصول على قسط من الراحة بعد ظهر كل يوم.

أما (لوك) فقد كان مشغولاً منذ الصباح حتى المساء. وكان ذلك ملائماً جداً (لجوليا). وبمجرد أن كانت عيناه القاهرتين الآمرتين تستقران عليها فقد كانت تغوص في القلق والأضطراب. كان شعوراً غريباً مبهماً يعتل في صدرها وكانت تجاهد للتحكم فيه ولكنها لم تتمكن من ذلك

تماماً. وأثناء العشاء فكثيراً ما كان يكتفي بمعاملتها بكياسة ورقة بينما ينهمك في أحاديث مع (فيليب) بخصوص ضيفهم ثم يذهب لغرفته ويبقى بها حتى موعد نومه.

كان لابد من الأشراف على تلك المساحات الشاسعة من الأرض ورعاية قطعان الثيران والخيول. وكثيراً ما كانت تستيقظ مبكراً أثناء خروج (لوك) و(فيليب) في سيارتها (اللاندروفر) ذاهبين إلى الأطراف النائية للمزارع. وغالباً ما كانت تقفز من فراشها لتراقبهم أثناء خروجهم وقد تركزت عيناها لا أرادياً على (لوك) حتى يغيبا عن نظرها.

لم يكن هناك شيء يذكر في المساء سوى جلوس (ماريس) إلى (جوليا) لتحادثها عن أنجلترا والتمريض. ولم يكن لدى (لوك) أهتمام بأي من الموضعين. وعلى مايبدو فإن الأزمة التي ثارت بخصوص تأخرها في العودة قد أنتهت ولم تعد (ماريس) تتأخر خارج المنزل على الأطلاق.

بعد ظهر أحد الأيام كانت (جوليا) منهمكة في رسم لوحاتها في حديقة المنزل بعد أن قادت (چوستين) لتنام مدة ساعتين. أقبل (فيليب) يسير في هدوء وهو يقول: «هل تعرفين كم أنت ماهرة جداً؟... ممرضة جميلة بارعة ورسامة موهوبة... إنني أتمنى أن أكون مثل (چوستين)... لي ممرضة ذات وجه ملائكي».

أسعد (جوليا) أن فجأة كانت مجرد مزاح فردت بإبتسامة: «إنك أكبر سناً بعض الشيء من ذلك». ثم تابعت: «أعتقد أنك كنت اليوم مع الرعاة في المزارع».

قال (فيليب): «أرجوك ياآنسة... إنك تبدين مثل أحمى المتحفظ... أنا لا أنوي الذهاب هم قبل الساعة الثالثة حيث سيصل (لوك) ونذهب لتفقد الخيول. لقد كان مشغولاً صباح اليوم وهذا هو وقت راحتي. وإذا لم أقتطع لها وقتاً فقد يأتي ليأخذني بالسيارة قبل أن التقط أنفاسي. إنني لست متأكداً على الأطلاق أنه بشر. إنه مثل الثيران وحديد العزم لا تفتر له همة.

«أرجو أن أكون ضمن هذا السحر العام. ومما لا شك فيه أنك بمرور الوقت ستكتشفين ما تخشاه. وإذا ما قررت هي أن تخبر أي فرد فلن يكون غيرك».

تسارعت ضربات قلبها لدى سماعها هذه اللهجة وهاجمها ذلك الأحساس بالوقوع في الشرك فقالت مذكره إياه: «إن الوقت لن يستمر طويلاً. فلدى عملي ومنزلي كما أن والدي يحتاجني أيضاً».

قال بتأنيب ساخر: «ولكننا نحتاجك أيضاً يا (جوليا). وعليك أن تحددي بالضبط من الذي يحتاجك أكثر. هل هذا هو ما يقلقك؟ أحساسك بالتشتت مابين أتجاهين؟ إنك لم تسقطي في مصيدة. خذي قرارك وسوف أعود بك إلى أنجلترا عندئذ ولو في هذه الليلة إذا ما قررت ذلك».

قالت (جوليا) بحدة: «أنت تجعلني أشعر وكأنني طفلة. عندما أقرر وضع حد لذلك فسوف أخبرك» وتركت ضحكته الهادئة أثراً غريباً عليها. لم تكن ضحكة مشجعة ولا قاسية. ولكنها كانت غامضة كما لو كان يعرف أموراً كثيرة تجهلها هي. وعندئذ التمست مهرباً في إدعاءها الأرهاق والتجأت لفراشها.

وخلال الأيام القليلة التالية تأقلمت (جوليا) مع الأسرة. في البداية لم تكن قد أستقرت على ماتجب أن تفعله. وفي أول أسبوعين لم يكن هناك رفيقاً غيرها (لچوستين). فكانا يخرجان بأستمرار للطواف بأرجاء المزارع. وقد سحرت (چوستين) برسومات (جوليا) وكانت تجد بعض الضيق في اصرار (جوليا) على الحصول على قسط من الراحة بعد ظهر كل يوم.

أما (لوك) فقد كان مشغولاً منذ الصباح حتى المساء. وكان ذلك ملائماً جداً (لجوليا). وبمجرد أن كانت عيناه القاهرتين الآمرتين تستقران عليها فقد كانت تغوص في القلق والأضطراب. كان شعوراً غريباً مبهماً يعتل في صدرها وكانت تجاهد للتحكم فيه ولكنها لم تتمكن من ذلك

تماماً. وأثناء العشاء فكثيراً ما كان يكتفي بمعاملتها بكياسة ورقة بينما ينهمك في أحاديث مع (فيليب) بخصوص ضيفهم ثم يذهب لغرفته ويبقى بها حتى موعد نومه.

كان لابد من الأشراف على تلك المساحات الشاسعة من الأرض ورعاية قطعان الثيران والخيول. وكثيراً ما كانت تستيقظ مبكراً أثناء خروج (لوك) و(فيليب) في سيارتها (اللاندروفر) ذاهبين إلى الأطراف النائية للمزارع. وغالباً ما كانت تقفز من فراشها لتراقبهم أثناء خروجهم وقد تركزت عيناها لا أرادياً على (لوك) حتى يغيبا عن نظرها.

لم يكن هناك شيء يذكر في المساء سوى جلوس (ماريس) إلى (جوليا) لتحادثها عن أنجلترا والتمريض. ولم يكن لدى (لوك) أهتمام بأي من الموضعين. وعلى مايبدو فإن الأزمة التي ثارت بخصوص تأخرها في العودة قد أنتهت ولم تعد (ماريس) تتأخر خارج المنزل على الأطلاق.

بعد ظهر أحد الأيام كانت (جوليا) منهمكة في رسم لوحاتها في حديقة المنزل بعد أن قادت (چوستين) لتنام مدة ساعتين. أقبل (فيليب) يسير في هدوء وهو يقول: «هل تعرفين كم أنت ماهرة جداً؟... ممرضة جميلة بارعة ورسامة موهوبة... إنني أتمنى أن أكون مثل (چوستين)... لي ممرضة ذات وجه ملائكي».

أسعد (جوليا) أن فجأة كانت مجرد مزاح فردت بإبتسامة: «إنك أكبر سناً بعض الشيء من ذلك». ثم تابعت: «أعتقد أنك كنت اليوم مع الرعاة في المزارع».

قال (فيليب): «أرجوك ياآنسة... إنك تبدين مثل أحمى المتحفظ... أنا لا أنوي الذهاب هم قبل الساعة الثالثة حيث سيصل (لوك) ونذهب لتفقد الخيول. لقد كان مشغولاً صباح اليوم وهذا هو وقت راحتي. وإذا لم أقتطع لها وقتاً فقد يأتي ليأخذني بالسيارة قبل أن التقط أنفاسي. إنني لست متأكداً على الأطلاق أنه بشر. إنه مثل الثيران وحديد العزم لا تفتر له همة.

جلس (فيليب) إلى جوارها وقد ملأت وجه ابتسامة وهو يقول: إنني لم أكد أحصل على فرصة للحديث معك فأرجو أن تغفري لي ذلك».

قالت (جوليا) وهي تحاول أن تخفي تورد وجهها لدى ذكر (لوك): يمكنك الحديث معي عندما ترد ذلك. فالحرية في عمل ما أريد طالما أن ذلك لا يمس وفتي مع (جوستين).

قال (فيليب): «إذن فهل ترغبين في تناول العشاء بمفردك معي في إحدى أمسيات هذا الأسبوع؟ هناك مطعم صغير هادىء في المدينة القريبة. والطعام هناك جيد» تناول (فيليب) بدها وهو ينظر مبتسماً إلى عينيها الزرقاوين العميقتين.

ولم تكد (جوليا) تفتح فمها حتى جاءهم صوت ساحر أغناها عن الرد وهو يقول موبخا: «هل تقاعدت عن حياة العمل يا (فيليب)؟» كان صوت (لوك) الذي خطا إليهم بقامته الفارعة الطول. كان يرتدي زي أحد الرعاة فكان يرتدي بنطلوناً ضيقاً من نسيج قطني متين وحذاء ذا عنق طويل وقميص فضفاضا من ذا اللون زاهية بينما أرتفت قيمته مفلطحه القمة خلف رأسه الداكن. لقد بدا رجلاً آخر غير ذلك الذي قدم إلى أنجلترا مع ابنة أخيه. كان مختلفاً لدرجة أن (جوليا) صدمت فيه بإبهار ولم تستطع أن تصرف بعدها بعيداً. لم يكن هناك أدنى أثر لرجل الأعمال الثري الفخم المظهر. لقد بدا فعلاً كأنه أحد هؤلاء الرعاة. وكان وجهه أقل صرامة من أي مرة شاهدته فيها.

نظر إليه (فيليب) في ضيق قائلاً: إنني لم أتناول فهوتي بعد. لقد ظننت أنني سأنفرد (بجوليا) ولكن يبدو أن بك قدرة كبيرة على إفساد المتعة.

قال (لوك) ضاحكاً: «لدينا بعض الوقت» ثم ألقى بنفسه بجوار (جوليا) وهو يقول: «في واقع الأمر فإني جهزت لك فرسك. فعليك أن تذهب وتطلب القهوة لي و(لجوليا) فقد قمت أنا بالمهمة

لأصحب». وانطلق (فيليب) مدمدماً بوجه طلق بينما حاولت (جوليا) أن تبدو طبيعية تماماً وهي تذكر نفسها في أضطراب بأنها قد نسيت كيف يمكن أن يكون الإنسان طبيعياً. لقد أصبحت دقات قلبها تتسارع في كل مرة ترى فيها (لوك) وكم كان ذلك سخيفاً. فهو لا يمثل شيء على الأطلاق ولم يصدر منه ما يدعوها لتخيل غير ذلك ما عدا تلك النظرة الغريبة التي يحتمل أن تكون وليدة خيالها. وهو يبدو مثلما كان دائماً بدون تغيير. ولكن من الطبيعي أن يكون أكثر رقة الآن فقد عاد إلى بيته كما أن كل يوم يجعل (جوستين) تقترب من حالتها العادية وأيامها القديمة.

أقترب (لوك) ينظر للوحها وهو يقول بصوت هادىء: إن رسوماتك تتحسن بسرعة فهل تأذنين ذلك».. ثم أستطرد قائلاً: «لقد بدأت بشرتك تكتسب لوناً داكناً وقد تحسنت صحتك فمن الواضح أن الأقامة هنا طيبة بالنسبة لك».

وخرج صوت (جوليا) أكثر حدة مما تقصد: «من المفروض أن تكون أقامتي هنا طيبة بالنسبة (لجوستين). وأما أنا فيجب علي أن أفكر بخصوص العودة إلى وطني».

قال (لوك) بوجه طلق: «هل يجب أن تفسدي أيامي بتهديداتك. لقد قدمت الكثير لي و(لجوستين) أفلن تسمحي لي بإعطائك أجازة؟»

قالت (جوليا) في دهشة: «إذا كان ذلك هو السبب الذي يدعوك لأستبقائي... فمندئذ». وقاطعها (لوك) بهدوء ومصوباً عينيه إلى وجهها وهو يقول: إذا تخليت عن هذا الأسلوب الرسمي الخاص بالمستشفى فسوف تجدين فجأة سبباً وجيهاً يبرر رغبتي في بقائك».

ولم تجد (جوليا) فرصة للرد. فقد ظهر (فيليب) ومعه فتاة جميلة نضره. وقف (لوك) في أدب جم بينما أندفعت الفتاة تجاهه ووضعت ذراعيها حول عنقه وهي تصيح: «لقد عدت ولم أرك أطلاقاً يا عزيزي لماذا لم تأت لرؤيتي؟»

احاطها (لوك) بذراعيه وقال ضاحكاً: «إنها مسافة طويلة لضيفتك.

وكنت سآتيك عاجلاً أم آجلاً».

ضحكت الفتاة وهي تقول: «آجلاً على ما أعتقد» ولمعت عينا الفتاة بالفضول عندما انسحبت من بين ذراعيه وهي تنظر (لجوليا) ولم يبد على (لوك) أنه سيقدم كلاً منهما للأخرى. فقال فيليب: «(جوليا ردفورد)» ثم أضاف موضحاً: ممرضة «(ردفورد)» قالت الفتاة: «أوه... نعم... الممرضة التي أنقذت (جوستين). لقد حدثني عنك (لوسيل). إن كل العائلة ممتنة لك جداً ممرضة (ردفورد).

وفجأة لم يصبح لدى (جوليا) أدنى شك في مكانة هذه الفتاة في العائلة. فتحيتها (للوك) ومبادرته إلى ضمها بقولان الكثير. وبدا (فيليب) كأنه يحاول بنظرته أن يقرأ ما يدور بداخلها. وانتزعت (جوليا) نفسها من أحساسا طاريه بالفزع وابتسمت ببهجة بينما واصل (فيليب) تقديمها: هذه (روزان دوين) يا (جوليا) إنها تعيش في الضيعة المجاورة لنا ولكن المسافة بيننا طويلة إلى حد محجبها عنا معظم الوقت».

قالت (روزان): «أتيت للمشاركة في قيادة ونقل الخيول. فبالأمس أتيتها من ذلك في مزرعتنا. ولم أكن أعرف أن لوك هنا. وتخيلت أن بإمكاني مساعدتك».

قال (فيليب) بلهجة قاطعة: «إذن فلتحضري قهوتك وسوف أجهز لك فرساً».

وعندما عاد (لوك) يجلس بجوار (جوليا) أغتصبت (روزان) إبتسامة صغيرة وهي تقول:

«هل ستركب معنا الآنسة (ردفورد)؟ هل يمكنك ركوب الخيل... آنسة (ردفورد)؟

قال (لوك) بلهجة قاطعة: «حتى لو كانت تستطيع ذلك فهي لن تأتي معنا. إنها ذات قيمة كبيرة في أدائها لما تختص به. (فجوليا) لم تأت إلى هنا لتكون أحد الرعاة».

أبتسم (فيليب) (لجوليا) وهو يقول بسرعة: «على أية حال فأنا

أريدها لتناول العشاء معي الليلة في المدينة».

بدا ذلك كأنه مجرد نبأ تستمع له (جوليا). فهي لم توافق على الأطلاق ولكنها بدت لها فكرة طيبة فردت بإبتسامة سريعة. ورد (لوك) بصوت حاد: «سنذهب جميعاً وسآخذ (روزان) في طريقنا».

وبدا (فيليب) كأنه سيحب كلامه ولكنه وافق بطبيعته المرحة بينما بدت السعادة على (روزان) وبادرت بالذهاب مع (فيليب) تاركة (لوك) الآن مادام سيصحبها للعشاء الليلة. لم تجد (جوليا) ماتقوله عندما أنطلق الأثنان إلى حظائر الخيول:

قال (لوك) بهدوء: «هل يزعجك أن أصحبك أنا و(روزان) في موعدك مع رفيقك؟»

قالت (جوليا) ببعض الحدة: «من الصعب أن يسمى ذلك موعد مع رفيق».

فمتم (لوك) بصوت خفيض: «هذا شيء يدعو للرثاء. أعتقد أن هذا وقتاً مناسباً لنسيان ذلك الطبيب. فإن (فيليب) رفيق طيب كما سترين».

تضايقت أكثر مما كانت تتخيل لتقبله هذا الأمر بسرعة. وأصبح لزاماً عليها أن تذكر نفسها بأنها هنا لفترة مؤقتة وأن السبب الوحيد لمجيئها إلى هذا المكان إنما هو قلقهم بخصوص (جوستين).

بهضت (جوليا) تجمع أشياءها وهي تقول بسرعة: «من الأفضل أن أوقظ (جوستين) الآن وإلا فإنها لن تنام الليلة».

ونهض (لوك) يساعدها لم تباطئت يده وهو يناولها حاجياتها. ونظر إليها بتركيز وقال: «أرجو الا تعتقدين أننا نتركك بمعزل هنا عندما نذهب لنقل الخيول. إنه عمل خطير في بعض الأحيان. وقد تعودت عليه (روزان) بعكسك أنت».

وأستقبلت (جوليا) عينيه الداكنتين الفاحصتين وقالت: «إن لدى جوستين لأراها. أتمنى الا أكون قد أعطيت أحساساً بأنني شعرت

بالأمتياه».

قال (لوك): شعرت بالأمتياه! لا. ولكن بدا عليك قليل من الحزن المفاجيء. أليس كذلك؟» وألقى سؤاله الأخير بلهجة ماكرة ثم أردف قائلاً: «إنني أرجو أن تكوني سعيدة هنا».

قالت (جوليا) وقد خفضت بصرها مقلعة عن محاولة مواجهته: كيف لا يمكنني ذلك؟ إن بإمكاني أن أرسم لوحاتي و(جوستين) تعد لنا للسعادة. إنها تبدو كأجازة».

قال بصوت رقيق: «أرجو أن تكون أجازة طويلة» ورفع يدها إلى فمه ليطبع عليها قبلة ناعمة ثم قال: إذن إذا كنت تشعرين بأنك سعيدة هنا إلى حد كبير فإنني سأذهب. إلى اللقاء يا (جوليا)». وانطلق مسرعاً ليلحق (بفيليب) و(روزان) بينما أضطربت (جوليا) لرد فعلها عند لمسها. أتراها واجهت ما يكفي من الشقاء؟ ترى هل أتساقت مرة أخرى وراء مشاعرها وحيا للحياة لدرجة أن يذهلها ترك هذا الرجل الغامض وغير العادي؟

كان الخروج لتناول الطعام خطأ أدركته (جوليا) بمجرد الوصول إلى ذلك المطعم. فقد كان يمكنها أن تستمتع به مع (فيليب) وحده. كانت هناك فرصة لمشاهدة أهل (كامارجي). أولئك الرعاة الذين أرتدوا ملابس السهرة وكانوا يحيون (لوك) بمزيد من الأحترام بينما حيوا (فيليب) كأنه واحد منهم. وعلى الرغم من ذلك فقد تجاوزت (روزان) الحد في بيان أنهم لم يكونوا في لقاء رياضي. لقد حرصت على إعطاء أنطباع واضح أنها مع (لوك). ورغم أن لوك نفسه لم يأبه لذلك كثيراً فإن (فيليب) لم يكن مرحاً كعادته.

ومراراً وتكراراً.. كانت عيا (جوليا) تتجهان رغماً عنها إلى (لوك). هناك شعور مرعب بحتمية البقاء بجوار (لوك مارشال). كان لديها ذلك الشعور منذ البداية وكانت تخشى أن يدرك ذلك.

أزاء أضطرابها الداخلي من سوء الأمور. وعندما حان وقت أنصرافهم

كانت (جوليا) تتمنى لو أنها كانت على بعد أميال. وتزايد فزعها عندما عرض أحد جيران (روزان) الذي أنضم إليهم هو وزوجته قبيل أنصرافهم أن يصطحب (روزان) معه لمنزلها ليكفيا (لوك) مشقة الرحلة. ولدهشتها وجدت (فيليب) يتدخل قائلاً أنه سيصحبها لمنزلها كي يتحدث مع والدها بخصوص ميعادهم المستقبلية.

وجدت نفسها وحيدة مع (لوك) ولم يبد عليها سرور كثير لذلك.

وعندما أنطلقا بالسيارة قالت (جوليا): «أعتقد أنك أنت من كان ينبغي ذهابه للحديث في هذه الأمور مع السيد (دوبين)».

قال (لوك) بلهجة غامضة: «ولم تعتقدين ذلك؟ ففي واقع الأمر سيأتي يوم يدير فيه فيليب أمور هذه الضيعة التي تسكنها الآن. إن لي مكاني الخاص. وعندما يصبح (فيليب) مستعداً تماماً لتحمل المسؤولية فسوف أترك له زمام الأمور. فلدي من العمل ما يملأ وقتي بعيداً عن ذلك».

قالت (جوليا) وهي تستوعب هذه المعلومات الجديدة: «أوه... لم أكن أعرف ذلك»؟

أتراه سيأخذ (جوستين) معه؟ هل سيتزوج (روزان) ويرعى (جوستين) كأبنته؟ إنها مرتبطان ببعضهما إلى حد كبير. ومن الصعب عليه أن يغفلها وراءه.

وبعض الأندفاع قالت (جوليا): «أنا... أنا أفترض أن لديك خططاً لذلك الوقت. أقصد بخصوص أستقرارك وبدءك ذلك النوع من الحياة؟»

التفت (لوك) إليها وقال بهدوء: في العادة يكون لدي خططاً. ما هي الخطة المحددة التي تقصدينها بالآنسة؟»

وبدون داع بدا عليه بعض الغضب. وبصوته الهادىء الساخر ألزمها الصمت. ولكنه عندما لم يتلق منها أجابة أوقف السيارة فجأة والتفت يحدق فيها. كان الظلام والصمت يلفان الكون حولها. وأحست بفوران

شديد في عواطفها ملأها ضعفاً وخوفاً مفاجئاً. كان من المتعذر تماماً تعليل ذلك.

جلسا في سكون تام وقد أغلقا عيونهما وقطب (لوك) جبينه ثم فتح عينيه بنظرة واسعة تحدق في شفتيها اللتين سرت فيهما رعشة خفيفة ثم أنتقل ببصره إلى نهديها التي تنتفض مهتاجة في تجويف عنقها الرقيق ثم ثبتت نظرته على عينيها الزرقاوينين المذهورتين.

وسألها بحدة: «أي خطط؟ ها أنت مرة أخرى تنقبين عن حقيقة... عن سبب فما هو الآن؟ هل تتخيلين أن چوستين تخشى أن أتركها وحيدة؟ فهل أنا ذلك الندل؟»

قالت (چوليا): «أنا لم أقصد ذلك على الاطلاق». حاولت أن تستعيد موقفها القديم تجاهه ولكنها فشلت. لم تمكنها رجفتها من ذلك. خرجت كلماتها كأنها توسل. وتزايدت حدة (لوك). وغمغم غاضباً: «إنها ليست فكرة طيبة». كانت (چوليا) مذعورة من مشاعرها الداخلية لدرجة أنها لم تستطع سؤاله عما يقصده.

أمتدت يده القوية تقبض على ذقنها وتميل وجهها وهو يقول بصوت خافت: «حسب معرفتي الأكيدة فلقد لفيت في حياتك صدمتين قاسيتين. وليست فكرة طيبة أن تجلبي لنفسك أذى آخر... خسارة أخرى».

كانت عيناه القاهرتان تحاصرها وكأنما تستعيدها واستطاعت بالكاد أن تهمس قائلة: «أنا لا أدري ماذا تقصد؟»

وهز رأسه في غضب وقد أشتدت قبضته وهو يقول: «قد تكوني لا تعلمين ولكني أشك في ذلك. إنني أراك شفافة تماماً في بعض الأحيان وفي أحيان أخرى أراك سراً مبهماً. وعلى الرغم من ذلك فهناك شيء واحد أعرفه وهو أنني أريدك على الدوام. فأنا لا أريد أن أنظر في وجه (چوستين) عندما تخبرينها أنك سترحلين».

أبتسمت (چوليا) في بطء وهي تقول بصوت خفيض: «لا يمكنني

الأستمرار في البقاء هنا».

عندئذ جذبها يده وقال بصوت أجش: «إذن يجب أن أحاول وأقنعك يا (چوليا)».

وأطبقت شفتاه على شفتيها فأجفلت لوهلة. ورغم أنها كانت المرة الأولى فهي تدرك أنها أنتظرت ذلك لأيام وربما لأسابيع. لم تكن قبلة رقيقة ورغم ذلك أرخى جسدها وأنفرجت شفتاها وأمتدت ذراعاها سريعاً تطوق عنقه.

لقد فاجأته وأحست بموجات الرعدة تسري في جسده وللحظة تحرك ليدعها ولكن قلبه كان يخفق فوق قلبها. ومهما كانت غريزة الشهامة والفروسية التي جعلته يتراجع للحظة فإنه أخذها وأقترب منها ليرفعها بين ذراعيه طاغياً بعنف على القبلة.

عندما رفع رأسه كانت مشدوهة البصر بيما كانت يده لا تزال ترفع وجهها وقد أحكم ذراعه الأخرى حولها.

وغمغم قائلاً: «من النادر أن تأخذني المفاجأة. لقد توقعت أن أواجه معركة معك... هل أنت وحيدة الآن بعد أن تركك ذلك الطبيب؟ أهذا كنت متجاوبة معي؟»

قالت (چوليا): «أنا لست كذلك». وغمرها الخجل فقد بدأت مقاومتها متأخرة جداً.

صاح (لوك): بل أنت كذلك... هل تصرف فيليب بنفس المهارة؟

وأنسلت يدها ثم أرتفعت تهوى على وجهه بلطمة قوية. ولكنه أمسك بها وقبض عليها بعنف إزاء صدره ثم قال بهدوء: «إذن لقد عرفت الآن يا آنسة. لقد تجاوزت حدود كرم الضيافة ولكنك كنت بحاجة لهذه القبلة مثلي تماماً».

كانت قدماها ترتعدان وقد جدت أعضاؤها والتصقت بالمقعد.

قالت (چوليا) بحدة: «عد بي للمنزل. وإذا لمستني مرة أخرى فسأعود لوطني مباشرة بصرف النظر عن (چوستين)».

وأدار محرك السيارة ثم قال وهو ينطق بها: «أنا لا أعتقد ذلك يا (چوليا) ثم تابع: «ألم أقل لك أنني سأغير حياتك؟ أنا لم أدرك ما يا إلى أي حد سأغيرها ولكننا لم ننسى مناقشتنا على أية حال».

الفصل السادس

أستيقظت (چوليا) على أصوات وصرخات عالية. في البداية أعتقدت أن هذه الأصوات تأتي من شقتها كان الأضطراب يسود أحلامها وهي ترى (لوسي) و(جوستين) و(لوك) يسيران خلالها في غموض. كانت روحها المتنمرة تتعذب في وجودهم. ولكن الصراخ أستمر ونعالت الصيحات. وفي الحال كانت تقفز خارج فراشها وتعدو في الممر وقد وضعت رداءها فوق قميص نومها على عجل.

كان صوت (چوستين) يخرج متحشرجاً هستيرياً وهي تصيح: لا. غير حقيقي. لا. غير حقيقي. أوقفوها... أوقفوها» كانت (چوليا) تدرك كم كان هذا الصوت الخطر مدمراً للطفلة.

أكتظ الممر بأهل البيت الذين أرتدوا قطعاً متباينه من الملابس على عجل. وعندما وصلت (چوليا) إلى حجرة (چوستين) رأت لوك يحاول تهدئة الطفلة. لقد أستيقظت (چوستين) ولكن بدا واضحاً أن الكابوس لم ينته. كانت أحداقه لا تزال تؤثر عليها وكانت تقاوم كل جهود (لوك) لتهدئتها. وبدت ترفض تماماً حتى مجرد أن يقترب منها.

وعندما وقعت عيناها على (چوليا) صاحت: «(چوليا)... (چوليا)» ومدت ذراعيها فتنحى (لوك) جانباً يرقب في صمت بينما أحتضنت (چوليا) الطفلة المهتاجة.

liilas.com
منتدي ليلاس الإلكتروني

وهزت (جوليا) برقة وهي تقول بصوت ناعم: «لقد ذهب الآن. إنه مجرد حلم. وقد أنتهى الآن تماماً» ولكن جوستين كانت بادية الزعر وقد تصلبت أعضاؤها ودست رأسها في صدر (جوليا) وهي تتشبث بها في توتر.

أرتجفت (جوليا) عندما تنبهت أن الطفلة تهمس بصوت خفيض لدرجة أن كلماتها لم تكن مسموعة. التقت عيون (جوستين) و(لوك) فأدرك أن الطفلة تريد أن تقول شيئاً (لجوليا) بمفردها.

كان الباقون قد تراجعوا بإضطراب في الحجرة فقال لهم (لوك) بصوت هادىء: «يجب أن نتركها (لجوليا) من الواضح تماماً أنها لا تريد أي شخص آخر. أعتقد أنها ستكون فكرة طيبة لو ذهبنا جميعاً إلى الفراش. سوف أعد (لجوستين) كوباً من اللبن ولا شك أن (جوليا) سوف تتمكن من تهدئتها خلال ذلك».

وقبلوا كلامه بدون مناقشة وسرعان ماخلت الحجرة وران عليها الصمت ورفعت جوستين وجهها الممتلىء بالدموع وقالت:

لقد قتلت والدي يا (جوليا). كان خطأي أنا... لقد حاولت أمي أن تقتلنا جميعاً... بسببي». هزها (جوليا) برقة وهي تقول: «صه... صه... لقد كانت حادثة تصادم. والجميع يعرفون ذلك يا عزيزتي».

سمعت (جوليا) نحيب الطفلة خفت وأحست يديها المشبثتين بها ترتخي قليلاً ثم قالت:

«لا... لم تكن حادثة تصادم. إنهم لا يعرفون... لقد قتلته هي. ولا يمكن لعمي (لوك) أن يبوح لذلك».

ودخل لوك في هذه اللحظة يحمل كوباً من اللبن الدافىء ولكن (جوستين) تحاشت نظراته ولم تتقبل الكوب إلا عندما ناولته لها (جوليا). وترددت في الكلام حتى نظر (لوك) إلى (جوليا) ثم خرج من الغرفة.

كان ينتظر خارج الغرفة عندما خرجت (جوليا) وقد أستطاعت أخيراً أن تهدىء (جوستين). قال بصوت هادىء: فلتأت إلى الطابق

الأرضي. سوف أعد شراباً لنا. إنك تبدين مضطربة بعض الشيء كما أنني لا أستطيع القول بأني أجد عظيم سعادة فيما حدث».

وتبعته (جوليا) في صمت. كانت كلمات (جوستين) لاتزال تدوي في عقلها. يالله من أحساس وهمس بالذنب ذلك الذي تحمله هذه الطفلة. إنه لم يتلاشى بأي وسيلة وقد كان من الحماقة أن تفكر في أي أتجاه آخر. إن العقل الذي يستطيع أتخاذ قراراً بالصمت كان يعاني من مشكلة خطيرة ويجب أن نبقى هنا حتى تكتشف السر في ذلك.

ناولها (لوك) فنجان من القهوة وهو يقول بلهجة تأكيدية: «لقد قالت لك شيئاً؟» أومأت (جوليا) موافقة وقد بدا بعض من الحذر في عينيها.

قال بصوت قلق: «فلتحكه إذن. أنا أعرف أنه يرتبط بي لقد ظهر الشك مرة أخرى على وجهك. فإذا كنت أنا نذلاً خسيساً فيجب أن أعرف مايتعلق بذلك».

جلست (جوليا) إلى مائدة طويلة ذات أرجل قصيرة في المطبخ الدافىء وواجهته مباشرة وهي تقول بهدوء: أنت مخطىء تماماً. إنني كلما عرفت شيئاً أجده نفزاً عبراً». ثم سألته فجأة «من الذي كان يقود السيارة عند وقوع الحادث؟»

قال (لوك) بدون تردد: «(جوليس)» ثم جلس على حافة المائدة ونظر لها قائلاً: «عندما عثروا على السيارة كان (جوليس) لايزال أمام عجلة القيادة. ولم يتساءل أحد عما إذا كانت (دابردري) هي التي تقود السيارة».

تساءلت (جوليا) بصوت هادىء وقد ركزت نظراتها المتسائلة على وجهه: «إذن فلماذا تصر (جوستين) على أن والدها قتلت والدها... بل وحاولت قتلهم جميعاً».

وللحظة بدا (لوك) مندهشاً ثم ضاقت عيناه في تفكير عميق وقال:

«لماذا لم تخبرني بذلك؟ أنا لم يكن لي دخل فلا أدري لماذا لم تخبرني؟ لماذا تجنبتني؟ فعلى مدى طفولتها كانت تتعلق بي عندما يغيب

(جولیس). ولم تلجأ لوالدتها على الأطلاق. لقد كانت (دايردرى) منبلدة الشعور تماماً تجاه الطفلة... لماذا خصتك أنت بذلك يا (چوليا)؟»

قالت (چوليا) بصوت رقيق: «لقد كنت على خطأ عندما تخيلت أنها بحاجة إلى أم جديدة» وأكتست ملامحها بالتعاطف عندما رأت نظرة جريحة فى عينيه الغامضتين ثم أستطردت تقول: «لقد أتجهت لى لأننى صديقه وهذا كل مافى الأمر. ولقد أخبرتنى لأننى ليس لى دخل. وهذا ليس شيئاً غريباً. لقد كانت آخر كلماتها أنك ليس بإمكانك البوح مطلقاً. وأنك لن تذكر أى شىء حتى تصل إلى حل هذا الأمر بأكمله».

بدت الدهشة على وجه (لوك) وهو ينظر لها نظرة عميقة قائلاً: «لا يمكننى البوح بذلك مطلقاً؟»

ولم يكن لديها شك فى أن (لوك) له دخل بالأمر أيا كان ماتخيلته (چوستين).

بدا (لوك) منهكاً وهو يقول: «لا يبدو أن هناك نهاية لذلك الأمر». وخفض قلب چوليا أشفاقاً عليه فقالت مؤكدة بصوت هادىء: «ستكون هناك نهاية. لقد أحرزنا بعض التقدم. فمنذ وقت ليس باليعد لم تكن (چوستين) تتحدث أطلاقاً. والآن فقد بدأت تخبرنا بالسبب. وسنصل إلى أعوار هذا الأمر... فلا تنزعج».

وخلال تعاطفها معه أمتدت يدها تلمس يده فرفعها على راحته القوية وأخذ ينظر إلى الأصابع الرقيقة ترقد فى دفء يده. وأرتفعت عيناه تتابعان نظراتها وقال فى هدوء: «إذن فإنك لن تهجرينا؟»

وتوردت وجنتاها قليلاً بينما وقفت رابطة الجأش وسحبت يدها فى رفق وقد التصت عيونها. وأنفرجت شفتاها عن أبتسامة رقيقة وهى تقول بهدوء: «إننى لا أتركك عملاً وقد أنجزت نصفه فقط يا سيدى».

وقف (لوك) فأمتدت يده تميل ذقنها لأعلى وهو يقول: «من

الصعب أن تكونى الممرضة (رداورد) بينما ترتدين قميص نوم جميل وتضعين فوقه رداء حريرياً. اليس كذلك؟ وعلى كل حال فقد فعلت ذلك على نحو طيب يملؤنى بالأعجاب» ثم تابع قائلاً: فى الغد سوف أدبر مجيء معلمة (چوستين). قد يكون من الأفضل أن يكون هناك مايشغل تفكيرها. الست توافقيننى؟»

قالت (چوليا): «بالتأكيد».

وخشيت (چوليا) أن تبتعد عنه مخافة أن يتلاشى لطف أسلوبه ورقته. كان هناك شيئاً دافئاً وخاصاً فى بقائها هنا مع (لوك). وبدون مبالغة فبإمكانها أن تبقى طوال الليل تنظر إليه.

قال (لوك): «أنت أيضاً لست مربية أطفال. إننى أشعر بالذنب عندما أتذكر كيف كنت أعاملك وكيف كنت أثقل عليك بطلباتى. أنا لا أطلب منك رعاية (چوستين) وإنما فقط البقاء هنا لأننا بحاجة إليك».

وتعلقت عيناها بعينيه. ورغم كل تحذيرات عقلها الملحة فقد قالت فى صوت رقيق: «سوف أبقى» قال لوك بصوت هادىء وهو يتفحص ملامح وجهها: «أنا فى غاية الأمتنان ياعزيزتى». وسوف أظل أذكر مدى ماتحملت من الأذى. والآن قد يكون من الأفضل أن تذهبى للفراش. تصبحين على خير يا (چوليا).

فزعت عندما وجدته يستدير ويخرج من الحجرة وأدركت أنها أصبحت فى منتهى الوضوح بالنسبة له. وأصبحت انفعالاتها مفروضة أمام عينيه. ورغم ذلك فمن الممكن أن تأتى (روزان) هنا فى أى وقت. لذا أحست (چوليا) أن عليها أن تشد مشاعرها تجاه (لوك) إذا ماكانت ستبقى حتى يتم شفاء (چوستين). والآن وقد أعطت وعداً.. أخرجت زفيراً عميقاً وأتجهت لحجرتها وكان السكون والظلام يحيا على المنزل.

عادت الأمور إلى طبيعتها. فقد جاءت معلمة (چوستين). وأصبح معظم اليوم يقضى فى الدروس. وببساطة أصبحت (چوليا) صديقة. كانت صديقة تبحث عنها (چوستين). دائماً. أصبح متاحاً لها الآن وقت

كاف لرسم المزيد من اللوحات والتجول في الحديقة بدون (جوستين). كان عقلها يعمل بأستمرار ولكن أيا كان سبب متاعب الطفلة فهو لا يزال كامناً تحت السطح.

كانت فرصها محدودة لتصريف الأمور بما يتوافق مع (جوستين) حتى تصل إلى السر وتقشع مخاوف الطفلة. لقد وضع نظام محدد لتقدم الدروس. وأصبحت (جوليا) تعرف بالضبط أوقات فراغ (جوستين). وكانت دائماً تترقب في أمل أي أكتشافات جديدة ولكن لم يحدث شيء.

وبمرور الوقت أصبح (لوك) يمضي وقتاً أطول خارج المنزل وكان يظهر في وقت العشاء فقط. وحتى في ذلك الوقت لم يكن ممكنا التحدث إليه. كانت (روزان دوبين) تأتي للعشاء بصفة منتظمة أقنعت (جوليا) أنها يوماً ما ستتزوج (لوك). كان من الواضح أن (لوك) مغرم بها كما أنها كانت تعرف من أمور المزرعة ما يعرفه (لوك) و(فيليب). كانت (روزان) تنضم إلى أحاديثهما بعد العشاء بينما كانت (جوليا) تنضم (للوسيل) و(ماريس). وكانت كل منها تبدو يوماً بعد آخر كأنها صديقة قديمة.

وفي أوقات فراغها كانت تتجول في المنطقة المحيطة بالمنزل ولكنها لم تكن تبتعد كثيراً لأجل (جوستين). فيوم ما سيحدث تصدع في الدرع الذي تحيط الطفلة نفسها به. وترغب (جوليا) أن تكون هناك عندما يحدث ذلك.

لاحظت (جوليا) أن الطيور لا تبقى في المستنقعات. فهي تمر بالمزرعة ثم تواصل طريقها نحو مراعي الكلأ وأعتدت (جوليا) لنفسها مخماً صغيراً عند بوابات المدخل. وجلست أتفاسها في شغف عندما أقتربت منها الطيور وأستطاعت أصابعها الماهرة. أن تسجل حركتهم والوانهم وكل ما يحيط بهم.

وبالفعل أصبح لدى (جوستين) الآن لوحتين جيلتين تعلقها على جدران حجرتها. كانت إحداهما لطائر البلشون الأبيض وقد وقف ساكناً تحت أشجار السرخس. وأما الأخرى فكانت لطائر مالك الحزين محلقاً

وحلقه سماء قاتمة تنذر بالعواصف. كانت لوحتين جميلتين بارعتين جداً وكانت تدرك ذلك. كانت أجمل ما رسمت على الأطلاق وكانتا تحملان ذلك الغموض الذي تستشعره هنا. كان جالاً أحاذاً تشوبه مسحة مثيرة من الخطر.

لم يزد (لوك) على أن وجه لها نظرة جامدة عندما عرضت عليه (جوستين) في أثاره هاتين الخدينين اللتين رسمتها (جوليا) لحجرتها. ومؤخراً أخذها (جوستين) لحجرتها لترى النتيجة النهائية. لقد أخذ عمها (لوك) اللوحتين لعمل أطارات لهم ثم ها هما تلمعان على الجدار خلف فرشها وقد تم وضعهما في إطارات أنيقة كأنها صور لبعض العظماء القدامى. وأجتاحها ذلك الشعور الغير مريح بأنه قد أحس بحالتها النفسية القلقة فكانت هذه الأطارات الثمينة مكافأة لها لتهدئتها. كان ذلك أشبه ما يكون برسالة صامتة رغم أنه يبدو الآن كأنه يعمل على الأبتعاد تماماً عن طريقها ولم يعلق على عملها مطلقاً.

وفي أحد الأيام كانت (جوليا) سعيدة بمخيلتها عندما هبت على (كامارجو) رياح أقوى من أي وقتا مضى. في ذلك اليوم كان لديها وقت أطول ولكنها كانت نشك في مجيء الطيور. لقد ذهبت (جوستين) مع جدها لقضية فترة ما بعد الظهر في زيارة بعض الأصدقاء في قرية مجاورة. ورفضت (جوليا) قبول الدعوة لمصاحبتهم. فقد كانت (جوستين) في مأمن مع (لوسيل). وشعرت (جوليا) نفسها بأنها في حاجة للأسترخاء في سكون مخبئها الصغير بجوار البوابة.

أفاقت من أحلام يقظتها عندما سمعت صوت توقف سيارة لاندروفر. كانت السيارة تمر جيئة وذهاباً عبر الطريق ولكنها لم تكن تتوقف على الأطلاق. وأحست بالقلق عندما أطل (لوك) بوجهه الداكن الحالي من أي تعبير.

قالت (جوليا) كأنها تدافع عن وجودها في هذا المكان: «لقد خرجت جوستين اليوم مع جدها» إرتفع حاجباه السوداوين في سخرية

وهو يقول: «إنني أعرف ذلك... لا تكوني متحفزة للدفاع عن نفسك. أنت لست خادماً خُسط بقنطار من وقت العمل».

قالت (جوليا): «لقد كانت مجرد ملاحظة فليس هناك ما يدعوني للدفاع عن نفسي» كادت تختنق تحت وطأة دقات قلبها المتسارعة وكان هو كعادته مهيمناً بالغ الصمت وقد أضنى ينظر إليها.

كان صوتها قد أستحال حاداً بدافع من قلقها وأحاسيسها فأستقام (لوك) واقفاً وهو يدمدم:

«لتخرجي من هذا المكان فأنا لا أستطيع أن أراك جيداً. وأنا أرفض تماماً أن أجثو على ركبتي لأحدق في أمرأة».

كان ينتصب بقامته السامقه بينما نهضت (جوليا) في بطء تنفض الغبار عن ثيابها وتتناول حاجياتها.

قال (لوك): «دعيها كما هي فلن يجرؤ أحد على مسها. فهذا العش الصغير وما يصدره من بهجة يثير عجب الرعاة وإنني أخيل أنهم يغيرون طريقهم ليشاهدوه عند مرورهم. وبالتأكيد تكون عيونهم معظم الوقت على هذا المكان أكثر مما هي على الحقول».

قالت (جوليا) بحكم: «إنه ليس عطأي» وتجنبت يده عندما مدها ليساعدها على الخروج وهو يحدق فيها بعينيه السوداوين الباردتين، وقالت: «ليس لي دخل بمخاوف أهل (كامارجو) ولا شك أنها غبية تماماً».

قال (لوك) ساخراً: «فهم وجهك الرائع فإنك أحياناً تمتلكين لساناً كمبرد من الصلب» وبدا كأنه يأخذ الأمر على عمل المزاح الخالص وهو يقول: «اركبي اللاندروفر وحاولي التحكم في أعصابك.. إننا لم نتحدث منذ بعض الوقت. وليس لدي الآن أي نزعات عدوانية بعكس ما يبدو به وجهك».

وإزاء هذا التحكم صمتت (جوليا) إلى السيارة بوجه صارم وهي تلعلم أطراف ثوبها الذي يكشف عن كتفيها. وحاولت أن تبدو هادئة.

فربما كانت بحاجة لمن يجلس معها شاي العصر؟ إن (روزان) لن ترغب في ذلك. وفجأة ألمت بها وخزة لا إرادية من الغيرة وتنبهت إلى أنها قد جلدت في مكانها وهي تقبض بيدها باب السيارة المفتوح. وأرتفع الحاجبان الداكنان في سخرية. وأعتراها ذلك الأحساس المؤكد بأنه قد قرأ أفكارها ووجدها مضحكة تماماً. أشاحت بوجهها بعيداً فصفق (لوك) الباب ثم صعد إلى جوارها وأستدار بالعربة النقيلة في دائرة ضيقة مندفعاً إلى الخارج بعيداً عن المزرعة في سرعة مفاجئة جعلتها تتشبث بمقعدها.

كان الزعر والفلع يطلقان صوتها وهي تقول: «إلى أين نحن ذاهبان؟»

قال بهدوء واثق: «زيارة يا آنسة» وأتجه إلى طريق جانبي وعر.

قالت: «لكنني لم أرتد ثياباً تصلح لزيارة أحد». ونظرت بأضطراب لثيابها البسيطة ولكنه رمقها بنظرة سريعة بدت كأنها أحاطت بكل هيئتها.

قال (لوك): «بالنسبة لهذه الزيارة فإنك ترتدين ثياباً ملائمة تماماً».

ولزم صمته المعتاد وقررت (جوليا) أن تحذو حذوه. لم يكن لديها الوقت الكافي لتعد نفسها لهذا اللقاء مع (لوك) وأدركت أنها كانت في كل يوم تعد نفسها للقائه دون أن تنتبه لذلك. أحست طول الوقت أن قدميها تغوصان في مياه لا قرار لها. فلقد جذبتها في المطبخ وهو يكاد يتجاهلها ولكن ذلك الأحساس الكهربائي كان موجوداً في كل مرة يوجدان فيها معاً في نفس الحجرة. ورغم أنه لم يقل شيئاً فهي تعرف أنه كان يحبه أيضاً.

كلما رفعت إليه بصرها وجدت عيناه تحدقان فيها وقد بدت غامضه ملغزة ومليئة بنظرة قريبة من الغيظ. لم يكن لديها إختياره الجيد إلى هنا في عصر ذلك اليوم. بدا له أن تجنبها هو أفضل الحلول. وأتضح أنه ليس لديه أدنى رغبة في الحديث إليها. كانت تشعر بالغضب تجاه نفسها وبالغضب صبياني تجاهه.

مرا بكوخ أحد الرعاة قرب المدخل وهما يسيران في الطريق المتعرج الذي بدا كأنه يؤدي إلى ضيعة أخرى. كان هناك الكثير من الحقول

وأشجار السرخس ونباتات المستنقعات ولكن المكان بدا موحشاً منعزلاً وغريباً أكثر منه جميلاً.

وبدا لها منزلاً ذا جدران بيضاء تحوطه الحدائق المنظمة فى عناية. وكتمت (جوليا) أنفاسها وهى تحملق فى أحد طيور البلشون وقد وقف بلا حراك بين المراعى وكأنه تمثال ثم حلق فى السماء الصامتة.

أوقف (لوك) محرك السيارة فساد صمت مطبق وهدوء يكاد يكون مخيفاً حيث جلسا ينظران للمنزل.

رمقته (جوليا) بنظرة سريعة وهى تهمس: «إنه هادىء جداً».

قال (لوك): «هل يزعجك ذلك».

قالت (جوليا): «كلا إنه جميل جداً. من الذى يعيش هنا؟».

قال (لوك): أنا أو بالأحرى عما قريب أنوى أن أكون هنا عندما يصبح بإمكان (فيليب) أن يتحمل مسئولياته ومبراته. وعندما سيصبح بإمكانى تحقيق رغبتى أن أعيش هنا».

وفجأة أبتسم كأنه شخصاً آخر ثم وثب خارج السيارة وصفق باب السائق بشدة ثم أستدار إلى الجانب الآخر وقال: «تعالى إذن يا آنسة ودعينا نحدث قليلاً من الضوضاء ونطرد الشياطين بعيداً» وقبل أن تلتقط أنفاسها كان يرفعها بيديه وقد أمسك بحقيبتها وحملها خارج السيارة ثم أوقفها على قدميها.

كانت صالة المنزل رحبة ذات عوارض أقفية قديمة وكانت أثاثاتها جميلة وقد بدت الصالة داكنة اللون تنيرها بعض عربق. كانت الجدران تزدان بلوحات زيتية لثيران ضخمة سوداء نارية وتحت كل منها إسم ما».

أشار (لوك) بيده وهو يقول: «هذه ثيران الماضى الوثوب العظيمة التى أسست ثروة عائلتى. إننى فقط أنبهك لذلك حتى لا تتفاجئى إنهم أجدادى» وضحك فجأة وتناول يدها بمرح ثم قادها إلى حجرة الصالون الفسيحة التى أتضح أن كل ما بنفسها هو لمسة المرأة لكى تبدو فى أكمل

صورة.

وقفت (جوليا) متبهرة بينما تندفع نظراتها فى كل مكان. جعلها صوته الضاحك الآتى من خلفها تشعر بخجل وهى تعى ما يفعل بداخلها.

قال بلهجة ضاحكة: «غيرى فيما ماتشائين بشرط أن يكون ذلك نظرياً فقط» وأبتسم لرؤية وجهها الوردى ثم قادها لمشاهدة باقى المنزل. كان من العسير الا تبدى الإقتراحات الإعادة الترتيب فى كل حجرة وهو يعرف المعركه التى تحدم بداخلها.

وعندما عاد بها مرة أخرى إلى الصالون قال لها: «أخبرينى عما ترينه بشأنها وعندئذ ستكون لك مكافأة... سوف أصنع لك قهوة بنفسى».

قالت (جوليا): «هل... هل لا يوجد أى فرد هنا؟» كان سؤالاً غبياً لأنها تعرف أنهم بمفردهم.

قال (لوك) وقد بدا عليه المزاح أكثر من أى وقت مضى: «أنا هنا.. وأنت هنا» وتمنت لو أنها لم تتحدث على الإطلاق.

قالت (جوليا): «لماذا... لماذا أحضرتنى إلى هنا؟» وأستدارت وأتجهت نحو النافذة وقد بدا عليها القلق رغبةً فى الإنصراف.

قال (لوك): «لقد أحضرتك لأريك منزلى... منزلى الخاص حيث سأعيش هنا باقى حياتى. لقد أعتقدت أن ذلك شئاً يهمك. فأنت مهتمة بأشياء كثيرة».

قالت (جوليا): «بالطبع... فإن (كامارجو) مكان ساحر. وأنت تمتلك الكثير من الأرض. وربما أعود يوماً ما لأرى (كامارجو) بأكملها».

قال (لوك) بصوت هادىء حاد: «ها أنت مره أخرى تفكرين فى الرحيل المبكر».

قالت (جوليا): «كلا. ولكننى لا يمكننى البقاء هنا. وأنت تعرف ذلك». «إن لى عملى الخاص بى. أنا لا أتحدث عنه ولكننى أفتقده وأفتقدت أبى».

ilias.com

وسألها وقد أرتسم على وجهه بعض الحزن: «إنني غير عادل بالنسبة لك أليس كذلك؟ لقد طلبت منك أشياء ليس لي الحق في طلبها: وقتك... وصبرك... وشفقتك... وحتى في هذه اللحظة فقد أنتزعتك من شيء كنت تستمتعين به وأحضرتك إلى هنا».

إستدارت (جوليا) وقالت بسرعة: «أنا سعيدة بوجودي هنا. فقد أخبرتك بأنني مفتونة (بكامارجو). إن هذا بيت جميل وإن بدا موحشاً ولكنني لا أفترض أنك ستأبه لذلك عندما تتزوج».

قال (لوك): «أوه.. إنك تخططين لي حياتي مثلما أتهمتني ذات مرة بأنني أحاول تعديل حياتك».

أستدارت (جوليا) إلى النافذة مرة أخرى وهي تقول: «كلا بالطبع» ثم أندفعت قائلة: «لكن من الواضح أنك ستحتاج زوجة. وحيث أنك من ملاك الأراضي فأنا أتخيل أن تركة (روزان) ستجعل أملاكك كأنها أمبراطورية صغيرة».

وغاص قلبها عندما قال: «يمكنها ذلك».

ثم دنا منها حتى وقف خلفها تماماً فقالت بصوت حاد: «من الأفضل أن ننصرف الآن. لقد كان جميلاً منك أن ترسي منزلك ولكن لابد من قطع مسافة طويلة بعض الشيء للوصول إليه». كانت هناك درجة معينة من الذعر في صوتها عندما همت بالأستدارة تجاهه.

قال بصوت هادىء: «لقد تخيلت أنه يستحق ذلك».

وأمتدت يداه تحيطان بخصرها وجذبها ناحيته ثم أمسك بكتفيها وأدارها تجاهه وهو يرفعها حتى يكاد يقتلع قدميها من على الأرض وضمها إلى جسده القوي وهو يقول: «لا يمكنني الأستمرار في مشاهدتك ولا لمسك».

وأحكم إحدى ذراعيه حولها بينما دس يده الأخرى في شعرها ورفع وجهها إلى وجهه... ولم يكن هناك مهرباً.

قال: «من الواضح أنني يجب أن أتخذ قراراً بشأنك. لقد توقفت حتى اليوم عن القول بأنك سترحلين ولكنني أرى ذلك على وجهك دائماً وأتوقع أن أواجه رحيلك في كل يوم تقريباً. وفي هذه الأثناء فإنني أغرق نفسي في العمل حتى أتجنبك. ربما لكي أحرر نفسي من مشاعري التي تغلي بداخلي في كل مرة أراك فيها».

كان بادي الأنفعال وتوترت (جوليا) عندما أطبق شفتيه بشدة على شفتيها بينما كانت ذراعاه كأنها سجن حديدي يحيط بها.

وأنصهرت شفتاها تحت شفتيه ولم يكن ليدعها تذهب هذه المرة.

وأحست أن بداخلها نيراناً مستعرة وظمأ متقداً إزاء كل حركة من حركات جسده وكأنها غابت عن الوعي كان تذكرها للمكان هو الذي جعلها تتجمد بين ذراعيه. وأيضاً تذكرها (لروزان). لقد كان (جراهام) يريدها أيضاً ولا يزال يريدها ولكن ليس كزوجة. ومن المفترض أن تصبح (روزان) زوجة (لوك) فأرضهما متداخلة وهما من أهل (كامارجو). ألم ترى الطريقة التي كانت تتقارب بها رؤوسهم: (فيليب) و(لوك) و(روزان) وهم جميعاً يفهمون بعضهم؟ وكانت هي الأجنبية الغريبة مجرد متعة مؤقتة (للوك).

وتصلب جسدها وأدارت رأسها جانباً وقد بدا الرفض في كل هيئتها وتراجع ينظر إليها وقد ضاقت عيناه تحدقان في وجهها. وللحظة لم يقل شيئاً بينما كان ينظر إليها بعيون يقظة باردة.

قال بصوت متوتر: «أنت لا تثقين في كما يبدو.. أليس كذلك يا (جوليا)؟ ففي داخل أعماقك هناك ذلك الأعتقاد بأنني مسئول عن مشاكل (جوستين) والآن فأنت تعتقدين أنني أقصد التقرير بك قبل أن أعيدك لوالدك. أنا أفترض أنك لم تبرأي من حبك لذلك الطبيب الثاقه. أنت لم تعودي أمرأة برغم أنك تنظرين إلي بعيني أمرأة وبرغبة أمرأة. لا تخشي شيئاً يا عزيزتي فقد عقدت العزم على أعادتك قبل أن تتطور الأمور».

lilas.com
منتدى ليلاس الثقافي

أعادها كلماته إلى الواقع. إلى شخصيتها الخاصة وإدراك مدى ما يمكن أن يؤدى إليه مثل هذا الأمر وصدمت مشاعرها وأهتز كيانها لأنها سمحت لنفسها بالمجيء لنفسها بالمجيء هنا مع (لوك) وهي تعرف جيداً ما يحمله مستقبله.

قالت: «كنت....»

ونظر لها بهدوء وقال ببطء محذراً: «كنت تريدينى أن أستمر» ثم أضاف: «بالرغم من خطبتك لذلك الطبيب فأنت مخفلة وتجهلين عواطفك وكأنك طفلة. إن العواطف قوية فى (كامارجو). سوف أعود بك للمنزل».

تورد وجهها الجميل خجلاً وهى تقول: «إنه ليس بيتى. أنا أعيش فى أنجلترا. وبالطبع فالآن يجب أن أعود لبيتى فى الحال».

قال بتوتر: «أنا لا أعتقد ذلك» وقادها إلى الباب ثم إلى الظلام الحالك وهو يقول: «ستبقين من أجل (جوسين) لأنك لا تستطيعين ترك الأمور تسير أعتباطاً. أنت ممرضة محترفة ولم تبرأ (جوسين) بعد. لقد بلغت المرحلة فيك القمة. بيما لا تزال المرأة خائفة ومترددة. أنا أستطيع أن أجعلك تبقين... لأجلى».

قالت (جوليا) بحدة وهى تحاول الأبتعاد: «لا تخدع نفسك».

قال بغضب: «نادراً ما أفعل ذلك» ورفعها بسهولة إلى اللاندروفر ثم تابع قائلاً:

«وبالنسبة لك فأنا لأخدع نفسى على الأطلاق. فى أى وقت آجى إليك سوف تأتين لى ولكنك لست من أهل (كامارجو) وأنت ضيفة فى منزلى».

ولم يعد هناك حاجة للتفكير. كان صامتاً فى طريق عودتهم مثلما كان فى مجيئهم.

شعرت بالأرتياح لدى رؤيتها (توسيل) و(جوسين) الممتلئة بالأثارة عندما توقفوا أمام ضيعتهم. وصاحت (جوسين): «لقد أنتهيت لتوى من تناول طعامى. ورئيت جوسين وهى تعدو تجاه (لوك) الذى نزل من اللاندروفر ثم قالت: لقد أكلت سمك بورى وهليون وأرزوفراولة. لقد أكلت حتى آخر كسرة من الطعام».

رفعها (لوك) بين ذراعيه وضمها إلى صدره وهو يقول: «سوف تكونين أكثر سمنة من بطة».

وفجأة تقلبت (جوليا) صورته مع طفله أو طفلته.. ولد أو بنت لها شعر داكن وبدو عليها طابع أهل (كامارجو).

ترقرقت بعض الدموع فى عينيها وهى تدرك أنها أعطت نفسها بين ذراعيه حباً وحشياً وقوياً لدرجة أنها لا تستطيع أن تصدقه. كان الحب الذى غمرته مع (جراهام) صحلاً وهشاً ولكن أحساسها تجاه لوك كان عنيفاً وعميقاً. كان عاطفة تنبأ أنها تقدر عليها.

وأسرعت (جوليا) خجرتها وبدلت ملابسها على عجل أستعداداً لتناول العشاء وأحست بسعاده بالغه عندما كان الطرق على بابها من (جوسين) ولسن من أى إنسان آخر.

داعبتها (جوسين) بإبتسامة عذبة وهى تقول: «هل ستأخذيننى للفراش يا (جوليا)... إننى متعبة ومتخمه جداً».

جلست (جوليا) على حافة فراشها وقالت: «إنك ستكونين أفضل خلال أيام قلائل» وأخذت تنظر للطفلة الصغيرة وترى كم كانت ضعيفة ضئيلة عندما رأتها لأول مرة ولكنها الآن أقوى إلى حد كبير. وأضافت (جوليا):

«سوف يمكننى العودة إلى وطنى عندئذ». وفى الحال قبضت (جوسين) على يديها وهى تقول بقوة: «أوه... لا... لن يدعك عمى (لوك) تذهبين. لقد قال ذلك عندما أخبرته بأننى أريد بقائك هنا. وأنا أريدك أن تبقين للأبد».

لهذا الحد تبلغ ثقتها فى عمها (لوك). وحاولت (جوليا) أن تضحك ولكنه كان صعباً بينما كان الوجه الصغير الجميل يمتلىء بالنوم.

قالت (جوليا) برقة: «سوف نرى ذلك» أبتسمت (جوستين) وهى تغالب النوم وقد كادت عيناها تغلقان وهى تقول: أنا أحب أن أسمع منك ذلك. فهو يعني أشياء طيبة بالنسبة لى. إننى أكون سعيدة وأنت هنا يا (جوليا). ويوماً ما ستتحسن كل الأمور. وسيشملنا ـ أنا وأنت ـ عمى (لوك) برعايته».

الفصـــل الســابع

liilas.com
منتدي ليلاس الثقافي

فى اليوم التالى فوجئت (جوليا) بعودة (فيليب) مبكراً وهو يقود سيارة (رينو) صغيرة أوقفها فى جانب الطريق بحركة شبه مسرحية. وأشار لها وقد غطت الأبتسامة وجهه وهو يقول:

«الآن أصبحت مفيداً فقط كصبى لتسليم الرسائل».

أقبلت (جوليا) تنظر إليه بإرتياب فتابع قائلاً: لا تزعجي يا (جوليا). لقد أرسل الأخ الكبير هذه السيارة لك. وهو يقول أنك مقيدة جداً وحبيسة فى هذا المكان وأستخدام هذه السيارة سيمكنك من السفر بعيداً بين الحقول بين مرسمين هذه الأرض العريقة».

دارت (جوليا) حول السيارة الصغيرة ذات اللون الأصفر اللامع وهى تقول: أنا... أنا مندهشة. هل أنت متأكد يا (فيليب)؟ أليست هذه واحدة من مداعباتك الغريبة التى ستقودنى للمشاكل؟

وعندما رأى دهشتها وضع كفيه متقاطعين فوق صدره وأبتسم مميلاً رأسه وهو يقول: كلمة شرف. وعلى أية حال فليس من الممكن وضعك فى مشاكل مع (لوك). فإنه سيوجه اللوم إلى أى شخص آخر بصرف النظر عما فعلتيه».

قالت (جوليا) بغموض: «قليل ما تعرفه» ثم تابعت وقد رأت نظرته

المأملة: «على أى حال فهو لا يشاهد رسوماتى على الأطلاق.. أنا متأكدة».

قال (فيليب) بسخرية مرحة: «أوه.. كلا. فلابد أن يكون ذلك هو سبب سفره لأميال ليضع لها أطارات».

قالت (جوليا): «كان ذلك لأجل (جوستين). وعلى أى حال فشكراً جزيلاً لك لتسليمك السيارة لى. وسوف أشكر (لوك) عندما أراه».

ورأت أنه لابد من صرف (فيليب) الآن. فقد كان على أستعداد دائم لمغازلتها. وكان آخر ما تريده هو تصادم آخر مع (لوك).

سرت (جوستين) كثيراً عندما علمت بما فعله (لوك) وقالت: «أوه. كم هو عطوف. ألا توافقينى يا (جوليا) أنه أكرم رجل فى العالم بأسره؟»

غمغمت (جوليا) «أنا متأكدة أنه كذلك» وفى داخلها كانت متأكدة أنه أغرب رجل فى العالم.

ثم تابعت (جوليا) قائلة: «ستخرج بعد ظهر اليوم لمشاهدة طائر البشروس».

لقد أدخل ذلك السعادة على قلب (جوستين) ولابد أن تعترف (جوليا) بأنه أدخل السعادة على قلبها أيضاً ليس فقط لأنها لم تعد تشعر بأنها وقعت فى شرك ولكن لأن (لوك) أصبح يفكر فيها. وسوف تغتنم الفرصة لتشكره أثناء تناول العشاء. وأمضت عصر ذلك اليوم تراقب طيور البشروس تحوم وتهبط بألوانها الناصعة. كانت حركاتهم وألوانهم تملأ عقلها فى نهاية اليوم.

وفى حجرة الصالون قبل العشاء أقتربت من (لوك) بعينين مشرقتين وقالت بصوت رقيق: «أنا أريد أن أشكرك على السياره يا (لوك). لقد كانت عطفاً كبيراً منك أن تفكر فى ذلك. ولقد أحدثت أختلافاً كبيراً لما مر من اليوم».

أبتسمت على شفتيه أبتسامه بسيطه وهو يقول: «وقد أمضيته فى مشاهدة طيور البشروس».

قالت: «نعم... ولكن كيف عرفت».

قال مبتسماً: «إن الأنف الأنجليزى بنوبه فى العادة قليل من الأحمرار. ونادراً ما يكون به أثر للشمس». وأجرى أصبعه الطويل على وجهها من الجبهة إلى السذقن مارا بأنفها. كانت حركة رقيقة كأنها قبلة وأحدث رد فعلها أقترنعد نفس الشرارات فى خلفية عينيه السوداوين. وتابع برقة وقد التفت نظراتها: «سوف أحضر لك قبعة واسعة مفلطحة».

قالت (روزان) بلهجة حادة: إن (لوك) يستطيع أن يكون متباسطاً جداً» ودس ذراعها تحت ذراع (لوك) بحركة أمتلاكية. وعقب (لوك) ساخراً: «عندما يريد».ومرت اللحظات القائمة.

كان هناك أحتجاج صامت على وجه (جوليا). توارى البريق من عينيها بينما حدق فيها (لوك) بنظرة ثاقبة خاطفة ثم أستدار على نحو مفاجىء قائلاً بصوت أجش: دعونا نتناول طعامنا... فقدى الكثير مما يجب أن أفعله وكذلك (فيليب). ولذا يجب ترك النساء لشأنهن».

قليلاً ما كانت ترى (لوك) بعد ذلك فقد كانت تقضى معظم وقتها مع (جوستين) بجوبان القرى والريف المحيط بهم. ولقد كثرت لوحاتها وتغيرت بعض الشىء بعدما تشبعت بسحر (كامارجو). كانت هى نفسها تدرك ذلك. ولقد تغيرت فى نواح عده. فأصبح جسدها أكثر نضجاً. وكان حزنها يأخذ شكلاً مختلفاً تماماً وقد أستسلمت لحب رجل قوى غامض سيتزوج غيرها فى نهاية الأمر.

كانت فكرة العوده إلى أنجلترا ووضع نهاية لهذا العذاب اليومى لا تزال قائمة فى عقلها ولكنها أجلت يوم الرحيل. فإذا رحلت ثم تدهورت حالة (جوستين) فإن (لوك) سيستدعيها. وسوف تعود بدون أدنى شك. وستترك كل شىء لكى تعود.

كانت تستعد للخروج عصر أحد الأيام عندما وصلت (روزان).

كانت تكثر المجيء وكأنها على وشك الأستقرار فى هذا المكان. وحاولت (جوليا) بلا فائدة أن تشد الغيرة التى شعرت بها تجاه الفتاة.

قالت (روزان): «لقد رأيت رسوماتك. إنك بارعة جداً» ثم تابعت «لماذا نقتصرين على رسم الطيور والأزهار دائماً؟»

أجابت (جوليا) وقد فوجئت بهذا الود: «أنا أفترض أنها أفضل ما يمكننى رسمه».

قالت (روزان) بحماسة: «أعتقد أن بإمكانك رسم لوحات جميلة جداً للخيول البيضاء. إن أسلوبك فياض بالحياة وإننى لأكاد أرى فى مخيلتى المرحلة النهائية للوحة».

قالت (جوليا) وقد شرد بصرها: «إنهم لا يشتون فى مكانهم طويلاً. أنا أحب أن أرسمهم ولكن ليس بأعداد كبيرة وليس عندما يرعون العشب قرب المنزل مثل أى خيول أخرى».

إندفعت (روزان) قائلة: «فى المستقبل.. هناك مكان لا يبعد عن هنا كثيراً حيث يتواجدون دائماً. والآن وقد أعطاك (لوك) سيارة فيمكنك الذهاب إلى هناك بسهولة. إنه مسطح كبير ممتدوتغطيه المياة التى تلهو فيها الخيول. سيمكنك إنجاز عملاً طيباً».

وبدت فكرة طيبة. لقد أعطيا (روزان) توجيهات دقيقة. ودار بفكر (جوليا) أنها ربما ترغب فى إقصاءها بعيداً. فقد كانت تبدو قلقة دائماً عند تواجد (لوك) و(فيليب). وعلى أية حال وجدت (جوليا) فى نفسها الرغبة فى الذهاب فقد يكون شيئاً جيداً يبعد تفكيرها عن (لوك). قليلاً (جوستين) لكانت قد عادت لتوها إلى وطنها.

وبمجرد مجيء هذه الخواطر إلى عقلها أحست بموجه من الذعر. أنها لا تستطيع أن تترك (لوك) أكثر من ذلك وأيضاً فلا يمكنها ترك (جوستين). قليلاً ماتراه الآن ولكن الحياة بدون رؤيته ستكون جوفاء فارغة تماماً. ومرت بها صورة (روزان) وأرتباطها الواضح به. وقادت (جوليا) سيارتها إلى ذلك المكان الذى يفترض وجود الخيول به وهى

تقلب فى تفكيرها أمر ذلك الألم الذى تشيد صرحة ببطء فى داخلها.

كان مكان موحشاً مقفراً وبدا جاهاً موحشاً أيضاً عندما تخيلت نفسها بعد أسابيع قليلة وقد تُحيت جانباً حتى تكاد تكون منسية.

ورغم ذلك ففى أمتداد السماء فوقها وأمتداد الماء أمامها أستطاعت أن ترى مايراه هؤلاء الناس. وبدأت تنظر إلى الأشياء بعيون أحد أبناء (كامارجو). ولم يغير ذلك كثيراً من إحساسها بأنها أجنبية غريبة فى هذه البلاد.

أوقفت سيارتها الصفراء اللامعة بجانب الطريق وأمعن بصرها عبر المياه. كانت ترى ثلاثة أو أربعة خيول ولكنهم كانوا على مسافة بعيدة بعض الشيء وفى المكان الخطأ بالنسبة للضوء.

خطت (جوليا) خارج السيارة وسارت إلى حافة المياة فلو أستطاعت أن تقترب قليلاً لأمكنها رسم خطوطها الأولية ثم تكمل الباقى من الذاكرة. لم يكن هناك بديل سوى السير على الأقدام. إنها لا تحب الخوض فى المياه ثم الغوص فيها حتى تغطى خصرها.

كانت المياة ضحلة على مدى بادرات قليلة من جانب الطريق فخلعت حذاءها وخاضت فى المياه بحذر. لم تكن باردة بالدرجة التى توقعتها. ومع أستعمال الحذر أستطاعت أن تقطع مسافة معقولة بعيداً عن الشاطىء وأقتربت بعض الشيء من الخيول كانت ترفع رؤوسها من حين لآخر وتنظر فى أتجاهها ثم تتجاهلها.

وحرى قلمها على صفحة لوحتها. كان موقعها محفوفاً بالمخاطر ولكنها كانت مستغرقة تماماً. وخلال برهة قصيرة تكون المشهد تحت أصابعها بموهبة لم تفطن لها أطلاقاً من قبل. أبدت الخيول كرماً وميلاً للمساعدة فظلت ساكنة معظم الوقت. كان هناك سكوناً غير عادى يلف المكان.

وفجأة تغير المشهد بأكمله. فبعد أن كانت الخيول تعاونها منذ قليل وكأنها تعطيها أوضاعاً فنية تمكنها من رسمها فوجئت بهذه الخيول ترفع رأسها بأضطراب وتنطلق تعدو بسرعة فائقة لا تلوى على شيء وقد تناثر

lilas.com

الماء خوفا. وقفت (جوليا) مشدوهة فاغرة الفاه لدى هذا التغيير وهى تساءل عما قد يكون سبباً لفزع هذه الخيول بينما لم تصدر منها أى حركة.

وسرعان ما أدركت من الصوت المتزايد الذى وصل لسامعها أنهم لم يكونوا يلقون بالاً لوجودها المنفرد. لقد كانت هناك خيولاً أخرى قادمة بسرعة كبيرة. فى البداية سمعت ضجة تزايدت باستمرار وجاءها صرخات حاده عبر المياه. بدا الأمر مرعباً تماماً. وعندئذ ظهرت رؤوس أوائل قطيع الخيول.

كانت المياة تصل لركبتها وهى تقف أمام هذا القطيع من الخيول الهائجه التى كانت تسابق باتجاهها. من بين كل الأمام التى كان يمكنها اختيارها كان هذا اليوم هو الوحيد حيث يجب ألا تكون فى هذا المكان. ومرت أمام عينيها صورة (روزان) ونوحيها الحددة وأصرارها ونظرتها. ثم انحصر كل تفكيرها فى البقاء على قيد الحياة.

كانت الخيول تعدو تجاهها بسرعة غير عادية. كان الرعاة يدفعونهم بشده ويقودنهم جنبا إلى جنب. بدا كل رجل من الرقاة كأنه قطعة من الحصان الأبيض الذى يركبه وقد شُدت قبعاتهم السوداء المقلطحة إلى أسفل جيداً لتغطى عيونهم بينما قبضت أيديهم على الرماح. كان مشهداً خيالياً مهيباً ومروعاً.

أخذها المفاجأة فجمدت فى مكانها ذاهلة. كانت تتحفز فى كابوس من الخواطر المتعذبة والرؤى المتطايرة والمعاطف البراقة والأثداء المجردة مع ومضات خاطفة لراكبى الخيول الأقوياء ذى اللون الداكن وقد بدوا كأنهم فرسان من عالم آخر.

وبينما كانت تقف فى مكانها بلا حراك غير قادرة على تحريد البحث عن مسارهم رأت شبحاً عاصفاً يتخطى الخيول واتياً باتجاهها. كان جواده ينطلق بسرعه مرعبه ليلحق بأوائل القطيع ويتجاوزهم.

كان يلوح بقبعته ويخرهم برعبه فى رؤوسهم وهو يصيح: بـاه... أى... باه... باه» وعا يشبه المعجزة أستطاع أن يحول أتجاههم ويجبرهم بعيداً بينما بلغ هديرهم عنان السماء. وعندئذ كان قد وصل إليها ذلك الشبح فوثب من فوق جواده ونطاير الماء إلى ركبتيه وحذاءه الأسود ذى العنق الطويل. وقبض على كتفيها وهزها بعنف كأنها دمية لاحياة فيها وهو يقول: ؟ غير معقول».

كان وجه (لوك) الداكن مملوءاً بغضب لم تره من قبل. كانت قبعته قد سقطت وأنتشر شعره الأسود عبر وجهه الغاضب. كانت أصابعه التى تقبض على كتفيها أشبه بصلب ساخن وبدا كأنه فقد السيطره على أعصابه بدون أى أمل فى أستعادتها. وزمجر قائلاً: «هل أشتريت تلك سيارة لأجل ذلك. لكى تأت إلى هنا وتكادس أن تقتلى نفسك؟ أين سرعة بديهتك وحضور حواسك؟ إنك تبدين عديمة الجدوى كأنك طفلة».

همست (جوليا): «أنت... أنت اشتريت السيارة لأجلى أنا فقط؟» كانت هذه هى الفكرة الوحيدة التى بدت ملتصقة برأسها فعاجلها بهزة أخرى عنيفة وهو يصيح: «كفى عن هذا الحديث الغبى... يا إلهى.. إن بإمكانى أن أقتلك بنفسى؟ لماذا تفعلين هكذا كأنك دمية زجاجية العينين. أين غريزتك لحفظ الذات؟ هل أعاد والدك (جوستين) لى لكى أشعر بالجدية فى قتل إبنه الوحيدة» وأفلتها من بين يديه فجأة وكأنها لم يكن متأكداً أنه لن يضربها بأذى فى ثورة غضبة وصاح بها: «أجيبينى».

ونظرت (جوليا) ثم فجأة أنهارت قدماها تماماً سقطت فى الماء تحت أقدامه. كان كل جسدها يرتعد رعباً عنها.

عندما رفعها كان جسدها قد تشرب بالماء الذى أخذ يقطر من شعرها. كانت ملوحتها التى تحمل الرسومات المدنية تطفو متعدة فوق الموجات التى نشأت عن سقوطها هى ذاتها فى الماء. ولدهشتها وجدته يقدم وينتشلها من المياه قبل أن يعود إلى الطريق وإلى الملاذ الآمن بسيارتها الصغيرة.

وغمغم قائلاً: «سوف أعود بك للمنزل فكلانا قد تشرب بالماء ولقد

أضطربت أعصابك بشدة» ووضعها على المقعد المجاور للسائق ثم أستدار ليجلس أمام عجلة القيادة.

وهمست وهي تثق أن هذا القلق سيزيد من غضبه: «أنا... أنا أستطيع التماسك» ورغم ذلك فقد بدا أنه أستعاد بعضاً من سيطرته على أعصابه الثائرة. فقال وهو يدير محرك السيارة ثم ينطلق بها دون أن ينظر إليها: «أنا لا أعتقد ذلك».

قالت (چوليا) وهي تنظر خلفها من فوق كتفها: «جوادك...» كان الجواد الأبيض لا يزال ساكنا حيث تركه يقف في طاعة وأمتثال. وعندئذ همست (چوليا) لنفسها وهي تهز كتفيها: «ومن ذ الذي لا يفعل؟»

قال (لوك) في توتر: «سوف يراه الرجال عندما يعودون» ثم تابع ساخراً: «وذلك بفرض أننا لن نعود لقيادة الخيول مرة أخرى». وفرزت (چوليا) أن تلتزم الصمت. كانت لا تزال خائفة بينما لا تزال أصوات الحوافر تطن في عقلها ولا يزال عنف (لوك) يدوي في أذنيها بينما كانت آثار أصابعه لا تزال تلهب كتفيها.

لم يكن الباقون قد عادوا للمنزل بعد. ولكن ظهرت (روزان) عندما وصلا للباب. ولم تستطع (چوليا) أن تمنع أعضاءها من التيبس والتصلب رغم أنها كانت ترى نفسها ساذجة غبية. كيف عرفت (روزان) أنها ستذهب هذا المكان؟ وعلى أية حال فإن أي فرد لديه بعضاً من الإدراك لم يكن ليترك السيارة في مثل هذا المكان. وأي فرد لديه أدنى ذرة من الإدراك كان سيعدو إلى السياره لدى سماعه صوت الخيول. ولكن كل ما فعلته هي أنها وقفت كأنها منومه معناطيسياً بهذا الخيال والجمال الوحشي.

ساعدها (لوك) على النزول من السيارة وهو يقول: «هل يمكنك السير؟»

قالت: نعم إنني بخير شكراً لك. فإنك لو لم...»

وقاطعها بصوب أجش لبصد شكرها قبل أن يبدأ: ليس لدي أي رغبة في التذكر. لقد تشربت بالمياه ومن الأفضل أن تذهبي للأغتسال».

وصلت (روزان) إلى حيث يقفون وقالت بصوت حاد شغوف: «ما هذا؟»

قال (لوك): «لا شيء». كان صوته المتوتر كافياً لإيقاف أي إنسان لكنها كانت لا تزال تعترضهم ومدت يدها إلى ذراعه متجاهلة أمارات غضبه وهي تقول: «ولكن يا (لوك)... ماالذي فعلته؟ ماذا حدث؟»

قال (لوك) بصوت فظ حاد: «إنشغلي بما يعنيك» وأجفلت (چوليا) هذا الأسلوب مثلما أجفلت له (روزان). وعندما لم تسمع شيئاً آخر أسرعت خبيرة للأغتسال وتبديل ملابسها قبل أن يرى هيئتها أي فرد آخر.

وفي واقع الأمر فإنها لم تكن بخير. أدركت ذلك عندما وقفت ترتجف تحت مياه الدش الساخنه. كانت لا تزال خائفة ومضطربة وقد جعلتها رؤية (روزان) تسترجع ما حدث. حدثت نفسها بأن كل ما حدث يرجع لغبائها هي ذاتها. ولكن هذا الغباء لم يكن من عاداتها. فأشياء من هذا القبيل لا تحدث لها. وفجأة وجدت نفسها تنتحب بصوت خفيض. فأخيراً بدأت تظهر عليها آثار الصدمة. كان شيئاً يدعو للشفقه والرثاء.

وسمعت لداداً: «(چوليا)». كان صوت (لوك) في حجرتها هو الشئ الذي قصمت ظهر البعير. أحست غضباً وحشياً تجاهه. فليس له أي حق في أن يدخل هكذا ببساطة.

وعاد ينادي: «(چوليا)» وقبل أن تتمكن حتى من إغلاق الدش كان قد وصل إليها يحدق فيها بغضب.

قالت (چوليا): «(لوك)... أرجوك» لم يكن بمتناولها أي شيء يمكن أن تستتر به ودمدم (لوك) غاضباً وقذف إليها بمنشفة سميكة ثم أستدار متعداً إلى داخل حجرة نومها.

وقال بكلمات حادة: «ألم يكن بإمكانك مجرد الرد عندما ناديتك؟ لقد تخيلت أنك قد أصبت بإنهيار بالداخل. صاحت (چوليا): «أوه...

أخرج... وأغلق الباب» كانت دموعها مزيجاً من الغضب والصدمة والخجل ولكنها أنسكبت عبر وجهها. وأغلق (لوك) الباب زيادة فى احتياطه.

وجدته لايزال بالحجره عندما خرجت بإطمئنان وقد التفت برداء سميك. كان واقفاً ينظر من النافذة وذهبت إليه قبل أن يتمكن حتى من الالتفات وقالت:

«ليس لك أى حق فى الدخول لحجرتى بهذه الطريقة. أنا لست جارية فى ضيعتك. لا تفعل ذلك مرة أخرى» كانت تدرك أن فى صوتها نبرة هستيرية ولكنها لم تأبه لذلك. لقد صار كل شىء إلى الأسوأ مع (لوك). وهو ذاته جعل كل شىء سير للأسوأ.

أستدار ببطء وقد أمتلأت عيناه بتعبير صاحك وقال بهدوء: «ما الذى يدفعك لهذا الأندفاع المتهور؟ كل ما فى الأمر أننى شعرت بالقلق عليك».

وأنفجر صوتها ليزيد من سوء الأمور: «ليس لك أى حق فى الدخول هكذا ببساطة».

وحدق فيها بنظرة غريبة وقد تركزت عيناه على عينيها حتى أزداد أحمرار وجهها وعندئذ أجرى يديه بكلال على وجهه وهو يقول بصوت متأمل: «لماذا يداخلنى ذلك الأحساس بأن لى كل الحقوق؟ لماذا أشعر بأننى لا أحتاج حتى لمجرد الكلام. وبأننى يمكننى أن أصل إليك ببساطة؟» وبدا كأنه يخرج نفسه من أفكاره وهو يركز عينيه بحدة على وجهها الجميل. لم يوجد على الأطلاق أى إنسان يستطيع إسكاتها مثلما يفعل (لوك). كانت ذاهلة ومتحيرة.

وعاد إلى سُدته المعتاده وهو يقول بلهجة قاطعه: «أريد أن أعرف لماذا كنت هناك؟ أريد أن أعرف لماذا تخيرت هذه البقعة المحددة وهذا الوقت بالذات بينما كنا نسوق الخيول؟»

قالت (جوليا): «من الواضح أننى لم أكن أعرف إلا إذا تخيلت أننى

كنت أريد الأنتحار» وأستدارت بعيداً وأخذت تمشط شعرها لتهرب من عينيه الفاحصتين ولكنه خطا بإتجاهها وجذب منها فرشاة الشعر وقذفها على منضدة الزينة وقال:

«أنت لم تذهبى إلى هناك بالصدفة. فهى بقعة منعزلة ومن الصعب الوصول إليها. لا يوجد شخص فى ضيعتنا لا يعرف أننا كنا نسوق الخيول اليوم لتجهيزها للسوق الموسمى. فمن أشار عليك بالذهاب إلى هناك؟

قالت: «هل هناك سوق؟». نطقت بهذه الكلمات فى رقة وبراءة مصطنعة وأن تبدد غضبه ولكنه لم يكن ليُصرف عن غايته.

وصاح بصوت منذر: «(جوليا)... أوقفى هذا الهراء... لماذا كنت هناك؟»

قالت: «كنت أصنع رسماً تخطيطياً للوحة». وأشاحت بوجهها بدأ. ولكنه يده القوية أمتدت إلى وجهها تميله تجاه الضوء. قال بصوت هادىء وقد ضاقت عيناه وتركزتا على وجهها: «لماذا تحمين (روزان)؟»

قالت: «لا يمكنك أن تقول ذلك».

قال: «لا يوجد شخص آخر يفعله. (جوستين) مهم بك. و(لوسيل) تحبك كما أنها على أية حال أرق المخلوقات و(ماريس) صديقك. وأما (فيليب) فهو يعتقد أن بإمكانه بقليل من الشجاعة أن يقع فى الحب بك. فمن يبقى سوى (روزان)؟

قالت (جوليا) بهدوء: «أنا متأكدة أنها لم تكن تدرك أن...» وفجأة أحب يده فأخفت رأسها لأسفل.

وخرجت منه زمجرة غاضبة ولدهشها وجدته يجذبها ناحيته ويحنوها بين ذراعيه وكأنه يقيم حولها حائطاً دفاعياً صلباً يحيطها به فى رفق.

وغمغم بينما كانت أنفاسه تمس وجنتها: «لا يمكننى أن أصل دائماً فى الوقت المناسب. أريدك أن تعدنى بأن تأخذى حذرك فى المستقبل.

ليس هناك الكثير من الخطر في هذه البلاد ولكنه موجود لمن يلتمسه».

وأدار وجهها وركز عليه بصره وهو يقول: «سوف تأخذين حذرك؟».

همست وقد غمرتها السعادة لهذه اللحظة: «نعم» ولاحت ابتسامة عميقة في عينيه وهو يحيط عنقها بكفه الدافئة وقال بصوت رقيق:

«إذن فسوف أغفر لك ما سببته من إزعاج. إنك قد تكلفينني يوم عمل آخر».

همست وقد تعلقت عيناها بعينيه: «أنا آسفة».

وغمغم بصوت هادىء: «ربما لا أشعر أنا بالأسف» ومسحت عيناه وجهها المتورد خجلاً. وفجأة ضغطها بين ذراعيه.

وغمغم: «(جوليا).. لأجل حب الآلهة» ولم تكن رغبته بأقوى من رغبتها. وأطبق شفتيه على شفتيها.

ولم يعيدهما إلى عالم الواقع سوى دوي إغلاق أحد الأبواب في الممر الخارجي. فأفلتها سريعاً من بين يديه.

وقال في توتر: «حقاً إنني أفقد عقلي».

فقالت (جوليا) في إنصاف: «وكذلك أنا» كانت تهتز غضباً وطأة مشاعرها العميقة وبلدة إياها من بين ذراعيه وتابعت تقول: هناك الكثير من الحقيقة فيما يقولون عن إرهاصات حدوث شيء وأنا أعرف أنه لا مفر حيث أنني فعلت...».

وقاطعها بصوت أجش: «أنت لا تعرفين شيئاً على وجه الدقة» وأستدار للباب وفتحه على مصراعيه وأضاف قائلاً: من الآن فإننا نعرف عن بعضنا أكثر مما قد تعرفينه عني من أي شخص آخر. وما نعرفه هو الحقيقة وليس نزوة مؤقتة».

وتمتمت «أنت لا تعرف شيئاً عني».

وصاح: «خطأ» وحدق فيها بعينيه السوداوين الجامدتين وهو يضيف: «أنا أعرف أنك لي حتى أفوز بك. وفي المرة القادمة ربما أفهمك».

وانصرف منصتاً بينما غاصت (جوليا) في فراشها وجسدها يرتعد بشدة.

عند تناول العشاء لم تكن (روزان) موجودة. أدركت (جوليا) أن (لوك) قد وبخها لما فعلته. أحست (جوليا) بالذنب فهي لا تتخيل أن هناك شخصاً يمكن أن يقصد عمل ذلك. ورغم هذا أحست أن من الأفضل ألا تراها.

وعاد (لوك) إلى طبيعته المعتادة... صامتاً غامضاً. وإذا ما أراد الحديث فكان ينحه إلى (لوسيل) ولم تبد منه أدنى التفاته تجاه (جوليا) التي بدأت تساءل نفسها عما إذا كان ما حدث في غرفتها نتاج خيالاتها المريضة.

في اليوم التالي أخبرت (جوستين) بأنهم سيذهبون إلى شاطىء البحر. وغفلت (جوليا) أن (جوستين) تقصد كل العائلة وأن الشاطىء ليس بعيداً. ولكنها كانت على خطأ.

قالت (جوستين): «يجب على عمي (لوك) أن يذهب إلى (كاب دي أنتيبس). إن لنا هناك بعض الممتلكات والفنادق على امتداد الشاطىء. وهو لم يذهب إلى هناك منذ فترة طويلة لأنني كنت معك في انجلترا. وهم يسمحون لي بالذهاب في بعض الأحيان حيث تقيم في واحد من فنادقنا. إنه كبير جداً». وابتسمت (جوستين) وبادلتها (جوليا) الابتسام وهي تقول: «إذن فأنا متأكدة أنك ستمضين وقتاً ممتعاً».

قالت (جوستين) في حماس: «أوه... إنك ستأتين معنا يا (جوليا). سوف أكون بمفردي عندما ينشغل عمي (لوك) في أعماله. ومثلما أنت هنا للعناية بي فأنا أتوقع أن تأتين معنا. إنني لم أذكر ذلك لعمي (لوك) ولكن...»

وقاطعها صوت هادىء قائلاً: «ماالذي لم تذكريه للعم (لوك)؟».

كان هو... بحركاته الصامتة الخسوبة وتورد وجه (جوليا) رغم أنها حاولت أن تبقى هادئة.

قالت (جوستين) بلهجة قاطعة: «أنا أريد أن تأتي (جوليا) معنا إلى

ARTAS.COM
منتدى ليلاس الثقافي

(كاب دى أنتيبس)».

لم يكن يبدو على (جوستين) القلق عندما حل بهم (لوك) فجأة. وأدركت (جوليا) أنها قد تغلبت على مشاكلها. ولكنها الآن لديها مشكلة خاصة صنعتها بنفسها.

قالت (جوستين): «إننى أفضل أن أكون معها على أن أكون مع إحدى صديقاتك فى أثناء إنشغالك بعملك. فهى فى غاية الملل و(جوليا) مسلية جداً. أنا متأكدة أنها ستأخذنى للسباحة بدلاً من مشاهدة نوافذ العرض فى محلات الأزياء».

قال (لوك) فى صرامة ساخرة وقد سره عودتها لطبيعتها. «فجأة تبدين سيدة صغيرة مبكرة النضج. لست أدرى.. هل من المحتمل أن أكون مفرطاً فى إطرائك؟»

قالت (جوستين): «أوه... أرجوك يا عمى (لوك)» وأحمرت للحظة ولكنها كانت لاتزال قادرة على أستخدام مكرها الأنثوى فقالت: «خذ (جوليا) ولن أطلب منك أى شىء آخر لمدة... لمدة طويلة».

قال (لوك) بصوت رقيق: «ربما لاتود (جوليا) المجىء معنا» ونظر بطرف عينه إلى (جوليا) التى أخذتها رجفة.

لم يكن هناك وقت للأجابة إذ ظهرت (روزان) وكان على (جوليا) أن تراجع رأيها حيال أقتراح (لوك) الذى قد تحتج عليه (روزان). كانت (روزان) متأنقة ومبتسمة وأقبلت تطبع قبلة على وجنة (لوك). وتجاهلت الجميع فيما عداه وسألته: «متى سنذهب إلى (كاب دى أنتيبس)».

قال (لوك) سوف تتحرك قرابة الغروب فلم تكن هناك حاجة لمجيئك مبكراً. وسأتى معنا (جوليا) و(جوستين) ولكن قبل كل شىء فهناك دروس (جوستين) الصباحية».

كانت (جوليا) قد قررت فعلاً عدم الذهاب ولكنه يضعها الآن أمام أحد خيارين: ثورة غضب هادئة من (جوستين) أو معركة صريحة معه. وبدت عيناه السوداوتان كأنها يدركان تلك الخفيفة بمزيد من الرضا.

قال وهو ينظر لها مباشرة: «إنها مسافة طويلة ومن الأفضل أن تعدى مايكفيك لقضاء يومين. وتذكرى أن تسافرى فى ملابس خفيفة».

وأتجه بعينه إلى السماء المتوهجة وهو يقول: «هناك عاصفة تتجمع ولكن ربما لاتصيبنا. وعلى الرغم من ذلك فالجو شديد الحرارة والرطوبة وهواء البحر سيكون طيباً لكما».

لم يكن هناك مهرباً. وقرب نهاية اليوم تجمعوا أستعداداً للسفر. كانت (لوسيل) تلوح فى مودعة بينما كانت (ماريس) تتمنى من أعماق قلبها لو أن البنك أغلق أبوابه وأعطاها أجازة لبضعة أيام حتى تتمكن من الذهاب معهم. وأقبل (فيليب) وأنسل إلى المقعد الخلفى للسيارة مع (جوليا) و(جوستين).

وصاحت (روزان) فى تعجب: «لم أعرف أنك ستأتى». كانت قد تخيرت لنفسها مكاناً بالمقعد الأمامى مع (لوك) وأستقرت مسترخية. وأحست (جوليا) بالأمتنان لإتساع المقعد الخلفى للسيارة المرسيدس. فلم تكن ترغب فى سماع (لوك) يتحدث مع (روزان).

قال (لوك) بهدوء: «من الطبيعى أن يأتى (فيليب) فهو أيضاً يدير بعض الأعمال. وقد تذهبين أنت للشراء بينما أذهب أنا و(فيليب) للعمل».

قال (فيليب) بإغاظة: «وتذهب (جوستين) لأخذ حمامات الشمس بينما تذهب (جوليا) وبساطة لترداد جمالاً» وفوجئت (جوليا) بأن ذلك أسكت (روزان) تماماً. كان هناك الكثير من التيارات الخفية التى لم تستطع فهمها. ولكنها فضلت أن تدعهم لشأنهم ونعنى هى (بجوستين).

ورفعت بصرها لتجد أن (لوك) ينظر لها جدياً من خلال مرآة الرؤية الخلفية. خلقت فيه بغضب رغم أن قلبها قفز لخلقها عندما التقت عيونهما. وكل ما فعله أن رفع أحد حاجبيه. وطوال رحلة السفر لم يقل شيئاً رغم أن الرحلة بدت لا نهائية.

وعند وصولهم كانت (جوستين) تغط فى نوم عميق. أشار (لوك)

للصبي الذي ظهر بسرعة سحرية ليحمل حقائبهم.

قال لوك بلهجة آمرة: «ضعها كلها في جناحي الآن. وسوف أفرزهم فيما بعد» ثم حمل (جوستين) وأتجه للفندق وهو يقول: «يمكنك أن تضع السيارة جانبا».

كان هو المالك ولا ريب ومسحت عينا (جوليا) واجهة الفندق. كان ضخماً وتبدو عليه رفاهية يؤكدها مدخله. لم يكن مقاماً على جرف البحر مباشرة. كان يصلح للأجازات الجماعية. إن الأثرياء فقط يمكنهم تحمل نفقات الأقامة هنا. وبدا من مشهد النزلاء أن هناك الكثير منهم هنا. وأسرعت (جوليا) خلف (لوك) وقد بدت متوجسة مهيبة للمكان، بينما ترنشت (روزان) وبدت معتادة تماماً على المكان. كانت تحيي النزلاء في بهو الفندق كأنهم أصدقاء قدامى. وكانت ترتب معهم مواعيداً للقاء فيما بعد. من الواضح أنها معروفة هنا جيداً ورفيق معتاد (للوك).

وتسلمت (جوستين) من (لوك) وهو يضعها على فراشها ويقول بصوت هادىء: إن أردت أن تدعيها للنوم فربما تنام حتى صباح الغد. وإن أردت إيقاظها فستتناول وجبة في غرفتها». أومأت (جوليا) برأسها وبدأت تجرد الطفلة النائمة من ملابسها بينما وقف برقيا للحظة ثم أستدار فجأة ليغادر الغرفة وهو يقول بصوت أجش: «غرفتك هي المجاورة لهذه الغرفة وهي مفتوحة لك بالفعل».

ولم يتريث حتى يتلقى رداً. ولكن متوخراً وبعد أن تركت (جوستين) وذهبت تتفحص حجرتها الرائعة جاء يطرق بابها ودخل. لم يتجاوز الباب كثيراً عندما قال بصوت بارد: «عندما تكونين جاهزة فسأصحبك للعشاء بالطابق السفلي».

ردت (جوليا) وبنظرها بعض الأستنكار: «أنا.. أنا لا أدري إذا ما كان بإمكاني تناول الطعام هنا بغرفتي»؟

لم تكن ترغب في الجلوس مع (روزان) و(لوك) حتى لو كان فيليب موجوداً. وأحست بإرهاق شديد. ربما تكون العاصفة المنذرة وربما يكون

وجودها قرب (لوك) كل يوم قد بدأ ينال منها الكثير وغضت بصرها أمام نظرته الفاحصة.

قال بصوت خفيض: «لم أعمل على حضور (روزان) معنا».

قالت (جوليا) سريعاً: «إن ذلك لا يهمني» وحولت بصرها سريعاً وهي تقول: «أنا هنا لأعتني (بجوستين) ولا شيء غير ذلك» ثم قالت ضاحكة: «ربما لم تكن لديك نية لإحضاري أنا أيضاً. إن (جوستين) تناديني».

قال بصوت رقيق مؤكداً: «هي لم تفعل.. أنا لدي أقوى الرغبات في حضورك. أنت تبدين مشدودة ومتوترة مثل الطبول. أنك بحاجة للراحة والأسترخاء. لقد خيلت أن (فيليب) سيقوم بمعظم العمل في هذا الوقت بينما أساعدك أنا على الأسترخاء».

وأبتعدت (جوليا) وقد أهتزت هذا الأعتراف. كانت الأثارة المعتادة داخلها بعنف. سألت بصوت هادىء: «هل لي أن أطلب طعامي هنا؟» كان صوتها هادئاً ومشعراً بالأحباط كأنما يدعوه للأنصراف. ولم تفاجأ عندما غمغم غاضباً بأن لديها الحرية الكاملة لعمل ما تشاء وخرج وتركها.

وجاءها إفطارها في اليوم التالي في حجرتها بدون أن تطلبه وتخيلت أن (لوك) قد نقض بداه منها ويكاد يسمع لها بتناول الطعام هنا والبقاء في حجرتها طوال الوقت إذا أختارت ذلك. ضايقها ذلك كثيراً فواجهته مجيئة إليها ولم تنتظر حتى يقدم لها تحية الصباح. قالت بكلمات حادة: إن صحتي ليست متدهورة لدرجة أن أحتاج طعام الأفطار في الفراش. فشكراً لك».

قال ضاحكاً بسخرية: «إنه ليس تدهور في الصحة بقدر ما هو أفتراض للأرهاق» وأستند لمضدة الزينه بينما كانت تقف في وسط الحجرة مرتدية ثياب النوم. وتابع قائلاً: «على أية حال بالتأكيد أنا لم أطلبه لك. لاشك أن العاملين قد أفترضوا أنك مادمت معي فسيكون لك

limas.com
منتدى ليلاس الثقافي

نفس طباع السيدات اللواتي يقمن ويرفضن المغادرة حتى يتناولن طعامهن».

قالت (جوليا) بحدة: «حسناً. أنا لست كذلك» وصمتت لبرهة تحت وطأة سخريته ثم أندفعت تقول: «من الأفضل أن توضح أنني ممرضة (جوستين) لست واحدة من السيدات اللواتي يبعن لك الهوى». كان لسانها ينطلق بلا تحكم وأستدارت بإنفعال بعيداً عن نظرته المتوهجة المفاجئة.

وتمتم بهدوء: «هذا يبدو إلى حد ما وكأنه غيرة».

قالت بلهجة قاطعة: «حسنا... بكل تأكيد هو ليس كذلك» لكنه كان قد وصل خلفها ووضع يداه على كتفيها وجذبها للخلف ثم قال بإلحاح وفي صوت عميق: «لكنني أريده أن يكون يا (جوليا). أريدك أن تكوني غيورة لو سارت الأمور كما أبغي لكنت أنا وأنت هنا وحدنا».

وصاحت: «(لوك)».

لكنه أدارها بين ذراعيه وأحتواها بقوة وقال: «لا.. لا تطلبي مني التوقف» وفي لثوبها استندت على أطراف أصابعها وقبلته. قصدت أن تكون قبلة قصيرة مجرد رد على توسل صوته.

أحست أنها تحلق وتطفو وتدور وتسقط عندما ضمها (لوك).

تشبثا ببعضهما حامدي الأنفاس. وأخذهما الذهول التام عندما أندفعت (جوستين) إلى الحجرة بدون أن تكد تطرق الباب.

وشهقت قائلة: «ياها من مفاجأة» وتورد وجهها ثم برق بالسرور وهي تقول: «أوه هذا جميل... عمي (لوك) يقبلك... إنني سعيدة جداً».

أخذهما الأرتباك والأضطراب. تمنت (جوليا) لو كان صوت (جوستين) منخفضاً قليلاً. وأبتعدت عن (لوك) الذي بدا عليه الأمتعاض كأنه لا يريد أن يدعها. وكانت هي كذلك. ولكن في هذه اللحظة فتح الباب المقابل لحجرتها وبدت (روزان) في ثياب الخروج للشراء. ملأ الغضب عينيها وأحمر وجهها عندما رأت هذا المشهد.

قالت (جوستين) بصوت عال: «سوف أعود لغرفتي ويمكنك أن تعود لتقبل (جوليا) يا عمي (لوك)» وضاقت عيناها وأمتلأتا بالكراهية وهي تنظر (لروزان). كان يرتسم على وجهها تقدير للموقف وكأنه تقدير شخص بالغ وفوجئت (جوليا) بذلك. وتراجعت خطوات (روزان) للحظة قبل أن تتجاهلهم جميعاً وتسرع الخطى عبر الممر.

صاحت (جوليا) بصوت حاد مؤنب: «(جوستين)» ولكن الطفلة تجاهلت ندائها هذه المرة وولت في مرح إلى خارج الحجرة.

ورغم أن (جوليا) كانت هي التي بدأت القبلة فقد أستدارت بغضب إلى (لوك) وهي تقول: «أنظر الآن» ولكن (لوك) نفسه كان منحيراً ما بين نظرة الكراهية في عيني إبنة أخيه وبين الغضب البارد (لروزان). وقال برقة: «أنا أرى» كانت عيناه لا تزالان تبرقان بالرغبة وتابع: «ولا زلت أذكر كيف كنت تشعرين بين ذراعي وأنت تنضغطين مقتربة مني. سوف أذكر في المرات القادمة إدعاءك بأنك لا تغرقين بنفس النار التي تغرقني».

وأستدار مبتعداً لكنه توقف عند الباب وجرت عيناه على جسدها برغبة أمتلاكية وقال: «سوف أكون مشغولاً معظم اليوم ولكني رتبت لأخذك أنت و(جوستين) إلى سفينة أحد أصدقائي. أنا أفترض أنك سباحة ماهرة».

وأومأت: «ن... نعم» وأبتلعت لعابها بصعوبة عندما أستمر عامداً يمسح بنظراته جسدها المضطرب.

قال (لوك): «عندئذ يمكنك قضاء اليوم في الأسترخاء والسباحة وأخذ حمامات الشمس. وسوف يعد لك الفندق غداء محفوظاً. وستجدين على السفينة كل الكماليات. وسوف نكونين في مأمن بشرط ألا تبالغين في أخذ حمامات الشمس. وعلى الأقل سنكونين بمنأى عن طريق الأذى».

كان لديها فكرة واضحة عما يقصده. لقد رأت وجه (روزان) ولكنها

لاتتخيل أن (روزان) سوف تسبح فى المياه حتى تصلهم. كل ما فعلته (جوليا) أنها أومأت لا إرادياً. وترك (لوك) الغرفة صامتاً مثلما جاء.

إنه يعرف أن (روزان) أرسلتها عن عمد إلى المنطقة التى تمر بها الخيول ورغم ذلك أحضرها معه إلى هنا. ربما لم يكن ينوى ذلك فى البداية. ولكنه لم يقاطعها. لابد أن رغبته فى هدم المقاطعتين قوية جداً.

كانت السفينة زورقاً بخارياً ذا حجم كبير. من الواضح أن (جوستين) تألف مثل هذا النوع لأنها اندفعت إلى مقدمته عندما أنزلهم فيه أحد رجال (لوك). ثم أخذت طريقها إلى القمرات حيث أخذت واحدة لنفسها وأخرى (لجوليا).

أستقر بها الزورق على مسافة لاتبعد كثيراً عن الشاطىء حيث كان هناك هدوء شديداً وعزلة واضحة. وكانت المياه خضراء وفى صفاء البلورات».

صاحب (جوستين): «أوه... إنه رائع. سوف اسابقك فى تبديل ملابسنا ثم نسبح» لقد كانت تعود إلى طبيعتها... طفلة بسيطة جداً. وكادت (جوليا) تجزم بأن تلك النظرة الحادة المليئة بالغضب والتى غطت وجهها هذا الصباح إنما كانت شيئاً وليد تخيلاتها.

أخذت تساعدها فى تبديل ملابسها. وقررت (جوليا) محاولة أن تنزل (جوستين) إلى المياة قبل أن تكون هى على أستعداد للأشراف عليها. ولكن الفتاة الصغيرة كانت تنتظر فى إمتثال وهى تضحك لمظهر (جوليا) المرتبك.

وقالت بمرح: «كان يجب أن أنتظر فأنا لا أجرؤ أن أفعل غير ذلك. إن عمى (لوك) قد هددنى بأقسى العقوبات إذا فعلت شيئاً يُفسد يومك».
ثم أضافت بإبتسامة سريعة: «يجب أن أتصرف على أفضل ما يمكننى».

قالت (جوليا): «أنت دائماً كذلك» ونظرت لها نظرة خالصة فتلقت منها نظرة ذكية لم تكن نظرة أطفال. ثم أعلنت (جوستين) أنها

على وشك النزول للمياة.

كان يوماً رائعاً وأبقت (جوليا) تفكيرها بعيداً عن (لوك) وعن حوادث الصباح. ولكن الآن ومرة أخرى كانت ذكرى ذراعيه وشفتيه تندفع إليها فتعمرها بمشاعر لا يمكنها التحكم فيها.

لقد قال أن عليه أن يصل إليها فقط وسيذهب هى إليه. كانت تعرف أنه على حق. لقد أثبتت ذلك لنفسها فى هذا اليوم بعينه.

liilas.com
نقدي للملابس الثقافي

الفصل الثامن

بعد يوم في الشمس والبحر عاد إلى الفندق حيث تناولت (جوستين) عشاء مبكراً أخلدت بعده للنوم ولم يعد لدى (چوليا) ما يشغلها. أخذت طريقها إلى جناح (لوك). كان يقع في نفس الدور ومن الواضح أنه كان محجوزاً دائماً. إذ كانت لوحة صغيرة على الباب مكتوب عليها «سانت ميشاد». لم يكن الماركيز يسمح بتأجير حجراته. وقد كان الأمر يستلزم قدراً كبيراً من الشجاعة لطرق الباب والدخول عندما جاءها صوته:

«أدخل».

كانت (روزان) في الحجرة وقد أوشكت ثيابها أستعداداً لتناول العشاء. تفحصت عيناها (چوليا) ببطء وعناية وقد أخذت بريق شعرها الجميل، وذرات الشعر الخفيف التي لم تخفها مساحيق الزينة ولا اللون الذهبي من أثر الشمس. أحست (چوليا) بالبساطة وهي ترتدي فستاناً أبيض غير مزخرف يكشف عن كتفيها. كان يبدو لائقاً جداً في مدينتها الأصلية بينما لا يبدو أفضل الأزياء هنا. وأفصح وجه (روزان) عن ذلك بوضوح.

قالت (چوليا) عندما نظر إليها (لوك) ببساطة: «أنا... أنا أعتقد...

هل سأذهب للعشاء معكم؟».

وبدا كأنه ينتشل نفسه من شئونه وقال: «نعم سأتين». سار بإتجاهها وهو يقول: الآن وحيث أنك هنا فإننا ننتظر فقط حضور فيليب ثم نذهب للعشاء. لقد كنا بإنتظارك».

أطلقت (روزان) ضحكة صغيرة وهي تقول: «هل كنا؟» وكأنها توضح أن كلماته كانت مجرد كياسة جفاء. ثم أضافت: «أعتقد أنا كنا فقط نستمتع بوقتنا معاً».

وتجاهلها (لوك) بينما سُرت (چوليا) عند دخول (فيليب) الذي أبتسم لرآها. وبينما كانت عيناه تغازلان (چوليا) قال بلهجة مرحة (للوك): «سوف أسأنر (چوليا) من بين يديك في هذه الأمسية. إذا أذنت بذلك» ولدهشتها وجدت (روزان) تندفع سريعاً ترفض الفكرة. وقالت بإصرار: «إننا جميعاً معاً بالتأكيد». ودست ذراعها في ذراع (فيليب) وهي تقول: «أنا أعتقد أن صحبتنا الرباعية ستكون أفضل».

وغمغم (لوك) في أذن (چوليا) جالسة: «أنا لا أحتمل ذلك» ولكن (چوليا) كانت مستغرقة في تفكيرها تحاول أن تفهم هذا الأمر. في هذه اللحظة بدت (روزان) كأنها تقي رهانها من الخسارة فإنها إن لم تحصل على (لوك) فمكنها الحصول على (فيليب). ووقعت عيناها الزرقاوتان المسلطتان على (فيليب). وللحظة بدا وجهه المرح منجهماً بعض الشيء.

لم تتوقف (روزان) عن الحديث طول العشاء. وبدا أن (لوك) و(فيليب) يوقفان ذلك. وقد عاملاها بتساهل وتسيط حتى أن (چوليا) ودت لو أنها لم تكن موجودة. وبالأضافة لتجاهل (روزان) لها وإزدراءها الخفي فقد بدا الموقف برمته تقليداً كئيباً ولكن ما عدا حقيقة واحدة وهي أن عيني (لوك) السوداوتين كانتا لا تكادان تنصرفان عنها.

بعد ظهيرة اليوم التالي أنضم (لوك) إليها على الرورق. لقد جاء بدون أي تنبيه وربط زورقه الصغير السريع الذي جاء به إلى جانب زورقهم ثم قفز إلى سطحه. وكالعادة أندفعت إليه (جوستين) قرفصها في الهواء

Liilas.com
منتدى ليلاس الثقافي

بذراعيه القويتين ذوى اللون البنى.

قالت (چوستين) فى حماس: «أنت تغشنا. لقد قلت أنه لن يكون لديك وقت لتضم إلينا».

ورد (لوك): «حسناً... لقد صنعت وقتاً. وبالأضافة لذلك فيجب أن أتأكد أن أميرتنا الأنجليزية لم تتعرض لكثير من الشمس».

قالت (چوستين) فى أعتداد كبير بنفسها: «إننى أعتنى بها».

وتحول بصر (لوك) إلى (چوليا) التى جلست على سطح السفينة ترتدى لباس أستحمام بكينى أزرق داكن. وتلوثت ساقاها الرشيقتين باللون الذهبى وكشفت ثيابها القليلة عن أنوثتها الفاتنه.

قال (لوك) برقة بينما التقت عيناهما: «لقد تصرفت جيداً وحتى يحين اليوم فسأبقى وأساعدك» وذهب لتبديل ملابسه بينما أحدثت الأثارة بلب (چوستين) وهمست سريعاً:

«دعنا نغتسل... سوف أذهب إلى مكان ما... وأنت إلى مكان آخر وسيعجب عمى (لوك) ذلك».

وشكت (چوليا) فى أن يكون من ذلك النوع من الرجال الذى يستمتع بمثل ذلك اللهو. ولكن لم يكن هناك مايستبقيها فى مكانها لمواجه هاتين العينين الداكنتين الملتهبتين. ونظرت (چوستين) إلى الجانب المقابل من السفينة لتختبأ وهى تحاول كبح ضحكاتها. وانزلقت (چوليا) عبر جانب السفينه إلى المياه الرائقه الدافئة. كان وقت الخروج هو إما أن تمسك (چوستين) وإما أن تقلع عن الفكرة تماماً.

ولكن كان حظاً ما. فهى لم تكد تدرك أن (لوك) كان فى الماء حتى طفا إلى جوارها وهو يحدق فى عينيها. ثم أطبق على خصرها فى حرارة ليغوصا تحت السطح. لم تكد تجد وقتاً لتتنفس تواتاه وتأخذ نفساً عميقاً قبل أن يغوصا فى الماء الأخضر الرائق. ثم ارتفع معاً إلى السطح بلتقطان أنفاساً عميقة بينما كانت يداه تضربان على ظهرها الملتهب. وقال «يمكننى أن أبقى هنا طوال النهار وطوال الليل مادمت معك».

«عمى (لوك)» كان صوت (چوستين) يصلهم واضحاً كرنين الجرس. وأرتسمت على وجهه أبتسامة واسعة وهو يشير إليها قائلاً: «أنت لم تلعبى اللعبة كما ينبغى. لقد لعبها حسب قواعدى يا حلوتى... لكننا سنصعد إلى ظهر السفينة لتناول القهوة».

وسبح إلى السفينة ثم تسلق إلى ظهرها وهو يرفع (چوليا). كانت يداه لاتزالان تمسكان بيديها وتورد وجهها لدى العاطفة المتقده فى عينيه وهى لاتدرى إن كانت تشعر بالأمتنان لوجود (چوستين) أم لا. وإذا قيلت الحقيقة... فهى لم تكن تريد أن تحمى نفسها من (لوك). لقد صرحت له بمشاعرها منذ أمد طويل وبادلها المشاعر بنفس الدرجة». كانت (روزان) وصمت (چوستين) بعيدين عن عقلها.

إنقضت فترة مابعد الظهر الحارة ببطء بينما أحتموا بإحدى المظلات الجميلة على ظهر السفينه. وبعد برهة وضعت (چوستين) رأسها على يدها وأستغرقت فى النوم. وعلى الفور حل (بچوليا) الفزع. عندما وجدت نفسها وحيدة مع (لوك).

نظرت إلى (چوستين) وهى تقول بصوت خفيض: «أعتقد أننا يجب أن نعود. اليس كذلك؟ فربما تكون قد تعرضت (چوستين) للكثير من الشمس».

ورد بطريقة مرتجلة: «هى فقط تبدو متعبه مثل كل الأطفال بعد يوم على بالأثارة. وسنكون بخير هناك وعلى أى حال فإن بشرتها داكنه مثلى. وقد كانت بشرتك الجميلة هى الوحيدة التى يمكن أن تتعرض للخطر بفعل الشمس».

قالت (چوليا) سريعاً: «حسناً... حسناً. على أية حال سوف أذهب لأبدل ملابسى» ولكنه لم يفتح فمه.

«(چوليا)... عمى (لوك)» جاءهم صوت (چوستين) وبه آثار النوم تنادهم من على ظهر السفينة وصاح:

«يا إلهى. متى سيمكننى أن أعيش حياتى الخاصة».

hilas.com

كانت أنفاس (جوليا) لا تزال تلهث فى حلقها وهى تنظر ذاهلة وقال:

بدلى ملابسك لقد كنت على حق. فيجب أن نرحل الآن.

ولم تستطع سوى أن تومئ بهلاهة ولم تشعر بالخجل مع (لوك) كان كل شىء طيب... كل شىء تريده. وبذهول حاولت أن تجذب عقلها لتعيده إلى الواقع وتقاهد رغبتها الداخلية. وأسرعت ترتدى ملابسها وتتبعه بأسرع ما يمكنها.

وجدت نفسها تقضى معظم الوقت أثناء العشاء مع (فيليب). كانت (روزان) مع (لوك) وكان ذلك عن قصد. كانت عينا (فيليب) تتعقبها بحنق وهما يرقصان.

وتمتم بحدث نفسه: «سوف تحصل عليه.. لقد كنا ندلالها دائماً وهى الآن لا تجد مبرراً لحرمان نفسها من أى شىء تريده».

وبينما كانت عينا (جوليا) على (لوك) وهو يبتسم للفتاة سألت (فيليب) بهدوء: هل تعرف (روزان) منذ وقت طويل؟»

قال مؤكداً: «منذ أن كنا أطفال. على الأقل منذ أن كنت أنا و(روزان) أطفالاً: فلا يمكننى على الأطلاق تذكر (لوك) وهو طفل» ثم ضحك بصوت أجش قائلاً: «أنا أعتقد أحياناً أنه لم يكن كذلك. لقد كنا جميعاً نحيط (بلوك) وحتى عندما كان (جوليس) موجوداً فقد كان (لوك) هو الأكبر والأهدأ أعصاباً والأقوى والأشجع. ولفترة من الوقت لم تستطع أن تحدد رأيها هل تريدنى أنا أم (لوك). ويبدو أنها قد أستقرت على رأى الآن. ومن المحتمل أن يكون مجيئك قد ساعدها على إتخاذ قرار».

قالت (جوليا) بهدوء: «أنا متأكدة أن ذلك لم يحدث. فليس لى أى تأثير على حياة أى أحد فيما عدا (جوستين)».

قال ضاحكاً: «وأيضاً حياة أمى وحياة (ماريس) وحياتى» ثم أضاف برقة: «وحياة (لوك)».

قالت (جوليا): «لو أنه تزوج (روزان) فسوف تصبح الضيعة كبيرة وساحرة جداً».

وأومأ (فيليب) ثم صرف بصره عن الرفيقين اللذين كانا يرقصان. وبدا نافد الصبر وهو يستدير إلى (جوليا) قائلاً:

«عندما مات والدى تم تقسيم الممتلكات بالعدل حسبما رأى. والآن أصبح (لوك) ماركيزدى سانت مينشاد فآل إليه نصيب الأسد. ثم توفى (جوليس) وآلت ممتلكاته إلى (لوك). لقد كان (جوليس) و(دايردرى) يعيشان هناك مع (جوستين). أما أنا فقد حصلت على نصيب أقل من الممتلكات لأننى كنت الأبن الوحيد من زواجه الثانى بينما حصلت (ماريس) على نصيب أقل منى» وقطب جبينه وهويقول: «إنها بنت» ثم تابع قائلاً: «وكما تفهمين فقد كان والدى رجلاً عنيق الطراز. ولم يكن (لوك) سعيداً بذلك. كان يعمل بكل طاقته وحميا ويرشدنا. إن (عاتاد دى مينشاد) هى بيت أمى وبيتنا ومن الواضح أن (لوك) سيتزوج يوماً ما. فماذا سيفعل؟ هل سيلقى بنا إلى الخارج؟ لقد كان غاضباً بسبب كل تلك الأمور».

كان يرسم صوره للأحداث الماضية أخذ بلبها. وتخيلت صورة (لوك) فى ماضيه. وفهمت سر عدائه بهم جميعاً.

وأستمر (فيليب) قائلاً: «عندما مات (جوليس) قام (لوك) بتقسيم الممتلكات مرة أخرى إرضاء لضميره. وأخذ هو الضيعة الأخرى بينما ترك لنا منزلنا بصرف النظر عما قرره لمستقبله. وعندما تبلغ الثلاثين أنا و(ماريس) فستصبح الأرض المحيطة (بعاتاد دى مينشاد) أرضنا. وتمتد أرض (لوك) إلى جوار أرض (دوبين) وإذا تزوج (روزان) فستصبح مملكة صغيرة. وإذا لم يتزوج فسترث (جوستين) التى يرعاها كل ذلك عن أبيها (جوليس).

وتمتمت (جوليا) وهى تنظر لها: «وستزيد إذا تزوج (روزان)».

قال (فيليب) مؤكداً: «هذا حقيقى... إن اللقب يجب أن يمتلك

أرضاً ـ أرضاً غير مقسمة وأوسع مما يملكه الآن. وهو يعرف ذلك. كما أن عائلة دوبين لن يعترضوا على وجود لقيا في عائلتهم. ورغم ذلك فلا أعتقد أنه من الحكمة أن أضمن ما سيفعله (لوك). لقد عرفته طوال حياتي وحاولت أن أتفهم أفكاره وتصرفاته ولكنني لم أستطع. وأياً كان ما يفعله فبالتأكيد سيكون من مصلحة العائلة. وأنا متأكد من ذلك».

سألت (جوليا) بهدوء: «وإذا أخبرتك (روزان)؟»

قال (فيليب): «أنا أشك إذا ما كنت أستطيع التعامل معها» وضاقت عيناه وهو ينظر لها ثم تابع: كما قلت فإننا قد أتلفناها بالتدليل. وهي مهرجة وعنيدة وغوية لكن من الصعب التنبؤ بما ستفعله. أنا أعتقد أن (لوك) فقط يمكنه التعامل مع (روزان)» وبدا كأنه لا يريد مجرد المحاولة. وأحست (جوليا) أن حبه الشديد للفتاة بدأ يتلاشى. واعترفت بأنها لا تفهم أيامهم.

عندما عاد (لوك) و(روزان) إلى المائدة كانت (جوليا) صامتة منطوية على نفسها. وبعد برهة بدا أن (لوك) قد ضامه ذرعاً بذلك. لكنها لم تكن لتدع نفسها تتعرض للأذى مرة أخرى. إن بإمكانه أن يستدعيها بنظرة وأن يذيبها بلمسة. وقد فعل ذلك من قبل. ولكن كان

واضحاً أنه يعتزم الزواج من (روزان). وفجأة أحست أنها تمتلىء بخيانة (جراهام).

في صباح اليوم التالي جاءها (لوك) قبل (جوسلين). طرق باب حجرتها بخفة ثم دخل. كان وجهه يفيض بالسعادة عند وقع عليها نظره. لكنها لم تطق النظر إليه. وأدارت رأسها بعيداً ثم رمقته بنظرة باردة وهو يتقدم في الحجرة محيراً من موقفها.

وقالت: «أنا أفضل أن هذه حجرتي يا مسيو (مارشال)». أستجمعت كل ما بقي فيها من لهجة العمل بالمستشفى لتنطق بهذه الكلمات ثم أضافت: «إذا أمكنك أن تخبرني بما تريد فبإمكاننا التحدث بشأنه ثم

وصاح: «(جوليا)». لم يكن هناك غضب في صوته ولكن دهشة فقط. هي تدرك أنها قد حيرته وأغضبته بإنطوائها في الليلة الماضية ولكنها في آخر مرة كانا فيها معاً بمفردهما كانت على أقصى درجات الأستعداد للأنتباه إليه. وكل منها يعرف ذلك. وأتجه نحوها فهبت واقفة على قدميها وكل ما فيها متحفز وغاضب.

قالت بلهجة حادة: «لا ترتكب خطأ أن تلمسني يا سيدي. إذا فعلت فأقسم بأنني سأصرخ بصوت عال حتى يستيقظ كل من بالفندق».

وماتت البسمة على وجهه وأختفت نظرة الحيرة من عينيه ليحل محلها الغضب الشديد. وقال في غيظ: «إذن يا آنسة. هل إنتهت لعبة الأمس؟ هل يجب علي اليوم أن أذكر جيداً واجبي نحوك ومكانتك في حياتي؟»

قالت (جوليا) في هدوء: «لم تكن هناك لعبة. ومكانتي هو في حياة (جوسلين) فقط. ولذلك...»

ولم تكمل حديثها. فقد رفع يده بكبرياء وهو يقول بصوت حاد: «لا تتكلفي عناء الأستمرار في الحديث. أنت تريدين العودة إلى وطنك.. إلى أنجلترا... حسن جداً. أنا موافق. لقد أصبحت تملين البقاء هنا في (كاماروج) ولا يمكنك أن تتحملي أساليبنا أكثر من ذلك. أنا هنا على حق. وسوف أرتب لذلك. فيمكن (لجوسلين) أن تسمر بدونك وكذلك أنا».

وأستدار فجأة ليتركها. لكنه كان يحتضرها الألم والصدق. فصاحت بصوت حاد:

«إن الأمور تبدو أغرب مما تخيلت... ما الذي كنت تفعله بالأمس على السفينة. هل كنت تستخدمني لتتخلص من تعبك وأحباطاتك».

أستدار ببطء ونظر إليها بعينين باردتين غامضتين وقد أرتسم على وجهه ألم بارد مخيف وسألها ببرود: «ماذا يعنيه هذا الأنفجار يا آنسة.. هل أبدعت سبباً آخر للشك في».

Hilas.com
منتدى ليلاس الثقافي

قالت (چوليا) بهدوء وهي تستدير بعيداً عن غضبه: «أنا لم أبتدع أي شيء».

وأنفجر قائلاً: «ربما لا... إن فكرة حياتي الغريبة وأساليبي الغامضة تكفي لذلك بالشك بدون أي إبتداع لذلك. أنا أعرف هذا فعلاً. لا يمكنك أن تتقبلي حياتنا على نحو مريح».

إندفعت (چوليا) قائلة: «أنا أتقبل (لوسيل) وأتقبل (ماريس) وأتقبل فيليب. أنا أعتبرهم أصدقائي. إن سلوكك هو الذي لا أتقبله. أنا أحب الرجل الذي...»

صمتت مندهشة لإنفجارها للكلمات التي أحتارها. كادت تقول أنها أحبت رجلاً سيتزوج من غيرها. وأنه كان فقط يلعب بعواطفها. لم تكن تدري عمق ما بها من أذى حتى جاءت هذه الفكرة إلى رأسها وكادت تفشيها.

حلق فيها (لوك) كأنها أجنبية غريبة ذات عقل لا يستطيع أن يفهمه وقال:

«أنت لازلت تحبين ذلك الرجل الذي هجرك؟ أنت على أتم أستعداد للعودة والسماح له بمقابلتك في غياب زوجته الجديدة؟ هل هذا هو سبب تلهفك على العودة وترك (كامارجو)؟ لا داعي للمواربة والأحتيال يا آنسة. لا تخافي سوف أرتب لسفرك على الرحلة التالية من مرسيليا».

وأستدار يخطو تجاه الباب بينما تجسدت صورة الواقع أمامها. لقد قال ذات مرة أنه يريدها أن تشعر بالغيرة. وقد حدث. إنها لم تعطه وقتاً للكلام... للتفسير. إنها تقيم أفكارها بناء على أفتراضات (فيليب) وعلى معرفتها الخاصة (بروزان). هل كان لوك سيقبلها... هل كان سيضمها بين ذراعيه إذا كان ينوي الزواج من فتاة أخرى؟

وهمست: «(لوك)» وخطت خطوة واحدة في أتجاهه ولكنها توقفت عندما التقت عيناها بتلك العينين السوداوين وبها نفس النظرة التي

وجهها لها عندما رآها لأول مرة... ما الذي تفعله هنا؟ لقد نبذها من عقله تماماً.

قال (لوك) بهدوء: «أنا أفضل أن تنادبني (مسيو) بالمرضة (ردفورد)» وأستدار ليخرج من الغرفة.

كان واضحاً (لچوليا) أنه لن يتحدث إليها مرة أخرى وسيحجز لها تذكرة السفر إلى أنجلترا في الصباح.

وملأها الفزع لدى فكرة تركها إياه. وملأها الخجل عندما أدركت مدى غيرتها. وطوال الطريق عودتهم إلى ضيعتهم (ماناد) كان (لوك) صامتاً. ولم تجد فرص للحديث إليه حتى أخلد الجميع للنوم بينما كان هو يجلس بمفرده في حجرته وقد صمت المنزل من حوله.

طرقت الباب وأرتعشت لدى سماعها صوته الواثق الأجش يأمرها بالدخول. وعندما رأى أن الطارق هو (چوليا) بدا عليه برود لم تره على الأطلاق.

قال بلهجة قاطعة: «غداً يا آنسة» وعاد مرة أخرى إلى الأوراق الموضوعة على مكتبة وهو يقول: «لا تخشي شيئاً فسيتم حجز رحلتك عند أول ضوء».

قالت (چوليا) وهي تستجمع شجاعتها: «ليس هذا هو ما جئت من أجله».

سألها بصوت أجش: «إذاً إذن» وأرتفع رأسه الداكن وهو ينظر لها من تحت حاجبيه الداكنين.

قالت (چوليا): «لقد جئت لأقول لك أني آسفة. ليس لي حق في أن أكون فظة إلى هذا الحد ولا أن أحكم عليك بمثل هذا الظلم. أنا... أنا لا أتوافق مع هذا المكان. ولا أفهم الناس هنا. كأنه عالم آخر. أنا هنا كمريض (چوستين) وليس لإنتقادك».

قال بلهجة حادة: «يجب أن تكوني كذلك. أنا ليس لي حق في أقامة علاقة حب معك. إن لك وظيفتك ولك وطنك الذي بُعد مختلفاً

lilas.com
مدونة ليلاس الثقافية

تماماً عن هذه البلاد». ثم نهض وسار إلى النافذة ينظر إلى سكون الليل والقمر البازغ.

وقال: «أوه... ما الفائدة؟ أنت لن تفهمينا على الأطلاق. أنت لست من أهل (كامارجو)».

قالت (جوليا) فى صوت يائس: «كلا... أنا لست منهم» لم تستطع أن ترفع صوتها فخرج هامساً وهى تشعر بأن كل حياتها يتهددها خطر ما.

قال بقسوة وهو لا يزال يعطيها ظهره: «لن يكون مهما أن تفهمى عندما نعودين إلى أنجلترا ونكونين على بعد أميال من هذا المكان».

يجب أن يكون الآن أولا يكون على الأطلاق. كل غرائزها تقول لها ذلك. أستجمعت بقايا شجاعتها وتوسلت فى صوت رقيق: «لا تبعدنى يا (لوك)... أرجوك لا تبعدنى».

قال: «لماذا تودين البقاء رغم أن رأيك فى وضيع وشديد الأرتياب».

وأستدار لوجهها ولكن شجاعتها كانت متهاوية تماماً. كانت تريد أن تقول: «لأنى أحبك» لكن الكلمات كانت تحتاج إلى قوة أكبر بكثير من أن تملكها.

همست وهى تسدد بصرها إلى الأرض: «أرجوك يا (لوك)».

وغمغم يكرر كلمتها فى سخرية: «أرجو يا (لوك)» ثم تابع «لقد قلتها مرات عديدة ولكن لم تكن إطلاقاً لأسباب صحيحة».

قالت فى ثبات وهى تقبض على زمام تفكيرها: «أنت تريدنى أن أبقى مع (جوستين) وأنا أريد ذلك. والآن تريدنى أن أرحل. فهل أصبحت (جوستين) فجأة غير ذات أهمية؟ هل أنزلق ذلك إلى مستوى إن أصبح معركة شخصية؟»

وقال هو يتفحصها بعينيه الداكنتين: «هل أنت مهتمة بى إلى حد أن تكون هناك معركة يا (جوليا)» عقدت (جوليا) ذراعيها لتوقف أرتعادهما وقالت بهدوء: «لقد جئت لعمل شىء ولم أنته منه بعد».

قال متسائلاً: «الممرضة (ردفورد) الجادة الصارمة. ألت لست سوى أخصائية محترفة؟» ثم أضاف فى صوت مكتئب: «حسن جداً. سوف نحاول مرة أخرى. أنا أتخيل أن (جوستين) أصبحت تشكل جزءاً هاماً من حياتك بحيث لا تستطيعين تركها بإرادتك. ولكن لا تنسى أن لك حياتك الخاصة. لقد قلت أنت بنفسك أن هذا شىء مؤقت».

وأستدار بعيداً دون أن يلحظ نظرة عينيها. لقد نسيت تماماً السبب الرئيسى لمجيئها هنا. كان (لوك) الذى أصبح جزءاً رئيسياً من حياتها. (لوك) الذى لا تستطيع أن تتركه. ورغم ذلك فقد كان واضحاً أن المقابلة أنتهت. ومرة أخرى عاد (لوك) غامضاً غير مفهوم وغير ممكن الوصول إليه.

وهمست له: «طاب مساؤك». وذهبت لفراشها. وعلى مدى عملها فإنه لم يجب.

ورغم ذلك فبعد ظهر اليوم التالى كانت (جوليا) تجلس فى الحديقة. وجاء (لوك) يبحث عنها. لم تجد فى نفسها رغبة فى المغامرة بأى شىء بعد صدمة الأمس. لم يكن هناك أى أثر (لروزان). وقد وجدت (جوليا) نفسها محبطة ومنهكة القوى بعد رحلة الشاطىء. ونظرت إلى (لوك) بعض الريبة بينما كان يدنو منها.

قال بلهجة جافة بينما كانت ترمقه بعينين واسعتين: «ليس هناك حاجة لأن تعدى نفسك للهجوم. ولنحضرى حقيبتك فسآخذك إلى المدينة» ثم أضاف بلهجة ساخرة بينما تورد وجهها: «لا تخشى شيئاً فسيكون هناك وصيفة تحميك. إن (جوستين) أيضاً مدعوة للمجىء معنا».

فى تلك اللحظة ظهرت (جوستين) ترفل فى أبتساماتها ثم أخذت تركض راقصة إليهما وقد ملأها السرور والمرح قالت: «سوف تذهب لتشاهد حلبة الثيران» وأضافت عندما رأت الأنطباع المتحير الذى أرتسم على وجه (جوليا): «وقد وصل الفجر إلى هناك وقد سبقتنا جدتى (لوسيل) إلى هناك بالفعل. أسرعى يا (جوليا) فسيكون يوماً مثيراً. إنهم

lilas.com

سيقيمون عرساً للثيران غدا وسيكون عمى (لوك) صاحب أفضل الثيران».

لم يكن لدى (جوليا) أدنى شك فى أنه أياً كان ما يفعله فسيكون هو الأفضل. ولكنها لم تتحدث عندما رأت التعبير المرح الذى يرتسم على وجهه. كما كان يحيطه جو مرح أصابها بالدهشة. فعلى نحو غير مفهوم ولا يصدق كان قد صفح عنها. ولم تكن بحاجة إلى دعوة أكثر من ذلك. وأنطلق (لوك) إلى المدينة يصحبه شخصان فى قمة الأناقة.

كان المكان يعج بالزوار. وكان جواً مختلفاً تماماً. بدا المكان كأنه متنجعاً لقضاء الأجازات. ولم يبد على (لوك) الضيق بقدر ما بدا عليه السرور لذلك. كان السائحون يملأون الميدان الرئيسى وقد أرتدوا ملابس قصيرة تكشف عن سيقانهم وأذرعهم. وكان الفجر ينتشرون هنا وهناك بملابسهم الزاهية.

وصاحت (جوستين): «إننى أرى جدتى» وثبت من السيارة كأنها هرة صغيرة ولكن (لوك) لحق بها وأمسكها ثم رفعها إلى كتفيه وقال مازحاً: «ليس بهذه السرعة يا حلوتى. إذا كنت تريدين أن تتركينى من أجل جدتك فيمكننا أن نسلمك لها بالطريقة الصحيحة. أنا لا أريد أن أجدك وقد أختفيت مابين هذه الحشود ولا نراك مرة أخرى».

وتملصت منه (جوستين) وهى تقول: «إنهم يحبوننى. وأنا أكاد أشعر بأننى واحدة منهم».

وأستبقاها (لوك) وهو يقول: «ولكن ليس تماماً».

قالت بفخر كبير: «لكن (ماريس) منهم... وأيضا (فيليب)».

قال (لوك) وهو يرنو بطرف عينه إلى (جوليا): «هذا صحيح إلى حد كبير».

وبدأت (جوليا) تجول ببصرها فى المكان. وجدت نفسها محاطة بأناس مرحين داكنى البشرة وسمعت (لوسيل) تجيب أسئلتهم باللغة الرومانية. رأت حولها عيوناً ضاحكة ذكية وأزياء متباينة. ورأت (لوسيل).. التى

كانت يوماً ما زوجة والد (لوك) ماركيز دى سانت مينشاد.. بين أهلها وقد غمرتها السعادة بدرجة لم تشهدها (جوليا) من قبل.

كانوا أناساً ذوى ملامح جميلة وكانوا يتجاهلون فضول السائحين وشغفهم فى أنفه. وأتضح من طريقه الترحيب بهم أن لهم مكانه خاصة فى (كامارج).

وسأل أحد الرجال (لوك) مبتسماً: «هل تعتقد أن غداً سيكون يوماً مشرقاً سيدى الماركيز».

قال (لوك) ضاحكاً: «أنت الذى تخبرنى يا (دنيس). لم تأول (جوستين) المتمردة إلى (لوسيل) التى بدت أمرأة عجيبة جذابة. وقال: «إنه أختصاصك أن تعرفى هذه الأمور».

وقال الرجل العجوز: «إن سحب العاصفة فى الطريق» وغطت الكآبة وجهه لثوان ثم أستقرت عيناه على وجه (جوليا) فملأها بإحساس غريب وكأنه تحذير مسبق. ثم قال: «ولكن بخصوص المهرجان فستكون لدينا شمساً مشرقة وكثيراً من الحرارة والغبار».

قال (لوك) ضاحكاً: «يمكننى أن أصدق ذلك... سيتفوق كثيرون الغبار فى أفواههم غداً». وتبادل كلمات سريعة مع (لوسيل) ثم أخذ (جوليا) مبتعداً ليمرا على المحال التجارية على جانبى الطريق. وقال:

«قبل أن نشاهد الحلبة فسوف نبتاع لك قبعة لحماية هذا الرأس الجميل وذلك الأنف المتكبر». كانت قبعته جافة وقد أحكم يده على ذراعها.

قالت (جوليا): «ليس بأنفى شىء متكبر». كانت لا تزال متيهة بما حولها كما أذهلها صفح (لوك) التام.

قال ساخراً: «حتى بعد أن عرفت أن زوجة أبى من الغجر؟ إن صديقتك العظيمة (ماريس) و(فيليب) المحجب العظيم بك تجرى فى عروقهم دماء رومانية حقيقية».

توقفت (جوليا) ونظرت إليه قائلة: «هل تتوقع أن يصدمنى ذلك؟

إن لويسيل رقيقة وعطوفة وأمرأة جذابة جداً. ولا يوجد شيء غير سوى بخصوص (ماريس) و(فيليب). وبالتأكيد فيمكن (لفيليب) أن يدير رأس أي فتاة في إنجلترا».

ورد بصوت رقيق: «ولكن ليس رأسك أنت يا آنسة».

ولم تجب. إنه يعلم أن عليه فقط أن ينظر لها ليغرقها في بهجة مرتعدة. وأرتسمت على شفتيه أبتسامة رقيقه وهو يقودها إلى المحل القريب. ليشترى لها القبعة المخلطحة التي وعدها بها.

ووضع القبعة على رأسها ثم تراجع قليلاً ينظر إليها قائلاً: «هذا أنيق جداً... إنها قد تُخبيء بعضاً من الجمال ولكنها ستحمي الرأس الجميل والأنف المتكبر».

أبتسمت البائعة لهذا الغزل المازح ولكن (جوليا) أرتكبت له. كان هذا هو (لوك) كما لم تره من قبل وكانت تلتقط أنفاسها بالكاد مخافة أن يسحب ويتركها وحيدة وتعيسة.

كانت الحلبة بالغة الروعة. لقد كانت تضم في سالف الأزمان أولئك اللاعبين المجالدين الذين يتقاتلون حتى الموت. أما الآن فإنها تضم الثيران بعد قيادتها عبر شوارع المدينة في أستعراض. كانت أقواس الحلبة سليمة وقد تم تجديد مدخلها. وأجلسها (لوك) في مقعد يمكنها من مشاهدة كل يدور حولها. وأوضح لها أنه ليس هناك فيه لمصارعة الثيران وإنما يحاول اللاعبون نزع حليه وردية مثبته على رأس الثور بين قرنيه». وقال مبتسماً: «ومن الطبيعي أن يعترض الثور. ودرجة أعتراضه هي التي تجلب الأثارة وتولد التحدي».

وسألت (جوليا) في قلق: «وهل تصاب الثيران بأذى؟» كانت تفكر في جمال الخيول البيضاء الوحشية وقد أفترضت أن وجودها أمر مسلم به.

قال بصوت ساخر: «ليست هناك خيول يا آنسة». إن من يتحدى الثور يفعل ذلك على قدميه وعلى مسئوليته الخاصة. إن الخيول تستخدم

فقط في الأستعراض وفي السباق الكبير الذي يلي محاولات نزع هذه الحلى من على رؤوس الثيران»..

وسألت (جوليا): «وهل... هل يصاب أناس؟»

قال: «أحياناً» كان صوته به درجة من التلذذ جعلتها تحدق فيه بفزع بينما تابع قائلاً: «نادراً ما يتعرضون لأذى شديد. ستشاهدين في الغد كثيراً من أفعال الشجاعة وبعضاً من الغباء الحاد أثناء هذا النزال. وفي المساء يكون السوق الكبير والرقص». ونظر لها وهو يتابع قائلاً: «على ما أرى فإنك لن تحاولين الخروج؟ فأعصابك الأنجليزية ستحملها؟»

وردت بسلاطة لسان: «إذا تحملتها أعصابك» وضحك تلك الضحكة التي نادراً ما تسمعها وقال: «أوه... أنا لدي أعصاب لكل شيء تقريباً... يا أميرتي الأنجليزية».

وبعدما طاف بالحلبة وتحدث إلى الرجال الذين يعملون بها خرجا إلى الشوارع المشمسة ورغم أنه كان لا يزال محاطاً ببعض التحفظ فقد أدركت أنه الآن يبدو متلاطفاً بدرجة لم ترها من قبل على الأطلاق.

بدا سعيداً على نحو غير مفهوم. ولكنه كان ذلك هو كل ما تتمناه.

كانا يستعدان للمغادرة وبينما يبحثان عن (جوسين) رأت (جراهام). ولأول وهلة لم تصدق عينيها. وأقتربت من (لوك) تحاول أن تختفي قدر ما تستطيع وهي تتمتم بالأسنان لتلك القبعة التي أخفت رأسها المشرق وجعلتها أقل وضوحاً بين الجموع المزدحمة التي كان معظمهم من الفرنسيين والغجر ذوي شعر أسود. ولكنه كان (جراهام). لقد وانتها الفرصه لتتأكد منه. وأمضت باقي وقد وثب قلبها إلى حلقها. وأحس (لوك) بتوترها فتحير له وأتزعج.

قال بعض الخشونة: «أنت آمنة منه تماماً في الزحام. وأنا أعد بأن أعيدك للمزرعة قبل وقت العشاء. وإن أردت فيمكنني أن أجعل واحداً من صبيان الفجر يصحبك. فقد تشعرين بأمان أكثر مع واحد منهم. أنا أعرف رأيك في».

وقالت بسرعة وكأنها تتوسل له: «أنا أشعر بالأمان التام معك» ولكنه لم يبد عليه السرور.

وسألها: ماذا بك؟ فعلى مدى النصف ساعة الأخير وأنت تبدين كأنك طفلة مذعورة. فماذا فعلت الآن لأصابعك؟»

قالت: «لا شيء... أرجوك يا (لوك).

قال ساخراً: «أرجوك يا (لوك)... كم من المرات سمعتها».

أختفى أسلوبه المرح ولم تستطع عمل شيء لأسترجاعه. ولم يكن طريق العودة إلى (ماناد) ممتعاً مثلما كان طريق الذهاب. وقضت (جوليا) المساء تترقب أن يريد جرس التليفون أو أن يحضر (جراهام) ببساطة. لم يبد ظهوره هنا مجرد مصادفة. أعتقدت بأنه قد أقنع المرضة (جين تود) بطريقة ما بأن تعطيه عنوانها الجديد. وتمنت لو أنها لم تكتب لها.

الفصـــــل التاسـع

في الصباح كان عقلها قد انصرف عن (جراهام). فهو لم يكن على اتصال بها. ويحتمل أن يكون مجرد سائح يمر بالمكان. وتجهم وجهها قليلاً عندما مر ببالها أن قد يكون في شهر العسل. ومن الغريب أن فكرة زواجها من (جراهام) والتي كانت قد قبلتها فعلاً في وقت ما تسبب لها الآن نوبات من الفزع. كانت تعرف أن (لوك) هو الوحيد الذي يصلح لها. وأن ذراعي (لوك) هما فقط اللذان يرضيانها ويثيرانها.

بكر (لوك) و(فيليب) بالذهاب للمدينة. ووجدت (جوليا) نفسها تقود السيارة التي منحها إياها (لوك) وكان يركب معها (جوستين) و(لوسيل) و(ماريس). كان المدينة بأكملها تضج بالضوضاء والألوان البراقة والموسيقى. كان يوم أجازة وكان الجميع خارج منازلهم. إنتشر عازفو الجيتار من الفجر في كل مكان يعزفون ويرقصون بينما راحوا يسددون عيونهم اللامعة الداكنة إلى الفتيات ليزيدوا من الاثارة.

وفي أماكن معينة تجمعت الخيول وعرباتها. بدا كل شيء لامعاً مزيناً بالأوشمة وكانت الأجواء مليئة بالاثارة والترقب. جلس السياح في شرفات المقاهي يرتشفون قهوتهم ويرقبون المارة من الفجر ذوي المظهر المتشرد أو أهالي البلد الذين اندفعوا إلى الشوارع في أجازتهم. كان الجميع يترقبون

lijlas.com
منتدي ليلاس الثقافي

الحدث الذى يميز ذلك اليوم: «الاستعراض».

وفجأة انطلقت صيحة قوية: «إنهم قادمون»

واندفع الجميع يصطفون على جانبى الشارع يتحرقون المشاهدة منظر بديع. وأمسكت (جوليا) أنفاسها فى شغف وقد أحكمت يدها على يد (جوستين) عندما أقبلت الثيران السوداء وهى تُقاد عبر الطريق..

كان الرعاة يشكلون هلالاً حولهم ومن الخلف ومن الجانبين وقد ركبوا خيول (كامارجو) البيضاء السريعة. كان مظهرهم صارماً جاداً. وقد مروا بسرعة كبيرة.

قالت (لوسيل) فى حماسة: «يجب علينا توصيل الثيران إلى الحلبة بدون فقد أياً منهم».

صاحت (جوستين) وهى لاتتوقف عن القفز ودق الأرض بقدميها: «سوف يحاول الفتيان إيقافهم إنها لعبة عظيمة».

بدا (لجوليا) أن محاولة إيقاف هذا الحشد الهائج هى لعبة جنونية. ورأت (لوك) و(فيليب) على الجهة المقابلة بين راكبى الخيول وقد اكتست ملامحهما بالجدية إلى أقصى الحدود. انضمت الجماهير المحتشدة يحاولون فى حيوية بذل أقصى ما فى وسعهم لإيقاف الثيران المندفعة لقد التوافى طريقهم بكرات الزهور والعصى والألعاب النارية. وأخيراً فزعت (جوليا) عندما وجدت ثلاثة شبان يلقون بأنفسهم تحت الحوافر المعدنية محاولين الإمساك بأحد الثيران.

وعندما تعالت صيحات راكبى الخيول وجدت أنهم قد نجحوا فى إيقاف الثور. ورأت أحدهم يمسك بقرنيه وآخر يمسك بذيله بينما اعتلى ثالث ظهره. ورغم ذلك فقد كان الانتصار قصير الأجل إذ استطاع الحيوان الهائج التخلص منهم. وتشتت الجمع الغفير يركضون إنقاذاً لحياتهم بينما أندفع الثور فى كل اتجاه طلباً للثأر.

وقد كان (لوك) هو الذى عاد إليه. كان يمسك رمحه بيده بينما شد قبعته جيداً يحتمى بها من الغبار وأشار للشبان لاهثى الأنفاس الذين كانوا

قد قاموا بهذا الفعل المستحيل ليتركوا له الأمر. كانت ابتسامته إشراقة رائعة لأسنانه البيضاء فى مقابل وجهه الداكن. ثم استخدم جواده فى براعة وأخذ يدور حول الثور يهدئه بصوته بخدره برمحه. وابتعد الثور. ومرة أخرى دب المرح بين الجموع الغفيرة.. ولم يحاولوا الإمساك به مرة أخرى. وانتهت اللعبة.

وبينما كانوا يخرجون من الشرفة التى احتموا بها مسحت (لوسيل) وجهها وهى تقول:

«عظيم. لقد كان استعراضاً رائعاً. لكن الأمر تطلب ثلاثة رجال للإمساك بالثور الواحد. لقد قال لى (لوك) هذا الصباح أن الثيران هذا العام أقوى من أى عام مضى. والآن دعونا نسرع إلى الحلبة لنأخذ أماكننا».

كانت (جوليا) لاتزال ترتجف مما رأته. واندهشت من تلذذ تلك السيدة الهادئة المتطوية واستمتاعها بتلك الأعمال الجنونية. كان لايزال هناك المزيد. ولكن تفكيرها شرد فى حياة (كامارجو) وحياة (لوك).

وفجأة وجدت نفسها تضحك وهى تمسك بيد (جوستين) وتتأبط ذراع (لوسيل) بينما أسرعوا لمشاهدة الثيران وهى تأخذ بثأرها.

كان الباقون يجلسون فى مقاعدهم عندما أقبلت هى و(لوسيل) و(جوستين). وقال (فيليب) عندما رآها: «ما رأيك فى هذا أيتها الفتاة الانجليزية».

قالت بإبتسامة واسعة يبدو أنها أسعدته «جنون».

لم يقل (لوك) شيئاً. كانت (روزان) تجلس إلى يساره ولم تتكلف مجرد رفع عينيها. ولكن كانت عينا (لوك) تتابعان عينى (جوليا). ربت (لوك) بيده على المقعد المجاور له وقال (لجوليا) بهدوء: «اجلسى هنا» ولم تجد أى بديل سوى الامتثال والطاعة رغم أنها رأت (روزان) تتصلب وترمقها بنظرة باردة.

ورنت فما (ماريس) بنظرة مجفلة ثم صرفت بصرها بعيداً وقد ارتسمت

على شفتيها ابتسامة سعيدة.

وتركزت أنظار الجميع على الثيران. كان يُنادى على كل ثور بالاسم ثم يتحداه مجموعة من الشبان في ثياب بيضاء. كانوا يجرون في أركان الحلبة تفادياً للقرون الحادة. ويقتربون من الثور ويصلون للحلبة الوردية ثم يندفعون بعيداً سواء ظفروا بها أم لا هرباً من الثور الهائج الذى كان يحاول منعهم.

كانت خطواتهم رشيقة. وهى يجب أن تكون كذلك. كان بعضهم يقفز لوثب الحواجز ويترك الحلبة تماماً بينما يندفع فى أثرهم ثور هائج. كما كان آخرون كثيرون ينجحون فى هدفهم.

لكن أعظم الثيران كان (تامرلين) وهو ثور من مزرعة (لوك).

وأشار (فيليب) (للوك) قائلاً: «إنه الشيطان بعينه. لن يستطع أحد أن يهزمه. وسيكونون محظوظين إذا لم يصابوا بأذى كبير».

وقد حاول الشبان. ووجد اثنان منها نفسيهما يطيران فى الهواء ويسقطان خارج الحواجز. ومن حسن حظهما أنهما سقطا خارج الحلبة. ولم ينجح أى فرد. كانت إثارة وحشية. وكان الخطر المتزايد لا يجلب شيئاً سوى المزيد من أفعال الجنون. وقفت (جوليا) بقلق تشارك باقى الجموع هتافاتهم.

وبينما كانت الجموع تهتف لآخر الثيران وهو يخرج من الحلبة قالت جوستين فى ثقة: «هذه هى النهاية»

ولكن كان هناك جوٌ من الترقب ألزم الناس مقاعدهم. ومرة أخرى تعالت الأصوات:

«تحدى».

وفتحت الأبواب مرة أخرى وخرج (تامرلين) إلى الحلبة وقد ارتفعت رأسه وانتفخ منخراه وبدا ثائراً أكثر مما كان. إنه البطل الأعظم. وبينما طاف بأرجاء الحلبة بدأت الجماهير تترنم قائلة:

«مالت مينشاد.. مالت مينشاد» وارتفعت صيحاتهم حتى بلغت

عنان السماء.

وتمتم «فيليب»: «يا إلهى.. لا يمكنك أن تقبل» ووضع يده على ذراع (لوك) الذى مال برأسه للأمام. وتابع (فيليب) قائلاً: «إنه قاتل.. هذا الثور.. أنت تعرفه» قال (لوك) فى ثبات: «لقد ربيته. وهم يتوقعون أن أستطع الحصول على الحلبة الوردية». وقرعت (جوليا) إذ وجدته نبيلاً ويحنى للجماهير المنتشية. واتجه للحلبة وسط الهتافات التى زادت من هياج الثور.

ولو كان باستطاعتها أن تعيده للصلب. كانت نظرة واحدة لوجوه عائلته كافية لتخبرها أن ذلك لم يكن شيئاً عادياً. كان الثور فى الحلبة مرة أخرى وقد انتصب منتصراً. كان ماهراً وغاضباً. وهو يعرف التوقع الآن بالضبط. كان باستطاعتها أن ترى الرأس الضخم يستثير بينما يطلب قرونه البراقة على سبيل التجربة. خدت أصوات الجماهير بينما قفز (لوك) إلى الحلبة).

كان درساً فى الأعصاب.. فى المهارة الحاذقة.. ورغم هلعها فقد كتمت (جوليا) أنفاسها وهى ترقب الموقف فى أفتان تام. أخذ كل من الرجل والثور يدور حول الآخر. وبدا على الحيوان كأنه يدرك أن هذا شخصاً مختلفاً تماماً. كان (لوك) يتحرك بخفة كأنه قطة كبيرة. ولكن لم يبد أى محاولة لنزع الحلبة الوردية. كانت حركاته تدير الثور وتدفعه فى كافة الاتجاهات ويضطره إلى تحريك قدميه بطريقة معينة مثلما فعل عندما كان يمتطى جواده ويحاول الإمساك بالثور الذى أفلت من يد الشبان أثناء الاستعراض.

وبدا وكأنه يتوهم مغناطيسياً ويروضه ويقيده بعينه اللامعتين وبحركات جسده الرشيقة. وفجأة وقف كأنه مصارع للثيران. ورفع يده ببساطة. وقبل أن يأتى الثور بحركة كانت الحلبة قد انفلت سليمة آمنة إلى يد (لوك) الذى جرى سريعاً إلى الحاجز وقفز إلى الأمان بينما بدا الحيوان كأنما انفجرت ثورته. واندفع فى جنون. ولكن كان ذلك متأخراً.

وارتسمت على وجه (لوك) ابتسامة واسعة. وأصاب الجموع الغفيرة من الجنود فتعالت هتافاتهم وتطايرت قبعاتهم فى الهواء جذلاً وسروراً بهذا الاستعراض للجرأة البالغة.

وهتف (فيليب) يشاركهم الهتاف قائلاً: «رائع. إنه الأفضل وعندما يعترل فسيكون هناك حداد عظيم حيث سيحزن عليه كل ثور كأنه واحد منهم».

وبينما كان (لوك) يعود لمقعده سمع آخر كلمات (فيليب) فقال: «ليس بعد. فالآن أنا واحد منهم» واستدار إلى (جوليت). وبنظرة متهكمة كرر ماقاله (فيليب) منذ قليل: «ما رأيك فى هذا أيتها الفتاة الانجليزية»؟

قالت بهدوء وهى تعرف أن كل عواطفها تجمعت فى عينيها: «لقد كان جواباً خطراً وواثقاً».

قال بصوت رقيق: «ومقابل هذه الكلمات ستصبحين اليوم ملكة بدلاً من أميرة». وأمام الجميع قدم لها الحلية الوردية وأحاط بها معصمها.

وصفق (جوستين) فى طرب وهى تصيح: «إنه يدعوك للرقص» ثم أضافت فى مرح عظيم: «ولا يمكنك أن ترفضى.. فستكون إهانة.. أليس كذلك يا (فيليب)؟

إنسحت عينا (فيليب) وهو ينعل بصره ماعين وجه (لوك) الداكن ووجه جوليا المتورد ثم قال: «إهانة نادرة حقاً. فهو لم يحاول فعل ذلك من قبل».

وقالت (جوليا) فى وقار: «ولذلك فلن أرقص. وسأخجل فى جلد» وانفجر الجميع ضحكاً وشاركهم (لوك) ولكن (روزان) لم تفعل. وامتلأت عيناها بالغضب وهى تنظر (لجوليا). واشتدت يدها على ذراع (لوك) بنزعة امتلاكية واضحة لإنسانة تعودت أن تنال كل ماتريد.

وبعد قليل كان هناك سباقاً كبير فى الشوارع عندما تنافس الرعاء للوصول إلى نقطة الفوز والظفر بالكأس الفضى لذلك العام.

وعندما تسلل الظلام يغطى «كامارجو» عاد أهل «ماناداى مينشاد» إلى الفندق لتبديل ملابسهم استعداداً للذهاب بالرقص. ثم ارسال (جوستين) إلى فراشها وأعلنت (لوسيل) أنها ستبقى معها حيث أنها تشعر هى الأخرى بالارهاق الشديد.

كانت الإثارة لاتزال تخيم على المكان عندما ذهب (جوليا) مؤخراً مع (ماريس) لتحلقا بالآخرين. تمت إثارة الميدان الرائسى بالمصابيح حيث سيقام الرقص. كان الليل دافئاً بعض الشىء. وكان فستانها الحريرى يحف بساقيها أثناء سيرها مع (ماريس).

كالعادة.. كانت (روزان) قد سبقتهم. يجب على (جوليا) أن تعترف بأنها بدت رائعة الجمال. كانت تتشبث بذراع (لوك) وكأنما كان ابتعاده عنها هو نهايتها. وتمنت (جوليا) ألا يكون ماوقع فى الحلبة قد حدث. بقدر ماتتمنى أن تكون بين ذراعى (لوك) بقدر ما كانت ترهب هذا الموقف. إنه يذكرها بتواياه التى يبدو فى هذا الظلام حقيقية مرة أخرى. كان الجميع يترقبون وجوده هنا مع (روزان). إن زواجهما متوقع على مدى أعوام مرت.

كان الرجال يرتدون قمصاناً وسراويلاً فضفاضة وكان (فيليب) معهم. وعندما أقبل أحد الرعاء الشبان يدعو (ماريس) للرقص لم يبد على (لوك) أى بادرة للقلق. يبدو أن الراعى يمكن التغلب به على عكس ذلك الرجل الذى يعمل معها فى البنك. لم يكن لديها أدنى شك أن (لوك) يعرف تماماً مايفعله.

وفجأة استدار لها بعد أن حرر ذراعه بهدوء من ذراع (روزان). وأحنى لها رأسه بطريقه الساخرة المعتادة وقال بلجهة قاطعة: «أنت مدعوة لهذه السهرة. وقد بدأ الرقص. وفى هذه الليلة بالذات.. أنت لى».

كانت تنوى الرفض فقد اسعرت غيرتها مرة أخرى عند رؤيته هو و(روزان). ولكن عيناه تعلقت بعينيها بنظرة كأنها تنوم مغناطيسى. ولم

mias.com
منتدى ليلاس الثقافى

ستطع عمل شيء سوى أن ننظر إليه.

قال (روزان) بضحكة صغيرة جافة: «بالتأكيد أنك لم تقصد ذلك على الاطلاق يا (لوك)».

وأمتدت يده وهو يقول برفق: «ولكنني فعلت.. (جوليا) تعرف أني فعلت»

ولبرهة كانت نظرة عينيه تبدو ساحرة. ولم يكن لديها أدنى شك في أنه يفكر في كلماته «إذا وصلت إليك فسوف تأتين لي». ونظرت له ثم وضعت يدها في يده.

قال (فيليب) (لروزان): «يجب عليك أن تفعلي ذلك معي» وبدت كلماته كأنها على سبيل الترضية ولكن (جوليا) لم تنظر إلى رد فعل الفتاة. وجذبها (لوك) إلى ذراعيه مباشرة وهو يبتسم لها. وبدءا الرقص. وكالعادة تركت قلبها ينب إلى رأسها.

كان سهلاً أن تنسى كل شيء. وكان ذلك هو كل ماتريده. شعرت رأسها تدور. كانت على استعداد لتحيا هذه الليلة كأنها آخر ليالها على الأرض. ولم تر شيئاً سوى الرأس الداكن وهو ينحنى على رأسها. ولم تشعر بشيء سوى الذراعين القويين يقربانها منه. في بعض الأحيان كانا يأتيان في بؤرة الضوء. وفي أحيان أخرى ينسحبان إلى الأضواء الخافتة في جوانب الميدان. لم يتخل عنها (لوك) مطلقاً بينما كان كل رفيقين يتبدلان ويتخذ كل منها رفيقاً آخر. اختلطت أصوات الضحكات والموسيقى. لكن طوال الوقت كانا كأنهما في عالم خاص بهما.

وعندما توقف الموسيقى أخيراً لاستراحة قصيرة وقفت (جوليا) منهكة غير مصدقة. انعكس ذهولها على وجه (لوك) الداكن وهو ينظر إليها مبتسماً ثم قادها إلى جانب الميدان. وقال في صوت عذب: «سوف تحضر مشروباً لنا. ابق كما أنت تماماً. ففي هذا الحشد سيأخذ الأمر بعض الوقت لكي أعثر عليك»

أحست قلقاً لامبرر له. فلم يكن باستطاعته إنسان أن يفرقها عن

(لوك) طالما أنه يريدها. وتابعته بعينيها بينما كان يسير عبر الميدان.. داكناً.. رشيقاً. بإستطاعتها أن ترقبه طوال اليوم بلا كلل. كان هناك شيئاً ما يلوح بينها وبين (لوك). وتفجرت ينابيع الاثارة بداخلها.

وفجأة. كان هناك من ينادي: «جوليا» وامتدت يد تمسك بذراعها ولكنها لم تكن يد (لوك). وفغرت فمها في بلاهة. كانت يد (جراهام) الذي تابع يقول: «يا إلهي. إنني أحاول طوال اليوم أن أجدك. لقد رأيتك في حلبة الثيران. ولكنك لم تنظري باتجاهي على الإطلاق. ولم أستطع اللحاق بك عند انصرافك. فلو لم تكوني هنا الليلة فلا اعتقد أنني كنت سأجدك».

حدقت فيه (جوليا). كان يبدو كأنه شخصاً قادماً من الزمن الغابر. يكاد يكون غير معروف لها ولا يهمها اطلاقاً. كانت قد نسيت تماماً أنها رأته بالأمس. وبدون أن تعي امتدت أصابعها تنزع يده وسألته بحدة:

«ماذا تفعل هنا؟ ماذا تريد؟»

كانت تنظر له في فزع.. وكانت تشعر بالامتنان لضعف الأضواء في هذا المكان.. وفي استراحة الفرقة الموسيقية كانت تدوي بالميدان أصوات موسيقى الفلامنكو. والرنات المنتظمة «لصنج» الفجر أثناء رقصهم.

قال (جراهام): تعالي نخرج من هذه الضوضاء اللعينة».

وجذبها خارج الميدان إلى ظلام الشارع. وفجأة تنبهت وكأنها عادت إلى الحياة وصاحت:

«ماذا تفعل هنا؟ أنا لاأريد رؤيتك»

لقد أمرها (لوك) بالبقاء في مكانها ولكن (جراهام) حركها بعيداً. وقاومته (جوليا) وهي ترمقه بنظراتها. ودهشت عندما وجدته يهزها وقد امتلأ وجهه بالضيق والغضب.

وصاح في غضب «أفيقي يا (جوليا). إنني أطوف بهذه المدينة على مدى يومين بحثاً عنك. كنت أعرف أنه لافائدة من ذهابي إلى المزرعة.

liilas.com

لقد استفر رأيك. أليس كذلك؟ لقد استفر على المجيء إلى هنا مع هذا الرجل والعمل حاضنة أطفال»

وقاومته (جوليا) في عنف وهي تقول: «دعني أذهب»

ولكنها جذبها بين ذراعيه بوحشية. وقال بلهجة قاطعة: «لقد أتيت لأجلك يا (جوليا). لقد كان كل ما حدث خطأ. (جلوريا) لم تكن مثلك. ولا يوجد أحد مثلك. لقد قلت لها أنني لا أزلت أحبك. إننا نلائم بعضنا يا (جوليا) كعادتنا دائماً.

قالت (جوليا): «أنا لست كذلك. لن أعود. أنا لا أريد أن أكون معك».

قال: «أنا أعرف ذلك ولكنني لن أدعك تفسدين حياتنا»

وفزعت عندما وجدته يثني رأسه يقبلها. كان يقبض عليها في قسوة وأحباط تام. كانت شفتاه ملتهبة وعنيفة. وضغطت قوته رأسها للخلف مقابل ذراعه. وانفجر خلالها إلم رهيب. ليس لأنها كانت تخشى من جراهام في هذه المدينة حيث يحيط بهم الناس ولكن فكرة وجود شفاه أخرى غير شفاه لوك على شفتيها كانت شيئاً يدعو للضيق والامتعاض إلى حد الاشمئزاز.

كانت أضعف من أن تتحرك. رفع رأسه منتصراً دون أن يلقي بالاً إلى إذا ما كانت قد أوذيت أم لا. وفتحت (جوليا) عينيها لترى (لوك) واقفاً على بعد خطوات قليلة وقد أمسك بكوبين في يده. كان وجهه جامداً وباردا. وكل ما استطاعته أنها أحدثت تحملق فيه وهي ترى الأمور من وجهه نظره. ولم تستطع أن تنطق بأي كلمة تدافع بها عن نفسها.

فتح (لوك) أصابعه ليدع الكوبين يسقطان على الأرض. لم يبال بصوت تطاير الشظايا عندما تحطما على أرضيه الشارع المظلم. وتقدم باتجاههما وقد ملأ الشر عينيه.

لم يكن (جراهام) يدر على الاطلاق بما حدث. كان يغمره سرور وحنين لقدرته على أخضاع (جوليا). وفجأة أدبر حول نفسه. وكانت

قبضة (لوك) تحطم فكه وهي تحمل كل قوة وغضب الجسد القوي الذي انطلقت منه. تكوم (جراهام) على الأرض. واستدار (لوك) وترك الميدان دون أدنى إلتفاته.

وتعالت الصيحات: «يا إلهي.. ماهذا؟.. ماذا حدث؟»

وفجأة ظهر (فيليب) وامتدت ذراعه حول (جوليا) التي كانت لا تزال تقف ذاهلة وكل ما استطاعته أنها كانت تهز رأسها في بلاهه.

وسألها (فيليب) بإلحاح: «من يكون هذا الرجل؟ ليس من المحتمل أن يهاجم لوك أي إنسان بدون سبب قوي»

قالت (جوليا) بذهول: «لقد عرفته في الخارج. وقد اعتقد (لوك).. اعتقد أن...»

قال (فيليب) بسرعة «اتبعيه.... وصحح له»

قالت (جوليا) في يأس: كيف يمكنني إنه غاضب جداً ولم يصدقني على الاطلاق).

وصاح (فيليب) بلهجة غاضبة: «لم يصدقك مادمت لم توضحي له أبداً. لقد خصك أنت بالرقص. ثم هاهو يجد نفسه يواجه هذا الموقف. ألا ترين مايعنيه كل ذلك له؟ إنه رجل عزيز النفس وأنا أعرفه. وضحي له الآن وإلا فإنك لن تجدي فرصة أخرى على الاطلاق لعمل ذلك».

قالت (جوليا): «إنه لن يصدق إطلاقاً».

قال (فيليب): «إذن من الأفضل أن نرى إذا ما كان سيفعل ذلك» ثم أضاف عندما رأى (جراهام) يبدأ في التحرك وهو يتأوه: «سوف اعتني بهذا الرجل القريب المظهر»

ألقت (جوليا) نظرة مشمئزة على (جراهام) ثم انطلقت تعدو. كانت لديه فكرة طيبة عن المكان الذي قد يذهب له (لوك). إنه سيعود إلى منزله الخاص بعيداً عن كل إنسان. ولم تكن متأكده على الإطلاق أنها ستعرف طريقها إلى هناك وحاصة في الظلام.

لم يكن (لوك) قد أوقف سيارته في المكان المخصص مثلما فعلت

litlas.com

جوليا). ورغم ذلك فقد رأته بيها كانت تعد خارجة من الميدان. كان تدير بسيارته اللاندروفر من شارع جانبي إلى الطريق الرئيسي. لم تكن لاندروفر قد اكتسبت سرعة كبيرة. وقفت (جوليا) حيث يمكنه أن ها وهي تسد طريقه في حزم.

وتوقف لكن كان من الواضح عدم وجود أي نية لديه للحديث.

صفت (جوليا) بالنافذة المفتوحة ووقفت تنظر إلى وجهه الجامد ثم ت:

«(لوك).. لماذا انصرفت بهذه الطريقة؟» كانت لاهثة الأنفاس من المسافة التي قطعتها عدواً.. وبيما كانت تستند على اللاندروفر المتربة تكن تدري هل يمكن أن ينطلق بها ويطرحها أرضاً..

وألفجر دون أن ينظر لها: «هل كان يجب علي الانتظار حتى تنالين دراً كافياً من القبلات من خطيبك؟ هل كان دوري سيأتي بعد ذلك نسة».

كانت السخرية هي آخر شيء تريده في هذه اللحظة. واستشاطت باً وهي تقول:

«جراهام اومز» ليس خطيبي وقد مضى على انفصالنا وقت طويل تعلم جيداً»

قال بعده وهو يحملق فيها بعينين ضيقتين: «ولذلك فأنا أفهم. عندما دك على الرغم من ذلك تكتبين له وتوجهين له الدعوة للحضور إلى ثامارجو) وترتبين لمقابلته فإنني أبدأ الشك في معتقداتي»

صاحت (جوليا): أنا لم أوجه له الدعوة للحضور إلى هنا. إن جأتك بذلك ليست أكبر من مفاجأتي. لابد أن حصل على عنواني (جين تود) الممرضة بالمستشفى.. لقد.. لقد أنقض علي».

قال في اسهجان: «وقد كنت أكثر من راغبة» وأشاح بوجهه وأدار له.

قالت (جوليا) بهدوء: لم أكن.. لم أكن راغبة على الاطلاق. لقد سبب لي الأذى.. ولكني لا أفترض أنك ترى الأمور تستحق كل ذلك» وتحدث انفعالاتها في بؤس عندما أدركت أن ما فعله لم يكن سوى كبرياء الرجل والغرور المحطم. وقالت: «أنا لست من أهل «كامارجو» كما قلت أنت أكثر من مرة. إن بإمكاني أن أدخل نفسي وأخرجها من متاعبي الخاصة. كل ما يهمك أن ماركيز دي سانت ميتشاد ربما يكون قد شوهد توجه له أهانة. إن مفهومك للشرف غريب جداً يا سيدي. في انجلترا كنت أتوقع أن يتم إنقاذي وليس تعنيفي».

واستدارت متبعدة وقد أقلعت عن أي فكرة للتوسل إليه. كانت تريد أن تذهب بعيداً.. إلى أي مكان.. بعيداً عن مواجهة نظرته الغاضبة وكتفيه الجامدين وهو يضيق عليها بالعفو، ثم ما الذي فعلته يحتاج للعفو سوى أنها تحبه بيما ليس لها حق في ذلك؛ امتلأت عيناها بالدموع. ما الذي كانت تفعله هنا؟ تجري خلف (لوك)؟ إنه يريدها ولكن هناك (روزان). ولم ينكر ذلك على الإطلاق. إن اللقب والأرض عميقان في دق. وهي ليست من أهل (كامارجو). لقد قال لها ذلك أكثر من مرة.. في الغد لابد أن تعود لوطنها. إلى والدها.

ابتعد (لوك) بدون أدنى انتباه. وأعترفت بأن هذه كانت نهاية وقتها معه. وسوف تشرح الأمور (لجوستين). لقد مضى وقت طويل دون أن تشعر بإرتباط حقيقي بمشاكل (جوستين). وإلى أقصى حد فقد أصبحت (جوستين) مستقرة على عاتقها. وهذا هو وقت عودتها هي لعائلتها.

عندما وصلت الفندق بدا أن (فيليب) قد أوقظ الجميع. وبدأ يساعدهم على ركوب السيارات. ولمعت عيناه وهو ينظر إلى وجهها ويلمح خيبة الأمل التي لم تستطع إخفاءها.

قال بهدوء: «سوف أعود بك للمنزل.. وستأخذ «ماريس» سيارتك. لاتنزعجي كثيراً يا (جوليا). فغي الغد سيرى (لوك) أن كل ما حدث ليس من الانصاف في شيء. إن له مزاج ثور ولكنه لايدوم

litlas.com
منتدى ليلاس للثقافة

طويلاً».

في الغد ستكون قد رحلت. وأومأت (جوليا) ثم جلست في صمت مرهق طوال مدة السفر. وعند وصولهم كانت (جوستين) لاتزال نائمة فحملها (فيليب) إلى فراشها. ونظرت لها (جوليا) عبر الباب وهي تعرف أن عليها في الغد أن تربط على قلبها ضد أي دموع حتى تعلن (جوستين) بقرارها.

وبدأ ضوء الفجر يزغ على (كاماريجو). وكانت (جوليا) تعلم أنها لن تستطيع النوم. وأعدت حقائبها ثم رقدت تستريح لبضع ساعات وقد ملأ وجه (لوك) الخاص كل تفكيرها لم تستطع رؤية أي شيء سوى الظلام من حولها. لقد أصابها الأذى مرى أخرى. إن مصائرها تستدعيها دائماً عندما أعطت الحب قدائماً كانت تعطيه بعمق شديد. لكنها الآن تعلم أن لن يكون هناك حب آخر. لقد انتهى مع (لوك).

نهضت من فراشها في السابعة. وتناولت إفطارها مع العائلة ثم قدمت إيضاحاتها. وأخذهم الدهشة لقرارها المفاجيء بالرحيل. كان (فيليب) هو الوحيد الذي يعرف سبب الحاحها على العودة لوطنها.

قالت (ماريس) وقد ملأت الدموع عينيها: «أيا كان فعله فسوف يتجاوز عنه (لوك). فعالماً ما يكون غاضباً ولكن لا يكون جائراً أبداً».

قال (فيليب) بهدوء: «أنا لا أعتقد أن (جوليا) تحتاج عفواً». إنها لم تفعل أي خطأ. ومنذ جاءت إلي هنا كانت ومازالت تقدم لنا جميعاً رقتها وعطفها. إنه شيء خاص با (ماريس) ويجب أن يترك لها وحدها».

كان يبدو مثل (لوك) بكلماته هذه. وشكرته (جوليا) ثم صعدت إلى الطابق العلوي. كانت جوستين قد استيقظت ولكنها لم تزل في فراشها. حب مواجهة الأمر. وقد يكون من الأفضل أن يتم الآن.

وعندما أوضحت (جوليا) أنها يجب أن تعود لانجلترا بكت (جوستين) وهي تقول: «كيف يمكنك أن تتركينا؟ لا يمكنني الاستمرار بدونك. وماذا سيفعل عمي (لوك)؟ هو أيضاً لا يمكنه الاستمرار بدونك».

قالت (جوليا) في صوت عذب: «يجب أن أعود إلى عملي. وأبي أيضاً يحتاجني. وأنت أفضل جداً الآن يا عزيزتي. لاتنسي أن والدي يفتقدني. لقد كنت هنا مؤقتة. وأنت تعرفين ذلك».

قالت (جوستين) باكية: «ماذا أفعل إذن إذا اكتشف عمي (لوك) أنني أعرف أن موتهم كان ذنبي؟. لا يمكنني مواجهته عندئذ».

قالت (جوليا) بثبات: «لم يكن ذنبك. لقد كانت حادثة»

قالت (جوستين) بصوت منكسر: «لم تكن» وأرتفع صوتها وهي تتابع: «لقد جذبت أمي عجلة القيادة. حاولت تقليل السرعة. لقد حاولت أخذ السيارة منه. كان أبي مصدوماً ومتمثلاً بالغضب بعد أن أخبرته بأن عمي (لوك) هو والدي الحقيقي. ماذا يمكنني أن أفعل عندما يكتشف عمي (لوك) أنني أعرف؟»

ألجمت المفاجأة لسان (جوليا). وتذكرت كل النظرات التي كانت توجهها (جوستين) إلى (لوك). وتذكرت القلق الذي كان يملأ وجهها إلى أن تسمعه يتحدث. وعرفت أن سرها لايزال آمناً فكان القرار اللاإرادي بالاختباء وراء الصمت حيث لم يكن هناك مكان آخر للاختباء.

قالت (جوليا) بلهجة حادة: (أنصتي لي يا جوستين). وقبضت بيديها على كتفي الرقيقين ثم رفعت رأسها لتنظر إلى عينيها وقالت: «لقد استمعت إلى مشاجرة... مشاجرة بين الكبار. ومن عادة الكبار عندما يغضبون أن يقولوا: أشياء ليؤذوا بعضهم البعض بها بينما هم يعنون مايقولون على الإطلاق. إذا كانت والدتك قالت ذلك فقد قالته لإحداث الأذى لأنها كانت غاضبة. أليس كذلك؟

تساءلت (جوستين): «إنك لا تعرفهم؟ فكيف يمكنك القول بأنه لم يكن حقيقي؟»

قالت (جوليا): «أنا لا أعرفهم ولكنني أعرف عملك (لوك). إنه رجل عظيم شريف. وأكثر من ذلك فقد كان يحب والدتك مثلما يحبك. يجب ألا تسيئي له الأذى بأن تقولي له أشياء ليست حقيقية».

أومأت (جوستين) فى صمت وقد بدأ التوتر يتلاشى من كتفيها الناحلين. ثم تركزت عيناها الصغيرتان على وجه (جوليا) وهى تقول: «سوف يؤذى عندما ترحلين».

قالت (جوليا): «كلا. فأنت لديه. ولديه عائلته وأرضه. وكلكم كاهارجويين. أنا انجليزية وأحتاج لوطنى وأهلى. ويوماً ما عزيزتى سوف أعود لأراك. وربما يسمح عملك (لوك) ذات يوم بأن تأتى لتقيمى معى» ثم طبعت قبلة على الوجه الرقيق المبلل بالدموع وتابعت قائلة: «بإمكانك أن تُسعدى كل فرد بما تفعلين. وكلنا علينا هذا الواجب».

وسارت (جوليا) إلى الباب لتخرج قبل أن تحوما عزيمتها. وكادت تصطدم (بلوسيل). التى كانت تقف خارج الباب مباشرة.

وإندفعت (لوسيل) قائلة: «إن ليس صحيحاً يا (جوليا). إن (جوستين) ابنة (جوليس). لقد كانت (دايرورى) دائماً متبلدة ومؤذية. وحاولنا أن تنبه (جوليس) قبل الزفاف ولكنها كانت جبلة وعنيدة. إن (لوك) فقط هو الذى يناسب واحدة مثلها. ومن البداية لم يكن لديها أى حب تجاه (جوستين). وأنا أشك فى أنها أحبت أى إنسان على مدى حياتها. وأياً كان ما قالته فى تلك الليلة فهو لم يكن صحيحاً. كان (لوك) دائم الابتعاد عنها. كان يكرهها دائماً وقد أظهر ذلك أكثر مما كان يخفيه».

قالت (جوليا) فى صوت رقيق: «لست مضطرة لأن تقولى ذلك يا (لوسيل). أنا أعرف أنه لا يمكن أن يكون حقيقياً. إن (لوك) شخص خاص جداً. ولا يستطيع مطلقاً عمل أى شىء ليؤذى أياً منكم. وعلى الرغم مما قالته (جوستين) الآن فأعتقد أنها ستساء بعد فترة من الوقت. وهكذا يمكننى ــ كما ترين ــ العودة لوطنى فى اطمئنان وتركها لكم».

هبطت إلى الطابق الأرضى لتجمع حقائبها. وقال فيليب بصوت حزين: «أنا لا أرى داعياً لذلك ولكن حيث أنك قد عقدت العزم فسوف أصحبك إلى مرسيليا. وسوف أصحبك إلى المطار».

جلسا صامتين طوال الطريق. كانت (جوليا) ساكنة كأنها تمثال بارد من الثلج رغم الشمس الملتهبة. كان وجه (لوك) يتراءى أمامها شبه لامع فى زرقة السماء.

من الثلج رغم الشمس الملتهبة. كان وجه (لوك) يتراءى أمامها كما لو كان موجوداً.

وفجأة أبهار تماسكها الثلجى وغامت عيناها بالدموع عندما رأت طيور البشروس تنطلق محلقة كأنها شبه لامع فى زرقة السماء.

وتمتمت: «وداعاً». لم تكن تقول وداعاً لجمال الطيور فقط. وإنما كانت صرخة من قلبها لهذه الأرض. هذه الأرض الغريبة التى لن تراها مرة أخرى على الإطلاق. وداع أخير (للوك).

عند وصولهم إلى المطار كانت تمر بها لحظات تشعر فيها أنها ممزقة بين رغبتها فى الرحيل فى الحال للعودة إلى والدها واجترار الأحزان فى صمت على (لوك) وبين رغبتها فى البقاء والعودة بحثاً عنه. كان (فيليب) متجهاً صامتاً وقد أمسك ذراعيها بيده واختفت روحه الساخرة المهازلة. إنه يعرف ما تشعر به ولم يكن لديها شك فى ذلك للحظة.

واستدارت لتقول له: «وداعاً» ولكن أحفلت عيونها عندما نودى على أسمها فى مكبرات الصوت: «فلتتفضل المرضة (جوليا ردفورد) بالحضور إلى التليفون». ثم تكرار النداء قبل أن يفق أى منها. كان (فيليب) أهدأ منها أعصاباً. نظر لوجهها المضطرب ثم قال مؤكداً بسرعة: «لا يمكن أن يكون شيئاً خطيراً. لقد مضى وقت قصير على مغادرتنا. وربما تكونين قد نسيت شيئاً ما».

إنها لم تنس شيئاً. إنها تعرف ذلك. وازدردت ريقها عندما تناولت سماعة التليفون. كانت المتحدثة هى (ماريس): «(جوليا).. (جوليا)» يجب أن تعودى فى الحال. إن جوستين لا تستطيع الكلام. وهى مذعورة وفى حالة شبه هستيرية. لقد وصل (لوك) ولكننا لا نستطيع

lilas.com
منتدى ليلاس الإلكتروني

عمل أى شيء. لقد أخبرناه برحيلك فطلب أن نتصل بالمطار لإيقافك. يجب أن تعودى يا (جوليا). لقد قال (لوك) أنه لا يوجد من يستطيع تقديم المساعدة سواك»

وأخبرت (فيليب). واختفى تعبير الأسى من عينيها عندما رأت تعبير وجهه. كان يتردد مابين القلق والسرور. من الواضح أنه مثل (لوك).. يعتقد أن وجودها الدائم سيبقى (جوستين) طبيعية. ومثل (لوك). أيضاً.. تجاهل مشاعرها الخاصة.

وعندما رأى وجهها المتحجر سألها ببعض الخضوع: «هل ستعودين»؟

قالت فى حدة: «اوه.. من الطبيعى أن أعود. ولكن هذه المرة يجب على الآنسة (جوستين) أن تقدم بعض الإيضاحات».

قال (فيليب) مندهشاً: «لكن من الواضح أنها مريضة». وتركزت عيناه على وجهها الصارم.

قالت (جوليا): «لا أعتقد ذلك». كان هذا هو كل ما قالته عندما تركا المبنى وعادا إلى السيارة. كانت سفاجأ جداً إذا لم تجد (جوستين) فى صحة جيدة. إنها تعرف أن فعلته (جوستين) كان قراراً محدداً بإنسام الصمت. وكانت توجد قبله صدمة تكمن وراء وجهها الجامد وشفتيها المطلقتين. أما الآن فإنه تصميم قوى على التمسك بصدقتها. نعم إن الآنسة (جوستين) يجب أن تقدم بعض التفسيرات لما تفعله.

الفصـــل العاشـر

عند عودتها وجدا سيارة (لوك) اللاندروفر خارج المنزل وكان ذلك أغلب ظن (جوليا). فلم يكن (لوك) ليترك (جوستين) مدة طويلة مادامت قد تعرضت للمتاعب مرة أخرى. عندما توقف فيليب بالسيارة هرعت إليهم (لوسيل) بقلق وعندما رأت (جوليا) أشرق وجهها بالأرتياح. قبضت يداها على يدى (جوليا) وهى تقول: «لقد أعتقدت أننا قد نكون تأخرنا كثيراً بحيث لا يمكننا اللحاق بك. لقد اتصلت بك (ماريس) تليفونياً قبل أن تذهب لعملها. ماذا سنفعل مع الطفلة يا (جوليا)؟ إنها بحجرتها وقد التزمت الصمت التام.

أبتسمت (جوليا) تطمئن (لوسيل) وقالت: «سوف أصعد إليها» ثم سألت بهدوء: «أين لوك»؟

قالت (لوسيل) بقلق: «إنه مع (جوستين) ولكن بقدر ما يمكنني قوله فهى تتجاهله»

قالت (جوليا): «نعم. لابد أن تكون كذلك» ثم تقدمت وصعدت إلى الطابق العلوى. كان وجهها متجهماً وبدت نظرتها تنذر بالشر لمن يراها. وكانت هذه النظرة لاتزال موجودة عندما فتحت باب (جوستين).

كان (لوك) يجلس أمام النافذة وأدركت على الفور أنه رأى وصولها. والتفت عيناه بعينيها ولكنها أشاحت ببصرها بعيداً. يجب أن تحصن نفسها ضده وضد الطفلة التى ابتدعت حيلة تستبقيها بها عندما تحاول الرحيل. كان يجب أيضاً أن تحصن نفسها ضد انكسار قلبها مع (لوك).

كانت جوستين لاتزال فى فراشها وبدا (لجوليا) أنها لم تغادر الفراش منذ الصباح. وأشرق وجهها بالسعادة عندما رأت (جوليا) ولكن تعبيرها

lilas.com
منتدى ليلاس الإلكتروني

بقى حذراً عندما وجدت (جوليا) تنظر إليها بشفتين مغلقتين بإحكام وعينين قاسيتين.

لم تكن صديقه الآن عندما أقتربت من الفراش. كانت الممرضة (ردفورد) ولا شيء آخر وتناولت المعصم الصغير ونظرت في ساعتها تفحص نبض (جوستين). لم تكن تتوقع أن تفعل شيئاً سوى أعادة الطفلة إلى حواسها بهذه الحركة التي كانت ستذكرها بالماضي. وكما توقعت فقد كان النبض سريعاً قلقاً.

قالت (جوليا) بهدوء: «نعم.. أعتقد أنك يجب أن تبقين بالفراش يا (جوستين). وحيث أنك لاتستطيعين الكلام مرة أخرى فقد يكون ضرورياً إدخالك إلى أحد المستشفيات ولكن سيكون بالطبع في فرنسا. فلم يسمح لك بالذهاب إلى مستشفى مرتين في انجلترا. سوف أحاول أن أبي ترتيبا في ذلك قبل عودتي لوطني».

سألت (جوستين) بسرعة: «الازلت سترحلين؟ وسوف تتركينني؟» وسمعت (جوليا) زفرة (لوك) الغاضبة. وهي تدرك جيداً أنه فوجيء بوقفها الصلب ولكن حيث أن (جوستين) تحدثت بهذه السرعة فربما أحس بأنه يفهم أبنة أخيه أكثر من أي وقت مضى.

قالت (جوليا) بصوت قوي: «نعم.. سوف أذهب.. فهناك بنات أخريات في حاجة لي. وفي الحقيقة فأنت لم تكوني بحاجة لي لوقت طويل. لكني أعتقدت أنني صديقة».

قالت (جوستين) بصوت باك: «أنني صديقتي.. أنت أفضل صديقه لي» وانتفضت (جوستين) من فراشها في انفعال فأخذت (جوليا) بيدها وأجلستها على ساقيها وهي توجه لها نظرة لوم قائلة:

«ألا زلت لاتردين في ازعاجي وازعاج عمك (لوك) وجدتك (لوسيل) و(ماريس) و(فليب). أنت تفكرين في نفسك فقط وليس في كل الناس الذين يحبونك»

امتلأت عينا (جوستين) بالدموع وغمغمت قائلة: «أنا أريدك أن تبقي».

قالت (جوليا) في صوت ناعم: «لكنني بحاجة لأن أذهب. أنا ممرضة ولايوجد هنا الآن من يحتاج إلى تمريض لايوجد أي إنسان يحتاجني فعلاً. في انجلترا هناك الكثيرون بحاجة لي ولن تجدي أي حيلة لإبقائي هنا. إن الحيل لن تأتي بنتيجة سوى أن تجعلني غير سعيدة وقلقة. أنني أريد أن أكون صديقتك للأبد يا (جوستين) ولكنك يجب أن تعطي مثلما تأخذين»

وفجأة كان الذراعان الصغيران يطوقان عنقها وأخذت (جوستين) تنحب في صمت بينما همست (جوليا) بين ذراعيها. ثم قالت بهدوء: «أما الآن فإنني سأبقى حتى الغد. فلترتدي ملابسك ولتذهبي لجدتك ولتطلبي منها ألا تقلق. وضحي لها الأمور وسوف يسير كل شيء على مايرام.

وقبلت الوجنة الصغيرة ثم وضعتها على فراشها ونهضت وهي تتجنب عيني (لوك). وبقي (لوك) بالحجرة لبتحدث إلى (جوستين) وعندما خرج كانت (جوليا) قد هبطت للطابق السفلي تشرح (للوسيل) وفليب أنه لايوجد أي داعي للقلق على الإطلاق.

وفجأة قال (لوك): «أنا أريد التحدث معك» وامتدت يده إلى ذراعها وبينما اعتقدت أنه سيقودها إلى حجرته وجدته يقودها إلى خارج المنزل مباشرة حيث تقف سيارته اللاندروفر. وأركبها السيارة ثم انطلق بها بدون أي تعليق أو تفسير على الإطلاق.

قالت (جوليا) بإقتضاب: «يجب أن أكون هناك مع (جوستين). لابد أن أكون معها لأساعدها على اجتياز هذه المشكلة البسيطة» كان قلبها يدق بسرعة اللاندروفر عندما استدار متوجهاً لمنزله الخاص.

قال (لوك) وقد تجهم وجهه: «لقد أظهرت قدرتها على التعامل مع الكبار. لقد كنت أنت الشخص الوحيد الذي لم تنطلي عليه حيلها تماماً. إنها يمكن أن تتجاوز مشاكلها بنفسها خلال ساعة أو ساعتين. إن مشاكلي تلم بي في هذه اللحظة. ولمرة واحدة في حياتي أريد أن أكون أنانياً تماماً».

قالت (جوليا) بصوت حاد قاس: «ليس معي. أنا لست أكثر من

lilas.com

زائره. وسأمضي الليلة كضيفة (للوسيل) ثم أعود لوطني».

قال (لوك) مؤكداً في إيجاز: «أنا لم أحاول إيقافك على مدى وقت طويل» ثم تابع قائلاً: «لقد قطعت كل الطريق من مرسيليا لتعودي من أجل (جوستين). أفلا يمكنك إضاعة دقائق قليلة من أجلي».

أومأت برأسها بيأس وجه لها نظرات عاطفة حادة ولكنها كانت متوترة داخلياً وكل أعصابها على وشك الانفجار. لقد كان بإمكانه تماماً أن يتحدث مع في (ماناد دى مينشاد) إذا ما كان يود الحديث في أمر يتعلق (بجوستين). إذن فلماذا يتجهان بمثل هذه السرعة إلى ضيعته الخاصة؟

لاشك أنها كانت تكاد تكتشف السبب. لقد كان التصميم واضحاً على وجه (لوك) وأدركت أن من الأفضل ألا تتحدى ذلك الرجل القوى المتوتر. أوقف السيارة الثقيلة أمام المنزل ثم استدار بعد نزوله لمساعدتها على النزول ولكن لم يقل أي شيء حتى وصلا إلى حجرة الصالون. وصفق الباب خلفه بصوت مدو. ثم استدار لها وقد تركزت عيناه على عينيها.

قال بكلمات حادة: «عندما ذهبت إلى «ماناد» هذا الصباح كنت أنت قد رحلت بالفعل» ثم تابع: «بدون أي كلمة.. بدون أدنى التفاته رحلت عني».

وتسارعت أنفاس (جوليا) لدى هذا التأكيد المذهل.. لدى هذا الاندفاع الصريح بعد عنف الأمس.

وقال بلهجة مؤكدة غاضبة: «الرحيل عنك ليس له دخل بالأمر». ثم تابعت: «لقد كنت راحلة عن (كامارجو) وعائدة لوطني. وفي الغد سوف أفعل ذلك مرة أخرى. لقد جئت هنا من أجل (جوستين) وهي التي سأرحل عنها لأنها لم تعد بحاجة لي».

سألها بلهجة حادة: «هل من الطبيعي أن ترحلي بمثل هذا الأسلوب. هل كنت ستذهبين بهذه السرعة والسرية دون أن تقولي كلمة وداع واحدة؟»

قالت (جوليا) بتوتر: «أنا أفهم أننا قد قلنا وداعاً بالأمس» ثم

تابعت: «لقد بدا لي أنه لم يبق شيء آخر نقوله لبعضنا. وعلى أية حال أنت لم تكن هناك».

قال بصوت يشوبه الخضوع: «لقد وصلت بعد رحيلك مباشرة» بعدك بدقائق قليلة. وكان المنزل في حالة اضطراب حيث قررت (جوستين) فقد القدرة على النطق. لقد كنت سأتبعك على أية حال».

قالت(جوليا) بصوت مؤكد: «لم أكن لأعود مرة أخرى إذا كنت قد وصلت الجلترا فعلاً. فإن (جوستين) كانت ستعود إلى حواسها سريعاً بعد وقت قصير جداً».

قال بهدوء: «لم أكن سأتبعك من أجل (جوستين)» وحلق في وجهها الغاضب المتورد خجلاً ثم قال: «لقد كنت سأتي من أجلي».

قالت (جوليا) بصوت مرتعش: «وكنت ستضيع وقتك» لم تكن متأكدة من سبب رغبته في بقائها هنا. وتابعت قائلة: «ورغم كل شيء فلا يوجد لدينا ما نقوله لبعضنا».

وسألها بصوت عذب: «ألا يتشاجر المحبون في انجلترا؟ هل لا تغتفرين غيره عنيفة متوحشة مثلما فعلت أنا بالأمس؟»

ردت (جوليا) في غمغمة مرتجفة: «نحن.. نحن لسنا حبيبان»

قال مؤكداً: «فقط لأنك لا تثقين بي. فقط لأنني كنت ممزقاً بين واجبي تجاهك في أرض أجنبية وبين رغبتي فيك. وإذا كنت قد ولعت بي فكنا سنضيع جسدي منذ أسابيع عديدة. وتفرساً منذ الليلة الأولى فجيئك إلى (كامارجو)»

قالت (جوليا) بصوت مهتز: «إنت لا تملك أي حق في الحديث بهذا الأسلوب» كانت تسدد بصرها إلى الأرض لكي تتحاشى نظرته المذهبة.

قال بصوت رقيق: «إنه ليس حق يا عزيزتي. إنه حاجة. أنا أعرف أنك تريدني. إذا كنت تريدينني بدرجة كافية فأنا أقوى وضع نهاية هذا النقاش بخصوص كوننا حبيبين أم لا.» ورفعت بصرها بعينين واسعتين محملتين. كان تجيبه نفسه لها يرن في أذنيها كأنه صوت موسيقي وتشبثت

mias.com
منتدى لياس الشلق

عيناه بعينيها. وأخفت نظرات الكبرياء من عينيه بينما كان ينظر لها في تذلل تام.

وبساطة قال: «أنا أحبك يا (جوليا)»

لم تستطع أن تنبس ببنت شفه. وللحظات قليلة كانت صامتة مثلما أدعت (جوستين) هذا الصباح ولكن بدا أنه قد فهم فأبتسم لها ولكنه لم يفعل شيئاً لتقريب المسافة بينهما.

قال: «لقد حكت لي (لوسيل) ما قالته (جوستين) وما تخيلته. وحكت لي كيف رددت أنت عليها. لقد قلت أنني رائع وشريف ويجب علي (جوستين) ألا تحكي لي وتؤذيني. وإذا كنت تعتقدين في ذلك عندما قلتيه فكيف تشكين في عندما أقول لك بأنني أحبك وأنه لا يوجد ولن يوجد أحد غيرك لي»

قالت: «أنا.. أنا اعتقدت أن (روزان)» ولم تستطع عيناها الزرقاوينان أن تدعا عينيه وقالت: «لم أكن أريد أن أؤذي نفسي مرة أخرى»

ووعدها بصوت رقيق: «لن تتعرضي للأذى أبداً يا عزيزتي. ولا حتى شعرة ذهبية واحدة من رأسك»

وللحظة لم يفعل شيئاً سوى النظر إليها ثم فتح ذراعيه واندفعت (جوليا) ليضمها ويحتويها قريباً من قلبه. ودس وجهه في شعرها وسرت رعشة خلال جسده كأنها زفير الارتياح.

قال: «الليلة الماضية. كنت هجيناً ومترحشاً عندما رأيتك بين ذراعي رجل آخر وتقبلين قبلاته في رغبة».

قالت: «أنا.. أنا لم أكن.. لم أستطع أن أقاومه.. لقد كان قوياً جداً. وقد فاجأني بظهوره»

ورفع رأسه بعينيه الداكنة الفاحصة وقال: «ولم يكن لديك أي فكرة عن وجوده هنا في (كامارجو)؟»

قالت بلهجة صادقة: «الليلة الماضية. لا. لقد رأيته أول أمس عندما ذهبنا إلى الحلبة.. ولكن ــ وإلى حد غريب ــ كنت قد نسيت كل

شيء يخصه».

سأل بصوت عذب لا يزال تشوبه بعض التوتر: «لماذا لم تجديني في هذا الوقت؟»

قالت: «لم أكن أريدك أن تعرف» وأحنت رأسها لتهرب من نظراته القاسية ثم تابعت: «لم أكن أريد حدوث أي شيء يمكن أن يغضبك ويفسد.. ويفسد..»

قال: «يفسد ماذا يا (جوليا)؟» وأحنى رأسه نحوها وعندما لم تجب رفعت يده القوية وجهها وسألها مرة أخرى: «يفسد ماذا؟»

نظرت إلى عينيه لتجد نظرته خيط بها بدون أي أمل في النجاة.

همست: «لقد كنت أريد فقط أن أكون معك. لقد كان كل شيء يسير إلى الأسوأ كل فرد يحتاجك» ثم فجأة وضعت رأسها في يده وأغلقت عينيها وهي تقول: «أنا أحتاجك أيضاً يا (لوك). أنا أحتاجك أكثر من أي أحد لأن كل شيء يبدو مظلماً عندما لا تكون موجوداً»

وإذا كانت أرادت أن تقول شيئاً آخر فلم تكن لتستطع لأنه ألقها بذراعيه وأدخل يده في شعرها بينما ضمها هوه يائسة كادت تزهق أنفاسها.

وسألها بإلحاح: «إذن فأنت تحبينني؟»

وهمست: «أعتقد أنك تعرف ذلك فعلاً. أنا لست بارعة في إخفاء مشاعري»

وابتسم ببطء وتراخت مقاومته القوية وأفرز بعض أنفاس مرتعشة.

وغمغم بصوت عميق: «أنت لست كذلك يا عزيزتي. لم أكن لأسمح لك بتركي. كنت سأجدك حتى لو تركت العالم لأنني أحتاج إليك. أحتاج إلى دفئك وأمنك وجمالك الذهبي. ولن نفترق أبداً»

يحتويها بين ذراعيه. وهمس بينما كان

«أنت أشعة الشمس المشرقة. نسيم من الربيع.. لقد كنت أريدك من ذلك اليوم الذي جئت فيه بكل قسوة وكبرياء إلى حجرة (جوستين) لتوجهين إلى اللوم. ذلك اليوم الذي سمحت لي فيه بالزيارة. كان

lilas.com
منتدى ليلاس الإلكتروني

ذلك رغم أنك كنت منهكة تحت وطأة مشاكلك الخاصة. لقد قاومت ذلك» ثم رفع رأسها ونظر إلى وجهها الذابل وهو يعترف مبتسماً: «ولكن ليس بقوة كبيرة. من الصعب جداً أن يحارب الإنسان ضوء الشمس بينما يلفه الظلام»

وانتصبت (جوليا) على أطراف أصابعها وفعلت ما فعلته ذات مرة قبل ذلك.. قبلته برقة وعذوبة.. وقد طفت كل أحاسيسها على وجهها. وسرت السعادة والإثارة عندما قبلها (لوك).

كان سحراً.. غياباً ودواناً ساحراً ذاك الذي حملها إلى الضياء والسعادة. لم تخفها رغباته. كانت ترتعش من السعادة. وقد توافق حنينها.. كانت قبلاتها وحشية وملتهبة حتى تراجع ينظر إليها.

كان هناك سؤالاً في عينيه.. سؤالاً ملتهباً يبحث عن اجابة. فأخذها وهو يعرف ما تعني به دون الحاجة إلى أي كلمة.

وتوسلت له: «أرجوك يا (لوك)» وكان رد فعله مترحشاً وقال بلهجة غليظة:

«أخيراً أنت تقولينها لأجل كل الأسباب التي أريدها»

وأوقف الانفجار الحاد للأم اندفاعه مؤقتاً ولكن كانت شفتاه تخطى شفتيها حتى لفت ذراعيها حول عنقه ليست عيناه بعينيها عندما نظر لها للحظة طويلة يتفحص وجهها المتورد وعينيها الزرقاوتين البريئتين.

وتمتم بصوت عذب: «فتاة فاتنة» والتهبت الرغبة مرة أخرى في وجهها وهو يقول: فتاة فاتنة.. مجنونة»

وقالت في ارتباك وخجل: «أنا.. لم يحدث على الاطلاق أن..» وأسعت ابتسامته وهو يضرب فيها ويعض على شفتها برفق وقال بتلذذ هادىء زاد من خجلها:

«إنه متأخر جداً أن تقولي لي ذلك الآن يا عزيزتي. لقد كنت امتلكك في عقلي لوقت طويل. إنه مجرد تحقيق لأحلامي. وبعد قليل ستعود. وأما الآن فإنني سأضمك وأتوسل إليك أن تمنحيني عفوك عما سببته لك من أذى».

قالت بسرعة: «أنت لم تفعل.. ليس حقيقي». ولكن ضحكة الخفيفة المتعمدة وذراعاه الملتفان حولها الزماها الصمت بينما أخفت وجهها بين كتفيه وأسلمت نفسها لتعم سعادتها. لقد انتمت إلى (لوك) وفي داخلها كانت تعرف أنه سيكون أبداً لأنه يجب أن يكون.

ومؤخراً كانت بين ذراعيه في دفء واطمئنان.

قالت بصوت رقيق وكأنها خشي أن تفقده حتى الآن: «لقد اعتقدت بأنك نسوي الزواج من (روزان)» ونظر إليها وقد تعضنت جبهته ولكن سرعان ما انفرجت أساريره ثم سألها في اعتقاد:

«لماذا يجب أن أتمنى الزواج من فتاة عنيدة بينما يمكنني أن أحصل على امرأة دافئة مطيعة» ثم رق صوته عندما رأى وجهها معتماً: «إذ كنت قد سببت لك الغيرة والألم فأنا آسف لذلك. أنا أعرف (روزان) منذ أن كانت طفلة وأنا أفترض أننا جميعاً كنا نتباسط معها. إنها تنزع إلى الخلك وكانت تتأرجح بشدة ما بيني وبين (فيليب). لقد حدث ما وأنته لأنه كان دوري لاشيء غير ذلك»

قالت (جوليا) بإمعان: «هل تعتقد أن (فيليب)...؟»

ولكن (لوك) ضحك بسعادة وهز رأسها وقال مازحاً: كلا.. أنا لا أعتقد أن (فيليب).. لقد أفسدها التدليل وهي ليست مناسبة على الاطلاق. وذلك بغض النظر عن حقيقة أنه لا يحبها وحتى إذا فكر في ذلك فسأبذل قصارى جهدي لأثنيه عنه» ثم أضاف بحزن «مثلما حاولت أن أثني (جوليس).

حاولت جوليا أن تبتعد عن (دايردري) والتركة المؤلمة التي خلفتها وراءها فقالت بسرعة: «ماذا عن الأرض التي يقول (فيليب) أنك تحتاجها؟»

قال (لوك) ساخراً: لقد حكى لك الكثير. ورغم ذلك فهو لا يعرف كل خططي. إن عائلة (دوين) يفكرون جدياً في الانتقال إلى الشمال. و(روزان) إنه وحيده ولن تستطيع إدارة القطعان بمفردها على الرغم من مهاراتها في ركوب الخيل ومعرفتها برعاية الماشية. وسوف تكون أفضل إذا

ittlas.com
منتدى ليلاس الثقافي

ما كان ميراثها شيئاً أصغر منه السهل التحكم فيه. وعندما يرحلون فقد رتبت لشراء ممتلكاتهم وأرضهم. وهي ستزيد من أرضنا وتعمل (جوستين) ميراثاً منفصلاً»

قالت (جوليا): «(لوك).. متى.. متى نتزوج».

قال بقسوة: «وستتزوج» وأدخلها في دائرة ذراعيه المحكمة وهو يقول: «لن أدعك تغيبي عن عيني مرة أخرى».

وقال تذكرت: «عندما نتزوج هل سترغب في لبني (جوستين)»

ولوهلة أظلم وجهه لكنه جذبها بين ذراعيه حتى خرجت أنفاسه بين شعرها وسألها بصوت رقيق: «ألا يوجد شيء في هذا العالم لن تفعليه من أجلي يا حلوتي (جوليا)؟

وأجابته بسرعة: «لن تكون هناك أي خسارة. فأنا أحبها أيضاً»

وأجاب وهو يعاود الابتسام لها: «وكذلك يفعل كثير آخرون هناك (لوسيل) التي ستشعر بالضياع بدونها. وهناك (ماريس) وهناك (فيليب) اللذان يبالغان في تدليلها. وهناك أيضاً هؤلاء الفجر الذين تعتقد خطأ أنهم عائلتها. وعندما تصبح سليمة صحيحة البدن فستعود إلى مدرستها وإلى أصدقائها القدامى. وعلى كل حال فأنا حارسها الشرعي حسب وصية (جولياس) كلا يا حبيبتي. أنا لا أحب أن أتبنى ابنة أخي وأحتوى وجهها بين كفيه ثم قال: «أنا أريد أطفالاً خاصين بي.. أطفالاً لهم عيون زرقاء كسماء حزيران وشعر كأنه ضياء الشمس».

وأحنت قائلة: «أوه.. كلا يا (لوك). إنهم سيكونون شاكسي البشرة قساة مثلك أنت»

قال مبتسماً: «وسيركعون تحت قدميك يعبدون عذوبتك ورقتك وجمالك مثلما أفعل.

وستكون الأرض أرضهم وغيط بهم عائلة محبة ويكون لهم جد مشهور في انجلترا».

سددت (جوليا) نظراتها إلى وجهه وهي تقول بسرعة: «يجب أن أعود الأخيره»

قال مؤكداً: «سنذهب سوياً وعندئذ يلحق بنا الباقون لحضور الزفاف. ويمكن (لماريس) عندئذ أن تلقي نظرة على مستشفى والدك وترى إذا كانت فعلاً تريد أن تسير على نفس خطاك. على الرغم من أن لدي شك كبير في أنها ليست إلا مبهرة بأهميتك»

قالت (جوليا) في غضب: «أنا لست مهمة» ولكنه ابتسم ساخراً ثم أخرج زفرة حادة وهو يقول: «بالنسبة لي.. أنت كل شيء». وأطبقت شفتاه على شفتيها.

والآن فإنها تنظر بإطمئنان إلى المشهد الذي يدور حولها. لقد كانت أرضها وكانوا أهلها. كانت (لوسيل) تجلس بفخر وهي تعتني بطفل (لوك) بينما أحاط بها الأصدقاء والأقارب المعجبون بالطفل الوليد الجميل ذي الشعر الأسود الفاحم والعيون الزرقاء إلى حد مذهل.

كانت (جوليا) تتمنى أن يتمكن والدها من حضور ذلك اليوم ولكنه كان قد تركهم في اليوم السابق ليحضر مؤتمراً هاماً في باريس. ولكنه وعدها أن يكون موجوداً في العام القادم. ولقد انتزهت (جوستين) الوعد منه. وعلى أية حال فقد قضى كثيراً من الوقت في زيارتهم. كانت (ماريس) في انجلترا وقد منعتها واجبات التمريض من الحضور. وكان (لوك) سعيداً لأنها كانت في بيت (بول رودفوره) في أمن ورعاية تامين.

قال (لوك) (لفيليب): «يا إلهي.. أنظر.. إن هذا الثور يمثل ضراوة وقوة (تامرلين)». ومال بجسده للأمام يرقب الثور الذي كان يضطر الرجال إلى العدو حتى حافة الحلبة أكثرة من مرة.

ودعدم فيليب: «ليست مفاجأة» ثم تابع: «إن (تامرلين) من نفس الأب كما تعلم»

قال (لوك) بصوت ناعم: «لست أدري إذا...»

ولكن يد (جوليا) امتدت سريعاً إلى ذراعه وهي تقول في حسم: «إنك لم تنزل إلى هذه الحلبة» وأطلق (فيليب) ضحكة هادرة عندما رأى (لوك) يز كتفيه مستهجناً ثم يتراجع في مقعده وهو يميل قبعته تجاه

llias.com
منتدى ليلاس الثقافي

الشمس.

وسددت (جوليا) نظراتها إلى (فيليب) وهي تقول بقوة: «ولا أنت»

وابتسم (لوك) ببطء وهو ينظر بطرف عينيه إلى أخيه ثم قال بلهجة جافة: «في أنجلترا يسمون ذلك (هيمنة المرأة) على ما أعتقد».

ورد فيليب ساخراً: «ويبدو أنك تزدهر في ظلالها». ولم تكن ضحكة لوك الهادئة تختفي في تلك الأيام وهي تدفع دماء الخجل إلى وجه (جوليا). فقال بهدوء: «ولكن لها مميزاتها» وأمسك يد (جوليا) ورفعها إلى فمه يقبلها.

وأتجه (لوك) ببصره نحو (لوسيل) بحملها الصغير الذي تحمله في فخر. كانت عيناه تمتلىء بنفس الخوف الذي أحس به عندما رأى ابنه لأول مرة. والتفتت العينان الزرقاوتان إليه مباشرة ثم ذهبتا في نوم عميق.

قال (لوك) بصوت عذب: «إن إبننا هذا حكيم بالإضافة إلى أنه جميل. فهو ينام كثيراً ويدع أمه معظم الوقت معي».

وسألت (جوليا): «هل سننتظر حتى موعد الرقص؟» ولم تكن تأبه بإذا ما كانوا سيرقصون أم لا. ونعلقت عينا (لوك) بعينيه لبرهة وغمغم قائلاً:

«أعتقد أن من الأفضل أن نعود للمنزل يا عزيزتي» وأومأت (جوليا) موافقة بينما أشتدت يده على يدها.

لقد ذهبت الوحدة. ورحل الظلام إلى الأبد. والآن لم يعد هناك سوى هذه الأرض الخالدة الغامضة التي لا تضم سوى السماء والماء والثيران السوداء الضاربة والخيول البيضاء الهائجة.. و(لوك).. (لوك) الذي لم يكل أبداً من حبها.. الذي ملأ أيامها بالسعادة..

وأخرجت زفرة هادئة مطمئنة ومالت برأسها على كتفه فامتدت يده تربت على وجهها وهو يقول واعداً:

«فيما بعد يا حبيبتي.. فيما بعد»

«النهايـــة»